

سورة الاخلاص، بخط الفتان الأفغاني عر الدين وكيلي

تعاولنا في العدد الماضي الحرب على العراق، واليوم، وبعد مرور أكثر من سنة أشهر على صعدور العدد، مازال الوضع في العراق غير مستقر والمستقبل في غموض. لكن ماذا بشأن افغانستان بعد سنتين من إسفاط حكومة حركة طالبان؟

وكما كان الأمر قبل الحرب على العراق، فقد جرى الحديث هنا أيضاً عن تحرير البلاد وإرساء الديمقراطية فيها بعد التفلص من المضطهدين (طالبان)؛ وكثرت الوعود حول تقديم مساعدات مالية وتقنية إلى هذه الدولة الفقيرة بعد سنوات من حكم حركة متشددة، «فكر وفرن» أخذت على عاتقها أن تقنح ملف أفغانستان بعد سنتين من إسقاط نظام طالبان لتقدم للقاريء ماذا حسل مع هذه الوعود والآمال التي رافقت حرب إزاحة طالبان، علاوة على ذلك نسعى إلى إلقاء النفوء على النواحي الكثيرة المهملة هي تاريخ هذا البلد ونظهر التترع الكبير الذي ميز أفغانستان هي الماضي، إضفاء الخصوصية عليها، وقد تركت الثقافات المختلفة، التي انتشرت هي أفغانستان هي الماضي، بسماتها إلى يومنا هذا واثرت هي الناس وطبعتهم بطلبهها، كما تشهد عليه المقالات المنشودة في هذا المند.

وحين يصل هذا العدد (٧٨) إلى أيدى القراء تكون أفغانستان قد دخلت في مرحلة حاسمة من تاريخها الحديث، فمن المقرر أن يتم إعداد دستور جديد للبلاد في عام ٢٠٠٤ وأن يتمكن الأهفان من انتخاب رئيس ويرلمان جديدين لهم انتخاباً حراً لأول مرة هي تاريخهم. وستفقد الدولة التي مازالت تسمى إلى حين «دولة أفغانستان الإسلامية الانتقالية»، صفتها الانتقالية، وستتوجه، لذلك، أنظار المالمين الإسلامي والفريي نحو أهغانستان في السنة القادمة، فالعلاقة بين الشرق والغرب ستدخل في طور جديد. إذ يسمى الفرب إلى أن يكون دستور أففانستان القبل، إلى حد كبير، علمانياً عنصرياً يستلهم معابيره. في حين لدى الكثير من الأفغان والمراقبين السلمين أولويات أخرى. والأمر الهام للأفغان أن يحصل إجماع لديهم، وأن يعكس هذا الدستور مصالح جميم الفئات السياسية والإثنية. وليس الحصول على دستور عصري يستلهم الأفكار القربية هو ما بفتقده الأفغان وما هم بحاجة ماسة إليه، بل توحيد الأجزاء المزقة في البلاد في كيان سياسي واحد، ويجدر القول إنّ ما يهم السلمين، ليس في أفغانستان وحدها، هو الحفاظ على الهوية الإسلامية وعدم الانجرار وراء تقليد النماذج الغربية في بناء الدولة والدستور. تبدو هذه الأفكار أشد تعقيداً لأنَّ التطور في أفغانستان سيؤثر في بلدان المنطقة التي تجد نفسها في سيرورة تغيير كإيران والعراق وباكستان والجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي السابق. لذا، فالضغوط كبيرة على المسؤولين في أفغانستان. وكيف ما تنتهي معركة الدستور، وإلى أين ستفضى الانتخابات البير لمانية، على الملقين ألا يسرعوا في إطلاق الاستنتاجات والأحكام المرتجلة، بل عليهم الاعتماد على خبرة الأفغان أنفسهم وانثقة فيها، خصوصاً أنَّ الغرب يميل إلى النقد المسرع وادعاء امتلاك الحقيقة إذا جرت المياه على عكس «ما اشتهت سفنه»، أي على عكس ما توقعته الحكومات الفربية وخبراء السياسة من الأكاديميين في الجامعات.

نحن هي «فكر وهن» إذ نضع هذا الملف عن أهغانستان بين أيدي الشراء، نتمنى لكل الأهغان بداية ناجحة نحو المستقبل الذي عليهم أن يقرروه بالنسعم.

أفغانستان



Stefan Weidner	شتيفان فايننر
والجديدة	و کاب ا

Atiq Rahimi	عتيق رحيمي	
الثقافة أولأ	أَفْغَانستان:	٨



Max Klimburg	ماكس كليمبورغ	
ة والواقع	بين الأسطور	١

Jens-Uwe Hartmann	هارتمان	اوقه	ینس	
في أفغانستان	البوذية			

Jürgen Frembgen

ِف في أفغانستان	

يه رغور فرعمغور

Renate Elsässer	ريئاته إلزيسو	
غوته في كابول	اعادة اقتتاح معهد	

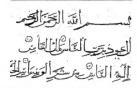
Ratbil Ahang Shamel	شامل	راتبيل آ.	
موت الفنان	المتفي		1

من الأدب الأفغاني



عزام ر. زرياب Azam R. Zaryab وع حيات تحت شجرة الدردار

إضاءات



K. Mommsen	كاتارينا مومزن	
العالم الاسلامي	غوته ني حوار مع	0

شتيفان فايدنر Stefan Weidner متيفان فايدنر هو نظرة جديدة إلى الاستشراق



حقوق الإنسان

Claus Kreß	كلاوس كريس	
الدولية	أمريكا والمحكمة الجنائية	7:

صورة الشلاف الأسامي: إمراة محجبة في هررات ١٩٦٧. تصوير: Roland and Sabrina Michaud تصوير: "Unbekanntes Afghanistan". Knesebeck Yorkig, München 2002" FIKRUN WA FANN, Nr. 78, 41. Jahrgang, 2003/04 ٢٠ ٣/٤ ألسنة الحادي والأربعون ٢٠ ١٠٠٠

Herausgeber: : الناشر: Goethe-Institut e.V. معهد غوته

Redaktionsleitung: إدارة التحرير: Stefan Weidner يتيفان فايدنو

Redaktion: التحوير: Ahmad Hissou أحمد حسو Stefan Weidner شييفان فايدنر

Korrektorat: الراجعة اللغوية: الاميم مالك Ahmad Hissou

Layout: الإخواج الغني: Graphicteam Köin - Bonn ميشائيل كروب بون بون

Satz und Gestaltung: الصف والإخراج: Amin Mohtadi م. أمين المهتدي Mohtadi Verlag, Köln المهتدي للنشر، كولونيا

خدمة الصور: Bildassistenz: خدمة الصور: Hella Roth

Druck: : الطباعة : Köllen Druck + Verlag, كولن للطباعة والنشر Bonn

المحرير: Kasparstr. 41 عنوان هيئة التحرير: D-50670 Köin

E-Mail: البريد الإلكتروني: Fikrwafann@aol.com

© 2003 Goethe-Institut e. V.

ISSN 0015-0932

iternet: [نترنت: www.goethe.de/in/d/pub/fikrun/fikrun.html www.qantara.de/arab/fikrun

«فكر وفن» مجلة ثفافية تصدر مرتين في السنة وتوزع مجاناً. يحق لاصحاب المكتبات أن يبيعوها يسعر لاتتجاوز قيمته ٢٠٥ يورو/دولار



مئوية أدورتو



تبودور أدورنو Theodor W. Adomo

نشاطات تقاضة



25 Jahre «Galerie Fikrun wa Fann» ۲۵ ماماً على «غاليري فكر وفن»

فولكر نويمان Volker Neumann فولكر نويمان ٧٦ الثقافة العربية ومعرض فرانكفورت

أحمد حسو Ahmad Hissou الشعر العربي في الأكاديمية الألمانية

Alighiero Boetti أليغيرو بويشي

٧A

٨٠ الفنان الايطالي وأفغانستان



المقالات المنشورة في العدد لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر هيئة التحرير ومعهد غوته. شتیفان فایدنی Stefan Weidner

كابول الجديدة صيف الفوضى الطويل

كل شيء في أفغانستان يعميش في الوقت الراهن حالة ازدهار، ولا يقتصر ذلك على حقول الخشخاش المبتلة بعد جنى محصولها فحسب، وهي التي تزود الجميع بمداخيل مالية مفيدة ابتداء من أمراء الحرب وحتى المزارعين الصغار وإنما يشمل ذلك أيضاً اقتصاد المحسوبية وظاهرة الارتشاء، باعتبار أنه لا يستطيع حتى وزير مسؤول أن يضمن بـ قاءه بدونهـ ما. كـما تزدهر الاشــاعات التي تبـــثهــا المخابرات السمرية الغربيمة وأتبائها المتمعلقة بضربات جمديدة وتنظيمات طالبان والقتاصة الوحشية المهيمنة على الروح الأفسغانية. ولا يقتصـر الازدهار على ما سلف ذكره في العاصمة الأفغانية فحسب، وإنما يزدهر فيها أيـضاً ما هو جميل وممتع. وعلى سبيل المثال في يوم الجمعة الذي يعستبر يوم عطلة رسمية نجد الكل يشتغل: إما لأنه يتحتم عليهم الشغل، أو لأنهم يريدون ذلك أو يستطيعونه. في هذا اليوم تزدهر سماء كابول بالطائرات الورقية «الستنين»، ذات الألوان السارة التي صنعمها الأطفال من مسواد بدائية، هي أوعمية البملاستيـك القديمة وأوراق الصحف المتهالكة وأغمصان الشجر إلى جانب العُصيات الصفيرة، وقد ربطوها بخيوط جـ علتها تحلق عائيـــاً في سماء كابول، ذات التــــلال المرتفعة. وقد يصل علوها إلى حدود المئة متر، مع العلم أنهم كانوا ممنوعين بشكل مطلق من ممارسة هذه الألعاب خلال حكم طالبان الذي استمر ست سنوات. لكن هذه الألعاب التعشت الآن وازدهرت من جديد عبــر نوع من الابداع والدقة وكأنها لم تتوقف نهائياً من قبل، حسب ما وصفه الكاتب خالد حسين، المنتسمي أصلاً إلى مدينة كابول ويعيش حالياً في أصريكاً. فهقد جماء في روايته التي تحسمل عنوان: «اللاعبون بالطائرات الورقية The Kite Runner»، ونشرت في برلين ٢٠٠٣، وصفٌ بارعٌ لذلك، حيث صنع تمثالاً أدبياً رائعـاً لأطفال الطائرات الورقــية في كابول. أما التحليق السعالي لها في أجواء كابول، الذي لا يمكن تجساهله فله ما يتاسب على أرض المدينة نفسها، حتى بالرغم من كون ادراك ذلك يعتسبر أقل سهولة عبر أزقتها وشوارعها المكسوة بالأتربة، والسخام والهباب.

وللمقارنة، فالذي قد يكون ضل طريقه يوماً ما وتوظ في الاحياء الشعبية في وللمقارنة، فالذي قد يكون ضل طريقه يوماً ما وتوظ في الاحياء الشعبية في ارتسامات مالوفية للديم في مدينة كابول. ففي هذه المدينة التي بقسيت إلى ما قبل صنين فقط يُنظر إليها وكأنها في اقصى نهاية العالم جموداً، برى الانسان في كل وارية من رواياها في الوقت الراهن متاجر ودكاكين صغيرة مليئة بمختلف السلم ارتباضاته، وضيها يتجول بالنمو الخفس والفواكه بصرياتهم البدوية عارضين أنواع العنب والتضاح والاجامى التي اشتهرت بها كابول منذ القدم. وبدو ورشات الحنب والتضاح والاجامى التي اشتهرت بها كابول منذ القدم. وبدو ورشات الحرف البدوية المطلة بنواصهها على الشوارع والتي ضالباً ما اصتلت جزءاً من طريق السير على الأقدام، تبدو رهم تمع وتموج بنشاط محموم يسمح للانسان بالاعتماد في حدوث مصجرة أقتصادية. إذ خالها ما يكفي استخدام فمناح الصمولة وقطعة قداية من المطاط ومنفاخ هواه لتتحول بقعة صغيرة من الشارع

إلى ورشة مزدهرة لتصليح الدراجات الهواثية. فالحفر المناجمة عسن ضربات القذائف والصواريخ الدائمة الحضور في الشوارع تجبر السيارات على تخفيف السرعة إلى ثلاثين كيلومتراً في الساعة، أي إلى السرعة الطوباوية التي يحلم الزائر الغربى لكابول بطبيعة الحال رفع سبابته للتحذير والإنذار: الأفغان ماوالوا لم يسمعوا شيئاً عن حماية البيئة. وتبعيأ لدراسة للأمم المتحدة فيإن سكان كابول يستنشقون يه ميا هواءً ملوثاً يعادل استهلاك خمسة وخمسين سيجارة، بل حتى الدقمة البارعة نفسها التي تحول نفايا البلاستيك والصحف القديمة إلى طائرات ورقية لا تزدري بدورها قيمة احراق تلك المواد، مع الإشارة إلى أن دورة اعادة استخدام المواد القديمة لها طابع شمولي عام، لدرجة أن القمامة لا تبقى لفترة طويلة ملقاة في الشوراع لأن الجزء الذي لا يريد الانسان استهلاكه منها تتولى الفئران أو القطط استخدامه. وإذا حدث، رغم ذلك، وتجمعت أكوام القمامة والفضلات بشكل ثابت مستقر فإنها سرعان ما تنمو وتتحول إلى هضبة حقيقية تستخدم إما لقضاء حاجة الانسان دون خجل وإما

كمرعى للدينة. أما الشخص الذي ماوال يتذكر ويعرف منذ السينات والسبعينات صور مجموعات الأوز وهي تهدهد نفسيا على ماتن حيث ماتن على المائة كتنفق بنظرة على ذلك كتنفق بنظرة على ذلك المجلول الإسمال المائة المؤرة على ذلك الجلول الأسن المثن المواقعة داخل مجمرى النهور للحاصر بالفضلات والقمامة من جيمير الجهات.

كل شيء ممكن في عاصمة أفغانستان

نقيها تم آنخاذ قرار نهائي في صبف الفوضى الطويل بوضع دستور قال للبلاد في نهاية العام الحالي او بداية العام المقبل. وبينما يتحتم غالباً على العاملين في السفارات الغربية وعلى الكثيريين من العاملين في منظمات الإغاثة الدولية فيسر المحكومية، أن لا يتحركوا داخل اللدينة إلا بعد الحصول على سائق خاص مسبق، كما لا يجوز لهم أن يتجولوا دون صحبة سائق وسيارة جيب صحكوية لاسباب أمنية كما يقال، فيه الأفواج الأولى من السواح تقاطر على شارع متاجر السجاد والزوابي فاي الترصيف الأنيق وهم يحملون بإسابهم قطع الاكور والسقاطات. لقد استلات كابول بالاجانب لدرجة أن

Kint Miller 1 July 1 Tuly 1 Tu

نے دروف ت Fikrun wa Fann

أصحاب الفنادق المتواضعة التي ثم تأسيسها على أنقاض الفيلات القديمة، صار بستطاعهم الآن مطالبة النزلاء بسبعين دولاراً لسلمبيت ليلة واحدة فوق مسرير بسيط. أما الصحفيون والعاملون مع المنظمات غير الحكومية ورجال المال والأعمال فإنهم ينزلون بها للأقامة لمدة قصيرة وأحياناً لشهور عدة. وقد تم الحفاظ على الأسـعار المرتفعة بشكل اصطناعي عبسر الأموال المخصصة لمساعسة أفغانستان من جميع أنحاء العالم. لذا فإن القسم الأكبر من تلك الأموال لا يصرف في الواقع في مجال خدمة مشاريع البناء والتنمية وإنما يتم ابتلاعه من طرف تكاليف المواد اللوجــستية أو في معظم الأحبوال من طرف رواتب الموظفين الغبربيين ذات الارتفاع الصاروخي بشكل مبالغ فيه. فهؤلاء وبدافع من الحرص على المكاسب المالية يعملون بكل قدواهم على ترسيخ صورة الوهم القائل بأنهم يتعرضون للأخطار في كابول، وبناءً عليه يتحتم حصولهم على كل ما يمكن من تعويضات مقابل الأخطار المزعومة ويبجدر القول بأن حالة الخطورة هناك يجري تقديرها رسمياً بشكل مبالغ فيه، لدرجة أن وزارة الخارجية الألمانية على سبيل المثال لا تسمح لعائلات المبعوثين من طوڤها إلى هناك في مهمة بالالتحاق بهم أو السكني معهم الكما حدث مع المعلمين الستة الذين كُلفوا بتعليم اللغة الإلمانية بمدرسة «أماني»، مع الاشارة إلى

أن رواتب أغلب ا المعلمين الأفخان بهده المدرسة لا تتجاوز لجدود ئسلائسين دولارا فالمي الشهر، وبالتالي فها غير متحمسين الأداه مهامهم بشكل أفضل. صحيح أن ألمانيا أنفقت مبلغ ممليوني يورو لتسرميم ذلك المبنى المدرسي الفسخم الذي تم بناؤه عام ١٩٢٤، لكن مع ذلك نجد قانون الميزانسية الألمانية لا يسمح برفع أجور المعلمين الاقغان إلى خــمــسين دولاراً في الشهر. في الوقت الراهن تحاول إحدى الهيشات التشجعية تقديمالساعدة

لإزالة هذا الوضع المزري، لا سيمــا وأنه منذ الآن أصبحت الصفوف المدرسية مكتظة/بالتلامية الذين قد يصل عددهم إلى خمسين تلميداً في الفطل الواحد، ولا أمل في تحسين الوضع. أما تدشين هذه المدارسة الذي وقع يوم ٢٢ أيلول/ سبتمبر وحضره عدد من الشخصيات السياسية الألمانية البارزة ضمن إطار من الآيلة والاطراء فاينه لم يستثن نفسه من مظاهر النفاق إلا ينسبة قليلة بسبب العناصر الأنفة الذكر. إن وزراة الخارجية الألمانية وفي نطاق عرضها للوضع العام في الفغانستان لم تنصح المواطنين بالتخلي عن السفر نهائي ﴿ إلى هناك بصفة عامة فحسب، وإنما نصحتهم أيضياً بعدم التسجول ليسلاً في شــوارع كابول، بل وبعــدم التجول نهاراً أيضاً خارج الشوارع الرئيسية للمدينة. أما العاملون في السفارة الأمريكية المرابطون في حاويات معدلة من السفن ولفتــرات تتراوح بين سئة وتسعة شــهور وكأنهم في حظيرة دجـاج لإنتاج البيض، فهم لا يجـوز لهم مطلقاً مغادرة منطقة السفارة إلا بإذن خاص. لكن من لم تتح له أي فرصة للتجول في شوارع كابول فهو لن يستطيع تأكيد الحقائق التالية مثلما فعل كاتب هذا المقال. إذ أنه أكدُّ بالممارسة والتطبيق أنه في واقع الأمر ليس من الخطورة بمكان أن يتجول الانسان في شموارع كابول سواء أكان ذلك ليلاً أم نهاراً، وسواء أكان ذلك في الشوارع الرئيسية أم الأزقة الفرعية، أو حتى لو

تعلق الأمسر بالتجمول وسط الأكواخ الطينية الممتدة على طول هضاب كابول، حيث تشاهد النساء فوق سطوح المنازل وهن ينشرن الغسيل ويبتسمن لشخص ما دون خـوف أو انزعاج، وهذا مــا عكن الانسان من التشاط صور لأطفالهن وهم يلعبون بالطائرات الورقية. إن شسوارع المدن الأتية، نابولي واسطنيول وموسكو تعتبر أشـــد خطورة من شـــوارع كابول؛ أما المناطق التي لم يكن يسمح فيها للأطفال، وإلى ما قبل سنستين بممارسة اللعب، فإنها صارت الآن



أطفال بلعبون بالطائرات الررقية، كابول، أيلول/ سبثمبر ٢٠٠٣

مناطق يمكن الحصول فيها على كافة أنواع الخمور، كسما تشاهد بهما صفوف من الممومسات ذوات الأصل الصيني والروسي. في ذات الوقت يحتفل العـــاملون مع بعثة الأمم المتحدة المصابون بكوابيس الاحساط والرعب مساء كل خميس داخل فيلاتهم الخاصة وهم محاطون بحراسة مشــددة وكانهم يعيشــون في نيويورك أو برلين. إنه أمر لا يعدو أن يكون مجرد مبالفة في أشباع النزوات الجامحة وارضائها. وكل من يحمل معه قدراً من المال يستطيع ارتياد المطاعم الفاخرة المنتشرة في كابول، سواء منهما الصينية أو الهندية، أو الألمانية أو الايطالية، بل وحتى الأفغانية كذلك لتناول وجبات فاخمرة. هذا ويلاحظ المراقب جملة من العسوالم المتوازية تحكم كالأ منهما قوانينه الذاتية الخاصة والصارمة. بيد أن من يتمكن من التنقل بين ربوعها يستطيع أن يجني ثمار الفوضى في كابول، وبمقدار لا مثيل له في أي بقعة أخرى من العالم في الوقت الراهن. وعلى سبيل المثال: هل يود أحد إجراء حديث مع وزير الثقافة؟ هو لا يحتاج سوى إلى نزهة مـشي على الأقدام ليصل إلى مينى وزارة الثقافة .

المكتب في الطابق الأول يمائي هذا كجسواب على السؤال القسائل: أين يقع مكتب الوزير؟ ويدون أية سرافسة أو تفتيش. وعندما لا يجسد الزائر الوزير في مكتبه فسيمكنه التحدث مع المستشار الأقرب للوزير.

إنه: راهناوارد زرياب، أحمد الكُتّاب المشهمورين في بلده ويكتب بلغة الداري «الفارسية». فبعد أن أمضى فترة منفاه في فرنسا، خلال عهد طالبان، عاد إلى بلاده بصفة نهائية، مثلما فعلت أقلية من المشقفين الأفغان المغتربين. وقد عكف خلال الشبهور الأخيرة على إعداد قانون جديد للإعلام، سيكون أعظم القوانين ليبرالية في العالم الاسلامي على الإطلاق، إذا حظى بمباركة الحكومة وموافقتهما، حسب ما ورد في حديثه، لأنه لايلحظ فيه أي وجود للرقابة. وحتى لو سلَّمنا جدلاً بوجـودها فإنه من الجائز أن لا يتم تطبيـقها في الظروف الراهنة وتحت المعطيات القمائمة. إذ أن هناك أكثر من ١٨٠ صحيفة ومجلة تملأ أسواق كابول في الوقت الحاضر. ويتحــتم ظهور هذا الكمّ بانتظام وبنســبة تقل أو تكشر، بل وحـش لو كــان الأمر يتسعلق بجــرائد تتسراوح صفحاتها المطوية مابين أربع وثمان صفحات فقط، فإن هذا السيل المتدفق من الصحف غير قابل للمراقبة على الإطلاق، لا سيما وأن الدولة الأفغانية مفلسة تماساً، كما قال زرياب. لأن مليارات الدولارات المرصودة للمساعدة على بناء السغانستان، تكاد تمنح بالكامل للمنظمات غير الحكومية ، أي أنها تبقى في الأيادي الغربية ، تبعاً لما احتج عليه الكاتب وانتقده. فالحكومة الأفغانية لم تُتح لها أي فرصة للبرهنة على قدرتها على العمل لانها لا تحصل على

الأموال، وهي لا تحصل على تلك الأموال لأنها ما زالت لم تبرهن بوضوح على قندرتها على المعمل والانجماز. وهكذا، وحسبما يقـول زرياب، تبقى الحيـاة الثقافـية في مرحلة الطفولة دون تقدم أو ازدهار، لأن جميع الصحافيين الموهبين المتمكنين من اللغات الأجنبية يشتغلون مع منظمات الإغاثــة الدولية التي تمنحــهم رواتب وأجوراً أفــضل، وهي تستخدمهم إصا كسائقي مسيارات أو مشرجمين، بدلاً من اشتغالهم في حقل مهنتهم الأصلية. ومن المفهوم بداهة أن تكسب القموى الرجعيمة داخل حقل الصحافة الأفضانية المتناحرة وزناً لا يتناصب مع حجمها الحقيقي. وحسبما يراه عالم الآثار الاقغاني ظافر بايمان، الذي أنهى دراسته بقرنسا، فإن تقاعس المثقفين الأفغان الذين غادروا بلادهم في الخمس والعشرين سنة الأخيرة عن العودة واحجمامهم عن الالتزام ببناء وطنهم يعتبر أمسراً غير مفهوم لديه وغيسر مقبول، لأنه شخصياً كان يزور أفغانستان بانتظام حتى في فسترة حكم طالبان. كما أن المخاوف التي يعبّر عسنها المهاجرون الأفغان بسبب التطورات الجارية بالبلاد هي أمور غريبة عنه. لذا فهو يحذرهم قائلاً: " بمقدار ما تتأخير العودة سشكون القدرة مستنقبلاً على التكيف مع الأوضاع الجنديدة المتطورة بسرعة مذهلة والتماهي مع الوطن والاندساج فيه أضعف وأقل. " أما الاستثناء الوحيد المشهدور في هذا السياق فيمثله الرواثي الشاب والمتتج السينمائي عمشيق رحيمي، الذي يعيش حالياً بفرنسا (انظر صفحة ٨ مقابلة مع رحيمي)، وهو قد اشتهر في السنوات الأخيرة على المصعيد الأوروبي كذلك عن طريق كتمايين أصدرهما، وهما: «أرض ورماد» و «الحرب والحبه. ويدعم فسرنسي تمكن من تأسيس دار للطباعة والنشر في كابول، ويقوم حالياً بانتاج فيلم سينمائي شمالي البلاد بناء على نص حوار كتبه بنفسه. ويتهمه بعض الزملاء في المنفى بالسذاجة، لأنه لم يتراجع أمام التكسات والتطورات المنحرفة في أفغانسـتان، وإنما على العكس من ذلك هو يتسمسك بالتأكسيد على الدلالات والأشارات المشجعة. ويقول رحيمي في هذا السياق: "لقد منحت فرصة فريدة من نوعها الأفغانستان عمقب اعتداءات الحادي عشر من أيلول/ سيتمبر، وهي فسرصة لا يجوز السماح يضياعها. " ويضيف قـائلاً : " يكاد يكون من غير المفـيد على الإطلاق أن يمضى أكثر المثقفين الأفغان مراحل عمرهم في المهاجس والمنافي. " ثم يتساءل: " لماذا لا يعسودون إلى بلادهم؟" ويضيف: "إن السلام والديمقرطية وحشوق الانسمان والرفاهية مطالب يجب الكفساح من أجلهما على أرض الواقع في البلد، ولا يستطيع الانسان الحصول عليها عبر الخيالات والأوهام الشاعرية. "

ترجمة: محمد الراكشي

Atiq Rahimi عتيق رحيمي

أفغانستان: الثقافة أو لاّ

حوار مع عتيق رحيمي

عتيق رحيمي رواثي أفغاني شاب مقيم في فرنسا، نال شهرة واسعة في أوروبا في السنوات الأخيرة بفضل عملين روائيين صدراً له مؤخراً بعنوان «أرض ورماد» و «الحرب والحب». وبعد سقوط حركة طالبان قام رحيمي بعدة زيارات إلى أفغانستان. والإلقاء المزيد من الأضواء على الحركة الثقافية في أفغانستان وموقف مثقفي المنفى من العودة إلى بلادهم تنشر «فكر وفن» هذا الحوار مع رحيمي:

> سيد رحيمي، إنك من الأدباء الأفغان القلائل الذين لا يزلون بعتقدون أن للعملية السياسية القائمة بعد سقوط طالبان مستقبلا ويقفون موقفا بعزز مسيرتها. هل أنت ساذج، كمما يدهى منتقدوك أم أن زملاءك الكتباب متشاثمه ن جدا؟

رحيمي : (ضاحكاً) لا اعتقد، أنني ساذج. زرت أفغانستان في السنتين الماضيتين خمس مرات وسأعود بعد فترة قصيرة إلى كابول وغيرها

من المدن لعسمدة شبه ور. إذن، أنا أتحدث عن وقسائع عشتها شخصيا في أفغانستان واستخلص من ذلك، أن وطلمنا قد مُنح فرصة جديدة وعظيمة ونحن لا ينبغى أن نتسهاون مع من يريد انتزاعها من أيدينا. على العكس



عنيق رحيمي، تصوير: Cleassen Verlag

من ذلك ينتقد زمالاتي الكتاب، ربما بحكم الهنة، أوضاعا، هي في الحقيقة من بنات أفكارهم. معظمهم لم يكونوا في السنوات الخمس الماضية في الفعانستان، أي أنهم ليسوا على دراية بالأوضاع القائمة هناك.

ليس من الضروري أن يجوب المرء أفغانستان، لكي يعرف أن الحكومة المركزية ضعيفة وأن القادة العسكريين الشماليين أقوياء جدا، لدرجة أن المواطنين ما زالوا عرضة للاضطهاد وليس هناك تقدم في عملية إعادة إعمار البلد والأمريكبون، على ما يبدو، يقفون موقف المتضرج على الأوضاع، بلا خطة؟

رحيمي: لا أحد يدعى، أن أفغانستان بلا مشاكل. لكن، حين تنتظر، أن تنتفي الصعوبات من تلقاء نفسها، فإن علينا أن ننتظر طويلا. ماذا نعمل؟ ماذا يعمل السادة والسيدات الذين أصبحوا متخصصين منذ عقود بانتقاد الأوضاع السيئة في أفغانستان، كي تنقلب الموازين؟ فالسلام والديمقراطية وحقوق الإنسان والرفاهية ينبغى انتزاعها، فهي لا تستحضر شعيريا. كلنا نعرف، أن مشكلتنا في أفغانستان ليست سياسية، بالدرجة الأولى، إنما ثقافية.

هذا يعني، علينا أن نتعلم أن نوفر لكل مـوقف معارضة، بل إنه ينسخى وجود ذلك. حين تراقب تاريخ أفخانستان طيلة الشلاثين سئة الماضية، مسوف تستنتج أن كل نظم الحكم التي سادت في هذه الفترة، سواء كانت جمهورية، شيوعية، ديمقراطية أو إسلامية، كانت حكومات تعسفية غير شرعية. أي بكلمة أخرى: مارسة القوة الغاشمة ضد أصحاب الرأي المغاير ذات تقاليد عريقة في بلادنا، وهي تترك بصماتها على أعمالنا باستمرار. هذه التقاليد التي ترجع إلى العبصور الوسطى وإن شئت فهي الثقافة السياسية التي علينا مكافحتها بهدف دحضها على المدى

کیف تود القیام بللك؟

المشقفون والأدباء والعلماء وكال المبدعين بشكل عام هم المعنيون بذلسك، بالدرجة الأولى. علينا الآن أن نشمر عن مراعدنا، بدلاً من أن نأتف من عنف القادة العسكريين الشماليين وتنقسم في أجنحة مختلفة. فالمدارس والجامعات وهيشات تحرير الصحف والوزارات بحاجة إلى أشخاص أكفاء. هناك الكثير من الأفغان الذين يعيشون، في الوقت الحاضر، في المتفى الأوروبسي أو الأمريكي، إن جاز لي أن أقول، فـإنهم يكادون يمضون حيـاتهم هناك في ضنك ومن غير جدوى. فلماذا لا يعودون إلى الوطن؟

إن أفغان المنفى اللمبن بمعودون من أوروبا أو أمريكا، تتمسقم صحافة كابول بأنهم منحطون باهمون أنهم أحرى الناس بكل شيء وهم ليسموا باكشتر من منظمي كالاب الشعربين الكفرة. ويتم تهديدهم وتحذيرهم عانا من أن يلول المنجمة ا يتقدمه مسمة للبحاهدين. وهده ليست بالأخيار المنجمة ا

رحيمي: دهنا من هذا، لتتصر في حديثنا على الوقائد. إن
مثاك عددا في كالورا التي في
كالورا التي في كالورا التي في
الوطن، ويالملت من الضرب، وترجه لهم، في المدالين إلى
الوطن، ويالملت من الضرب، وترجه لهم، في كالور وحدها. دها،
المنا عزير مرد، بيد أن هناك. في كالور وحدها. دها،
الم جريدة ومجلمة، إن هنداً هاتلاً كهذا لم يكن محروفا
تقط في تاريخ بلدنا، يدعم وضلب هذه الملسوصات إلى
ياترى لا يشير، أولك المطاهون من مواطني بلدي المقيمية
في باليس ويران أز نورولاك إلى هذه الاهوات؟

ما مدى معرفتك للوسط الصحفي في أقضانستان
 المعاصرة أو بكلمة أقضل في كابول وما صدى ألحرية
 المسموحة للعمل الصحافي؟

رحيمي في الدواقع جيدة بالطبع، أن اغلب الإصدارات الوصيدة. كذلك في كابول، ولكنها ليسست بالإصدارات الوصيدة. كذلك الحال في باريس، حيث هناك إصدارات أكثر من أي مكان المفات في فرنسا. إذن يبضي الا نسبع، أننا تتسحدت عن المفاتسات، وهكما يجب طينا أن نقوم المظروف عناك وفظ للمحافقة في كابول فينامكية جلا ومعتوعة. في الستين الماضيتين تأسست وصحف على مستوى جيد جلا، وهم تتقد، على صيل

المثال، الحكومة علناً. وأصبحت تشكل قاصدة مشجعة للأدباء الشباب وللتقفين في عموم السوطن. ألا يعد إصدار مئة وتمانين جريدة ومجلة، في كابول وحدها، في بلد تبلغ نسبة الأمية فيه تسمين بالمائة شيئاً هائلاً؟

القا أثناء إقامتك في كابول، جبرى اعتداء يعتقد أن الشاهر أموان قادة كلف المساور قادة على الشاهر الماء على الشاهر الماء على الشاهر الماء عند الماء عند الماء عندا الماء عندا الماء الماء

رحيـمي: أنا مطلع على كلتــا الحادثتين بشكل جــيد ومن الطبيعي أن أجد أنهما مؤسفتان للغاية. لكن لهذا بالذات ينسخى دعم القموى الديمقراطية في أفخانستان. لقد استخلصت درساً من خلال العديد من الحوارات التي أجريتها مع ثلة من الأدباء الشـباب، وهو أن الجيل الجديد في أفغانستان، متعطش لنظام ديقراطي، على الرغم من أنه شب في ظل الحرب. يتميز الشباب بنشاط حاد وسبق لهم تأسيس إتحاداتهم، يعملون بطريقة براهماتية للغاية من درن التوجس خيفة من أية أيدلوجية، كما بمارسون التنويو في أعمالهم. فقد نشرت في كابول قصة قيصيرة لكاتب شاب، أصبحت منارآ للاهتمام. إنها تتحدث في صفحة واحمدة عن خواطر اصرأة أثناء المضاض، من وجهمة نظر الراوي _ يكاد يكون هذا ثورة صغيرة بالنسبة إلى الأوضاع السائدة في أفضائستان. الكثير من المصحف أعادت طبع هذه القصة القميرة وأثير حولها نقباش لعدة أسابيم. لو قلت ليّ قبيل سنتين، أنه سيندور الحنديث ذات يوم في كابول عن الحب، لاعتبرتك معتوها. بيد أنه أصبح اليوم



احدى دور السينما في كابول تصوير: Stefan Weidrier

كل شيء ممكناً. فـهــل يمكننا في هذا الــوقت بالذات أن ننظر الكثير؟

■ هل تحقق تقدم في مشاريعك الخاصة في أفغانستان؟ رحيمي: نهم، مستاشر دارنا للنشر المسماة «اسبانه» في غضون فرزة قصيرة مستقلاً إلى نشر حوالي سنة كستب الولغين أفغان سنويا ولتشجيع القراء على قراء المزيد، منسمي للنصاور مع الإناعات الناجعة ومؤسسة التأشريون الحكومية، للتعريف بالمؤلفين في كافضة أنحاء المستروف المكومية، المتعريف بالمؤلفين في كافضة أنحاء الشرنسية وأوساط المشتقين، ينعى على ترجمة ووايتين كاتين أجنيين إلى كل من لفتي البلد الرسميينن (الباشتو و الناري)، وبالمقابل ترجمة كتايين لمؤلفين أفغانين إلى المناقب المناقبين المناقبين إلى كل مرجمة كتايين لمؤلفين أفغانين إلى المناقب المناقب المناقبين المناقب المؤلفين أفغانين إلى المناقب المناقب المناقب المؤلفين أفغانين إلى المناقب المناقب المؤلفين المغانية المناقبين إلى المناقب المناقب المناقب المناقب كار عام.

هل كان باستطاعتك، في الستين الماضيتين، أثناء
 تجولك في مناطق كثيرة من أفضانستان أن تتلمس تحسنا
 مستمرا في حياة الناس؟

رحيمي: بكل وضوح . لكني أريد أن أؤكد مرة أخرى، أنه ينسغي علينا ألا نسى، أننا في أفسخانستان. تأكد لي في وياري الأخيرة، قبل كل شسيء، أن الناس أخلوا يشعرون يشيء من الاطمعنان. من أين لي أن أموف ذلك؟ لائك لم تحمد ترى في صيرنهم ذلك الوجل والقنوط والاستصداد للدنف، الذي كمان يلحقظة المرة على عام من ذلك. من الطبيعي أن هناك أسياء سكنية حتى في كابول ينبغي على المرة تحاشيها بمجرد حلول الخلام، لكن هل يتخلف هذا على على هد في ياريس أو نيويورك على هد في ينجنف هذا

ما هو رأي رجل الشارع في حكومة الرئيس حامد
 قرضاى ووجود الجنود الأجانب في بلده؟

رحيسي: يسعر الناس بامل كبير، في أن حياتهم مستكون أقضل على المدى البحيد ويسرهم الدعم الذي يقسلمه الجنود الاجاني. حدثني اسكافي عجود بائه شهيه، خلال الثلاثين مستق الماضية، الجحيم بعينه، وإنه مسرور، لأن ذلك المهد قد ولى: أبناء وطنع في أوروب أمريكا لا يستطيمون ان يتصوروا تمام حجم مماناة الناس في أفضائستان، لما يبغي أن ننظر إلى أفضائستان بعود الناس الفاطين هناك.

هل تعتقد أن أبناء بلدك في أوروبا وأمريكا قادرون على ذلك؟

رحيمي: دعني أور لك حكاية من حكايات المسلا الشهير تصدر الدين. لاحظ لللا الحكيم فات ليلة في طريقه إلى البيت، أن رجعلا يبسحث من شيء ما في ضيره أصد تبحث؟ فرد الرجل قائلا: لللا الرجل الذي أصبته الحيلة، عمّا مكان بعيد عن مصباح الشارع وآمل في المستور عليه عنال. انتخت لللا الفطن وقاله، أيها الرجعل العلب، إن كنت فقدت مقتاحك في مكان آخر، فلماذا تبحث عنه في هلما تقدت مقتاحك في مكان آخر، فلماذا تبحث عنه في هلما عناك، بللك أورت أن القول، أن على أسناء بلدي وزملاني الكيمية ومائلة، لا يوجئوا عن مقتاحهم في أوروبا وأمريكا، لا يمهرا لم يقتاحهم من أوروبا وأمريكا، لا يمهرا لم يقتادم مناك.

أجرى الحوار: راتبيل آهانغ شامل ترجمة: على أحمد محمود



عبة بوشكاري نصوير : Knut Müller

مصطفى دائيش Mostafa Danesch

التصدي للكفار بالمخدرات الأفيون الأفغاني في مواجهة السلاح الغربي



جمال مدمن، حقول الأقيون في أتذائستان، تصوير: Roud Möller

لا يشتمل على أكثر من يبت مبني بالطين ويتر وساحة مرمة لا تزيد مساحتها على سنة عشر شراً مرمها، في ملم الساحة رغت ظلال أشجار أحاطها حاصب المقطم على الأرض. ولا أن الفيسوف على الوسائد المتنازة على الأرض. ولا أن الفيسوف الشباب المستكين للراحة منا ليسسوا حسجاجاً؛ أو أن الكشف النوراني، اللي ينسدونه في هذا المكان هو، وعلى أنني تقدير، ليس فا طبيعة دينة. ومع أن رزاحة الأفيون والحشيش حالمان للمصمولات الملان يشجيها المزارضون في هذا الإقليم كيات وفيرة ربيجودة عالى محظورة في أهذا التقليم المنازة على المنازة ومعان وتعاطيها عنها التقليم المنازة ومعان وتعاطيها عنائة على المنازة ومعان وتعاطيها عنائة على المنازة على المنازة والمنازة وتعاطيها عنائة على المنازة والمنازة والمنازة عنائها على المنازة على

شياً أسكر علا هواه البدراري الجافة التي تسودها في ظهيرة الصيف هذا حوارة تبلغ الحسين تقريباً ويكاد شمع الشمع الشمع الشمع الشمع الشمع الشمع الشمع المساء أن يخترق أغصان الاشجار الحسن الواست النائرة ظلالها على هذه الواحة الصخيرة الواقع على مشارف مدينة بلغ وأن يشق طريقه ، من خلال غبار المصحواء المختلط برائحة الحشيش والاقيون ، وللحيط بالضيوف من كل جانب، ويشريع ، على أحد الشلال القريبة، مقام يُرهم أنه يشم بالشاسية ، وكنان صاحب معلم قطن قد وهي الأهمية التجارية للموقع، فاختب الفريحة للموقع، فاختب الفريحة المؤسرة علما اللايرة المنازعة المؤسرة هذا اللايرة المؤسرة وكنان صاحب الموردة ، فضيات الإسراحة علما الذي النار الاستراحة علما الذي المنازعة علما الذي الاستراحة علما الذي المنازعة علما المنازعة علما المنازعة علما المنازعة علما المنازعة علما المنازعة الم

فتعاطيهما في سياق جلسات الهناء والصفاء أمر مستساغ كاستساخة شرب الشاي.

واتقع دار الاستراحة المتواضعة في قلب مكان عمه الحراب والمدارة إلا أن الأمر الذي تجدد ملاحظته أن هذا للوضع لم يتمره لا من قبل الطالبان ولا القوات الأسريكية. في سالف الزمن وقبل أن يلموها الإسكندر الكبيره وهو في طريقه إلى خزو أواسط آسيا قبل ميلاد للسبح بثلاثة قرود تقريباً، كانت تقف هنا شامخة مدينة بلغ التاريخية التي شماعت على أرضها خصصة آلاك من السنين والتي كان العالم الإسلامي يصمها أم المداني، ولم يكتشف المقبون الألويون، بعد كثرة رستطب مظامع الصوص القبود.

وتحت ظلال الأشجار تتناقل الأيدي النرجيلة وأقداح الشاي الأخضر. ويشارك المضيف، أيضاً، ضيوفه في هذه الحلقة؛ وهكذا راح ينشد أبياتاً شعرية لحافظ الشيرازي بين كل نَفُس دخان بارد يمتصه بمتعة وتلذذ. ولو غفل المرء عما يحيط به فإنه سيشمر، بلا ريب، وكأنه يعيش الأجواء التي تصورها قصيدة الشاعر الفارسي الكبير. إلا أن النظرة المعنة سرعان ما تعيده إلى أرض الواقع، فالتراجيل المتداولة ليست سوى قنان بلاستيكية حـولتهـا يدا عامل هاو إلى ما هـي عليه الآن، أضف إلى هذا أن الفحم الخشيس والقضيب المعدني المستخدمين في عملية التدخين، قد سخنا على مُوقد بالغاز وأن بصفهاً من الضيوف السالغ عندهم منا يقسرب من الثلاثين، قد طرحوا جانباً مدافعهم الرشاشة. وما هؤلاء الرجال إلا حفنة من قسوات غير نظامية يقسودها آمر إقليمي يسكن في بلخ، المدينة التي أمست صغيرة في يومنا هذا. ويرتدي صاحب المطعم اللباس الأفخاني التقليدي: بنطلون فضفاض وفسوقه قميص طويل. وكان هذا الرجل قد تحلى بعدد لا يحصى من سلاسل تنتظم عليها حبات لؤلؤ رجاجي كثير الألوان؛ وهكذا، فيهذه السلاسل وبقدميه العاربتين المتحجرتين من عظم ما عليهما من وسخ ويشعره الطويل

الذي لم يمر عليه المشط في يوم من الأيام وبلحيته الطويلة

المتدلية على صدره أمسى هذا الرجل يترك لدى الزائر الغربي

الانطباع بأنه يواجمه هاهنا خليطأ سرياليا جمم بين صفات

الدراويش والهيبيين. وبمتعة بينة يرينا المضيف طريقة تدخين

الأفيون: لا يجوز للمرء أن يتصور أن الطريقة المثلي للتدخين

تكمن، وبكل بساطة، في إشعال النار في المادة الشبيهة

بالصمغ أولأ وفي ابتلاع الدخان المنبسثق عنها ثانياً، فالدخان

لا يتصاعد من الأفيون إلا بعد تعريضه لدرجات حرارة كبيرة

جداً، أضف إلى هذا أنه سيتحول، إذا ما تعرض لدرجات

الحرارة هذه، إلى سائل. والإثبات ما يقول فإنه يسضع حبة

أفيون خمام بنية اللون على قضميب معدني ويعرضها للنار

المنبعثة من الموقد الغاري تاركاً الأفيون يلوب فوق عنق

الزجاجة؛ وبالترامن مسع عملية المذوبان يبدأ يمتص، عسر خرطوم رفسيم أدخل في الفتحة الجانبية للوجدودة في جدار القتية، الدخان الذي يبرده لله الموجود في القنينة.

وبالرغم من نظرته الداردة لا يضوته شيء أو يخفى عليه. فهو يقطع حديثه مراراً وتكراراً ويقفز من مكانه لتلبية ما
عليه الزابان. يجلب من كرخه كيسا صغيراً يعتوي على
الحشيش والأليون، وعلى ما يبدو فإنه يتوافر في كوخه ما
الحشيش والأليون، وعلى ما يبدو فإنه يتوافر في كوخه ما
على خزين كاف. وحسب ما يقوله بضخر واعتزاز، يأتي
كبرى المدن في ملما الإقليم، ويضيف قائلاً: "الآن لا تزال
كبرى المدن في ملما الإقليم، ويضيف قائلاً: "الآن لا تزال
إلحال تتصف بالهدوء طبعاً"، "ينبغي عليكم أن ثائوا في
إحلى الأصبيات. فأنا أستلك مولدة كهرياء، إننا نقيم
خفلات صاحبة تنشي فيها حتى الثمالة. لن يعترضكم
أحد مثاء إن أفغانستان بلد تبروه الحرية."

إنها الحقيقة بعينها، فالحفلات المتهورة في هذا المكان المدمر الخرب تقام على مرأى من الأمر العسكري لهذه المنطقة، هذا الآمر الذي لا يبعد مقر قسيادته سوى ماثتي مستر عن مركز ممدينة بلخ، تماماً عند ساحة المرور المواقعة في وسط المدينة. ويجلس نفسر من قواته على سطح بناية متمقدمة الموضع لكي يسجلوا بكل دقة كل من يدخل إلى المدينة الصغيرة أو يغادرها. ومع أنه لم يكن هناك إذن مسبق، إلا أن القائد سرحان ما وافق على إجراء محادثة صحفية قصيرة، وبالتالي وبعد مـضى دقائق وجيزة خرج الآمر من الدار الرئيسية وجاء مسرعاً للرد، طواعية، عملي أسئلة الزائر. كمالا، كلا، رد قائلاً فوراً وبلا تردد، في المنطقة الواقعة تحت إمرته لا تزرع المخدرات. وأراد أن يؤكد ذلك فراح يقسول: "لقد أشملنا النيران في الكشير من حمقول الخشـخاش"، وواصل حديثـه مؤكداً "أنه سـينزل أقصى العقاب بكل من تسول له نفسه بيع أو تعاطى المخدرات. " ومع هذا تظل الشكوك تحسوم حول كسلمساته التي ترن في الأذن كما لـ وكانت قد انبشقت من أعماق الحقيقة. فمن ناحية دورية الحراس، الذين راحوا يراقبون المكان من على بعـد أمتــار قليلة ويدخنون الســجاثر التي لفــوها بأيديهم، ينتشر دخان تفوح منه رائحة الأفيون.

ولو خلع بزته المسكوية، لبدا الجنرال حمزة، آمر بلغ وما يحيط بها، بلحيته السوداه التي تخللها الشبب كثيراً، فلاحاً من فلاحي المنطقة. وفي الساعة الواحدة ظهراً تبدو عبناه للمحروان كما لو كان النَّرَّمُ قد جفا جفه. ويتمي حمزة إلى مجموعة للجاهدين المساة الجمعية الإسلامية، التي قادت حرب عصابات، في بادئ الأمر ضد للحتلين السوفيت، ومن ثم ضد الحكومة الشيوعية، واخيراً وفي إطار التحالف الشمالي ضد حركة طالبان إنها. إلا أن الحقيقة تشهد على أن الإبطال الافنان، أيضاً، يتمون ويخسدون في يوم من

الأيام. فسفي السنوات الأغيــرة، ترهل جــسم الجنرال وزاد وزنه كما هو باد للعــيان، وهكذا صار الجنرال يتحم بالأرباح التي تدرها عليه وظيفته الرسمية.

ويخضع آمر بلخ، بدوره، إلى أستاد عطا، الذي هو أحد المهيمتين على مصائر الأمور في صزار الشريف. فبعدما طردت الولايات المتحدة الأمريكية الطالبان، هجم القائد الطاجيكي على نحو مفاجئ على مزار الشريف فصارت تخضم لإمرته وإن كانت قد خضعت، لأمد طويل، لإمرة الجنرال الأوزبيكي عبد الرشميد دومشم. وفي الوقت الذي يُظهر فيه الجنرال عطا وجنده، بشيء من الفخر والتحدي، سيطرتهم على المشوارع، ينزوى جنود دستم حابسين أتفسيهم في معبسكراتهم. ولكن، ومع هذا، فيإن التوتر حقيـة قائمة بدركـها كل من يتمعن في الأمسور؛ ففي أية لحظة يمكن أن يندلع القتال بين الخصمين اللذين سادت بينهمـا حرب ضروس في التسعينات، أي قـبل أن يوحدا جهـودهما في إطار التحالف الشـمالي. ويكمن الأساس المتين الذي يستمد منه الأوزبيكي قوته في مقسره العسكري الواقع في «شابارغان» الواقعة إلى الشمال من مزار الشريف وفي قلعة «كـالاهه يان»، أي في الحصن العـسكري الواقع خمارج المدينة والذي كمان ممدار العمناوين الرئيسميمة في الصحافة عام ٢٠٠١ وذلك بسبب مقتل أسرى يتتمون إلى حسركة طالبان قدر عددهم بحسوالي ٢٠٠ رجل. وكان هؤلاء الأسرى قد قـتلوا بنيران الـطائرات الأمريكيـة التي جاءت لإخماد تمردهم على سجانيهم.

وكما هو الحال مع باقي القادة العسكريين، ارتقى عطا، الذي كان قد حمارب ضد الاحتلال السوفيتي، أيضاً، من مجاهد بائس معدم رث الثياب إلى أمير حرب ثري، يحتفظ لنفسه بحوالي ٦٠٠٠ رجل. فحينما يراه المرء وهو يطوف في شوارع المدينة ويصحبته قافلة تتكون من عشـر سيارات جديدة مصنعة للمناطق الوعرة يجلس فسيها رجاله للحاربون المسلحون بسأحدث الأسلحة، عندئذ يدرك السرء، على نحو تقريسيى، أن الحرب في أفضانستان قد غمدت تجارة وقميرة الربح. ونشر عطا نفوذه فأمسى نافذ الكلمة في مناطق تمتد إلى ٢٥٠ كيلومــترأ جنوب انفق سالانغ. في منطقــته هلم يتصرف عطا كما لو كان أميراً لا سلطان لأحد عليه، فهو يعين حكام الأقاليم والقادة العسكريين، وإن كان يخضع، كما يزعم هو نفسه، إلى الحكومة المركزية في كابول. وفي الواقع فإن للخدرات هي التي جعلت منه شخصاً ثرياً. في أفغانستان يحصل المرء على الربح الوفير من خلال المتاجرة بالأفيون في المقام الأول، هذه المادة التي يجـري تنقيحها في كافة أرجاء البلاد في معامل لا يحصى عددها والتي تهرب من هناك إلى أوروبا الغربيـة والولايات المتحدة الأمـريكية. وصار عطا يواجه الأمم المتحدة بنفس الصيغة التي يواجه بها حكومة كابول، فهو معتد بثقسه ويرفض أى تدخل بشؤونه. قصينما أراد مفتشو الأمم المتحدة في ربيع همذا العام منع زراعة الأفيون في الشمال، حال عطا دون ذلك وراح يعلن أن على المجسم الدولي أن يعسوض المزارعين أولاً عن الحسائر التي ستلحق بهم من جراء هذا المنع.

أحد مزارهي الأفيرن، تصوير : Knut Miller



ويجمع استاد عطا، في شخصه، بين الإقطاعي الكبير والقائد العسكري وبارون المخدرات. إن اجستماع هذه الصفات المشؤومة في شخص واحد ليس حالة نادرة، بل هو البلوى والمرض الخطيران اللذان يفتكان بأف فانستان المعاصرة .فنفوذ كارتلات المتاجرين بالمخدرات أمست له اليـد الطولى في الحكومة ذاتهـا. وللدلالة على ذلك دعنا نتحدث عن عبد الرسول سياف. لقد كان نجم هذا الرجل الأصولي النزعة قد برز إبان الحرب الأهلية حيث قام بإلقاء القنابل على العاصمة بلا رحمة أو هوادة؛ ولا ريب في أن ادعاءه الساخر المستهزئ بأن على المرء أن يدمر سطوح كل المتازل في كابول للقضاء على الإثم والمعسصية، قد رن في آذان سكان المدينة المدمرة رنيئاً ينم عن عظم ما يواجهون من امتهان واحتقار. أما في أيامنا الحاضــرة فإن سياف، الذي يقود ستة آلاف محارب أيضاً، قوة فعالة تقف خلف الحكومة وإن كان قد شاخ وغزاه الشيب. فإلى مجموعته ينتمى رئيس المحكمة العليا وعدد من الوزراء وحاكم مدينة كابول. وحتى الرئيس حامد قرضاي نفسه لا يرى مندوحة من الحصول على تأييده عند اتخاذ أية قرارات هامة، كما أنه يزوره باستمرار في مقر إقامته في *باغمان،، التي تبعد ٢٠ كيلومترأ عن كابول باتجاه الغرب.

وتكاد مناطق نفرة سيساف أن تتئاثر في طبول البلاد رصرضها. إلا أن مصمداد ثروته الرئيسمي يكمن في فإدائشانا، على وجه الخصوص. ففي هذه المدينة الواقعة في الشمال الشرقي من ألفانسان يبزرع القادة العسكريون الملاقرون بامره الانون في مساحات واسعة جداً؛ فالاتون المتلاع في معاملهم يصدر حتى إلى روسيا واروبا. ويسبب تدفق صبالغ طائلة من الدولارات أصسى السكان هناك يطاقون على بادائشان لقب فكريت الانعائية.

رفي هذا كله لا يرى هولاء المسلمون الاتقياء أي تناقض يون هذا كله لا يرى هولاء المسلمون الاتقياء أي تناقض يون تصديرهم للمخدرات وصا ينشأ عن هذا التصدير من إدمان وشقاء. وفي الواقع، فإنهم بهذا المصنيم محاوية الكفار المناسبة التي درج الطالبان على انتهاجها: السياق يقول وكيل عبد الوهاب: "لقد زودنا المذيب بالاسلمة لكي ينتل بعضنا البيضي المخدرات المناسبة لكي ينتل بعضنا البيضي الإخداء وواصل حديثه في مصدون بها أطفائهم،" وفي الواقع، فإن الاجرال الشارعة، هذا المصدر الذي كثيراً ما يستشهد به، قد اسمى يستقد بمنا الما المارية، "نعزم: فاتنا لا تتناول الحشيش، إن المنابئ مم الإسلام، " هذه عن الكمادت التي مممناها على المؤرق بين مزار الشريف وبلخ والذي تقوم ظهره من المزوق بل الزراع، وبلخ والذي تقوم ظهره على الدمال المرفق في الزراعة، ووضع المحل المعلى الموق في الزراعة، ووضع المحل المعلى المعلى الموق في الزراعة، ووضع المعلى المعلى المعلى المعلى المعرف في الزراعة، وهضعى الرجوا قاتلاً: "إن

المخدرات للكفار. " وهكذا، وإذا كانت منطقة نفوذ استاد عطا قد اشتملت في السنين الخوالي، على براري لا غير، فإن مزارع للخدرات قد اتسعت الآن فوصلت إلى حمافة الطريق. ويوسع المزارع هاهنا أن يحصم مرتين في العام: في أيار/ مايو تكون زهرة الخشخاش قد نضجت وأصبحت جاهزة لأن تتحول إلى أفيسون خام؛ من ثم يُزرع الحشيش. أما الآن، أي في الصيف، فقد نمت شمجيرات القنب وزادت كشافتها، فمصار طول الشمجيسرة يزيد على طول الرجل. ومع أن المزارعين يتنازلون للقائد العــسكري، لقاء حمايته لهم، عن نصف محصولهم أو عوائدهم المالية، إلا أن ما يتبقى بحورتهم يكفى لأن يتمتعوا بمستوى معاشى لا بأس به. وفي حين ينقطم التيار الكهربائي في مزار الشريف باستمرار مساء، تتوافر القرى المحيطة بالمدينة على الوفير من التبيار الكهربائي وذلك لأن العوائد المالية التي تدرها زراعة المخدرات أمست تحكن المزارعين من اقتناء المولدات الكهربائية وما سوى ذلك من معدات.

من هذا، لا عجب أن تتكاثر مزارع القنب المعتمة الخضرة، على مدى البصر، على جانبي الطريق المؤدية من منزار الشريف إلى بلخ وتركسانستان. ويحدث هذا كله على مرأى من الأمريكيين والبريطانيين المعسكرين في منزار الشريف والمنظمات التابعة للأمم المتسحدة المناط بها المساعدة في تعمير البلاد، علماً بأن العديد من هذه المنظمات يعمل في مزار الشريف أيضاً، فالسيارات تتنقل هنا بكشافة لا تخفى على العين، أضف إلى هذا أن مزارع الخشخاش وشجيسرات الحشيش بينة واضحمة لا يمكن للمرء أن يخلط بینها وبین نباتات أخرى. هذا ولم یعد، هنا، مزارع واحد يزرع الحبوب؛ فحمتي وإن تطلع المزارعون لذلك، فإنهم لا يستطيعون منافسة القسمح المستورد من البلدان الصناعية لأن أسعاره متصومة دعماً كبيراً من موارد حكومات هذه البلدان. من هنا، وإلى جانب المخدرات، يزرع المرء الفاكهة والخضار، فـقط، وذلك سداً للحاجة الذاتية؛ فمن بين أدغال الحشيش، التي تفصح حالتها عن مدى العناية الضائقة التي بذلها المرء من أجلها، نعم من بين أدغال الحشيش هذه يرى المرء هنا وهناك مزارع البطيخ وقد تميزت بمحصولها الأصفر اللون ويجفاف أوراق نباتاتها.

"ما اللي يدصوني لأن الربع الحبوب؟" ، راح بسأل غلام رضا الفلاح اللي يزمع مخدواته للكفار. "يبلغ العائلة المعالدة اللي أحصل عليه لفاء كيلو من الفصح» بالكاد، خصسة أفغاني ، أسا عائد كيلو الأفيون فإنه يصل إلى ١٩٠٠٠ حيثما تتمثل الأمر بالمالي، لا مراه في أن كل واحد سيفكر يشسه أولا. والأمر المالي تجدر ملاحظته هو أن الفلاح، للجبر على اقتسام عوائده مع "ولي أمره وحامية" الجنسي يعتمل أنش مرتبة في السلم؛ فإلى أن يتسجول الأخوون،

الذي يدر على المزارع مسلماً يساوي ٢٤٠ دولاراً للكيلو غرام الواحد، إلى هيروين وإلى حين وصوله ليد المستهلك في الغرب، ستخرف زمر غفيرة من الوسطاء أرباحاً خيالية. وكانت أسئلتي قــد استرعت انتباء صاحبنا فصار يرتاب من أني، شخصياً، أود اقتناء الأفيون. ومع أنه كان قد أكمل حساباته الخاصة بالإنتاج الأخير مع مندوبي القائد العسكري، إلا أن هذا لم يمنعه من الاحتفاظ بكمية يختزنها لمواجهة الطوارىء. لكن غلام رضا لا يزال موتاباً في الأمر: فماذا سيحدث يا ترى أو أن الغريب قد أراد أن يتجسس عليه؟ وماذا لو وصل إلى سمع القائد العسكري أنه لا يزال يتوافر على شيء يريد بيعــه وطالبه بحصته إثر ذلك؟ وبحلر وخوف شديدين اصطبحب غلام رضا، أخيـراً، الزائر إلى قريتــه المحاطة بالمزارع والتي تبــعد عن الشارع العام مسافة غير قصيرة. وكان هناك منزل يتصف بكل صفات منازل الفلاحين: من الحارج لا يرى المرء سوى جدار عــال مشيد بالطين ويحيط بالمنزل الصــغير من كل الجهات؛ أسا في الداخل، فهناك عدة غرف مفتوحة على فناء الدار وملتصقة بالجدار بميناً وشمالاً. وترتع، في قناء الدار، بسلام ووثام بقرة وعدد من الماعــز وكثــير من دجاج راح يدخسل ويخرج من الغرف بسين الحين والآخر. وتكومت في إحمدي زوايا غرضة المنوم، تبعماً للعمادة الأفغانية، فرش النوم: لحَف من كل لون تُطوى في النهار ويَلتحف بها القــوم في الليل وهم يتمددون على الأرض. وبتناره مسموع يتحنى رضا غبلام فينخرج من أسفل الكومة، بعناء بيِّن، لفافة ربطت بالخيوط بمهارة بالغة. ويعدما راح يرفع عن اللفافة عدة طبقات قماش، ظهر للعيان، أخيراً، قالب أفيون خام بني اللون يميل إلى السواد ويزن حوالي أربعة كيلو غـرامات. بهذه الهـيئـة يبيعـها المنتج؛ وللاستمهلاك المحلي تُمط الكتلة ثانية حتسى تتحول إلى هيئة حبال يستطيع المدخن، من بعد، أن يستقطع منها قطعاً صغيرة. وبناءاً على السعر الذي طلبه الشيخ العجوز تبلغ قيسمة الأفيون الموجود أمسامنا حوالي ١٠٠٠ دولار. ولكن، أهذه هي كل الكمية الموجودة لديه؟ كله، أجاب غلام رضا وراح يقول شارحاً أنه باع خمسة عشسر كيلو غراماً في هذا العام. وأنه يريد، في العام القادم، مضاعفة المساحة التي يزرعها ثانية. وللمقارنة: في أفغانستان يحسصل المعلم على راتب يبلغ ما يساوي ٣٣ دولاراً في الشهسر؛ المزارع الطاعن في السن يجنى من الأفسيون الذي ينتجه في العام الواحد عــائداً يبلغ قرابة ٣٨٠ دولار في الشهر. وحتى لو تقاسم العائد مع قائد المجاهدين، لتبقى لديه خيسر وفير بكل تأكسيد. ولا مراء في أن هذا يوضح بجلاء سبب فـشل كل الجهود التي بذلتها الأمم المتحدة، حتى الآن، للحــد من زراعة الأفــيون: فالمبلخ الذي يريد

المفتشون دفعه للمزارعين الذين يدمرون حقولهم التي يزرعون فيهما زهرة الخشخاش يبلغ، بالعد والتمام،

خمسمائة دولار فقط. في عام ١٩٩٩، أي في السنة التي سبيقت آخير سنوات حكمهم، أنتج الطالبان ٤٨٠٠ طن من الأفيون. بالنسبة للعام ٢٠٠٢ تقول الأمم المتحدة إن الإنتاج حطم الرقم القياسي، إذ يلغ ٥٠٠٠ طن؛ أما بشأن العام الحالي فإن المنظمات الدولية المناط بها المساعدة على إعادة أعمار البلاد تهمس بأن الإنتاج سيزيد على ٧٠٠٠ طن. إلا أن ضابط الشرطة كبير المقام في مزار الشريف يقول، بعدما أصر على أن يبقى اسمه مجهولاً، بأن على المرء أن يأخذ في الحسبان أن الكميمة المنتجمة مستزيد على ١٠٠٠٠ طن، وأنها مستضاعف في العام القادم، مرة ثانية، على ما يبدو. وأدلى ضابط الشمرطة بملاحظاته وذلك لأنه كمان قد جلب على نفسمه مصاعب جممة في سياق خملاقاته مع بارونات الأفيون المحليين. فهو كان قد وثق بالبسلاغات التي أعلنتها الأمم المتحدة ولذا فإنه أراد أن يكون في مقدمة المتصدين للمتاجرة بالمخدرات. وكان قد عشر في مخزن اإسرار تاج غورجـهاني،، رجل الأعمال المعـروف والذي يقال عنه أنه يمتلك ثروة تقدر بعمدة ملايين من الدولارات، على كممية هبروين صاف تزن ۱۳۰ كيلو غرامــاً وبقيمة تقدر بما يزيد على مائة مليون دولار في السوق العالمية. ومع أنه كان قد أبلغ الأمريكيين والقنصليات الأجنبية، إلا أن مافيا للخدرات المحلية استطاعت أن تغطى على الفضيحة. وهكذا قلت رجل الأعسال من الأسر سالماً آمناً، أما الشرطى الساذج فقد جنى الزجر واللوم وأمرآ صارما مفاده الا يتدخل، مستقبلًا، في مثل هذه المسائل.

وإذا ما افترض المرء أن الإنتاج المتحمقق في هذا العمام سيساوي ٧٠٠٠ طن، فسيسبلغ عندئذ الربح، المتواضع، الذي سيحقمقه صغار مزارعي الأفيسون ما يقرب من ١٠٧ مليار دولار. وفي المحيط الديبلوماسي يتحدث المرء بأن في أف فانست ان فسقط تدخل في كل عام _ ويغض النظر عن الأرباح التي يجنيها التجار للحليمون والأجانب خمسة مليارات من الدولارات في جيوب الأفغان المهيمنين على مصائر الأمور للحلية وذلك من خلال زراعة الأفيون وإنتاج الهيروين وتسهريب المخدرات. ومقارنة بهذا، فقد بلغت قيمة المسالغ التي تعهدت بدفعها الجسهات المانحة في مؤتمر طوكيو الأخيسر والمخصصة لإعادة أعمـــار البلاد ٥,٥ مليار دولار .. ولكن للسنوات الحمس القادمــة؛ هذا وسيوزع ثلثا هذا المبلغ على منظمات الإغاثة وثلث فقط سيكون من حصة الدولة الأفخائية. وإذا ما أخذ في الاعتبار أن جزءًا من هذا المبلغ مسيتواري عن الأنظار ويخستفي في جميوب بعض القوم، عندئذ سيتضح للمرء مغزى ما يقصده الأفغان

حيسما يزعمسون بسخرية تشوبها المرارة أن جهسود إعادة الاعمار ترمم الطبقات العليا من دارهم فقط.

وتطورت في أفغانستان ثقافة مخدرات شملت كسافة فئات الشعب. وبخليط من الإحباط والاحتجاج العنيد ـ لمَ لا يشاركون هم أيضاً بالثروة التي تدرها الأرض حقاً وحقيقاً ــ بدأ المواطنون يكيفون أنفسهم مع الحال السائدة. ويفخر واعتزاز يتمحدث والدا معصومة عن البسراعة والمهارة اللتين تحظى بهما ابنتهما البالغة من العمر تسع سنوات. فالصبية كانت تستطلع للحصول على جهماز فيديسو، إلا أن العوز المادى حال دون تحقيق تطلعمها. وهكذا راحت الصبية الصغيرة نزرع الخشخاش في فناء المنزل. وتتحدث الصبية عن نفسها فتقــول: "كنت في صبيحة كل يوم وقبل ذهابي إلى المدرسة أسقى الزرع بالماء وأزيل عنه الأعسساب الطفيلية. " في عملية الحصاد، فقط، ساعدها والداها. وتواصل الصبية حديثها فتقول: "أما الآن فإني أود الحصول على كاميرا وجمهاز تسجيل صوتي. ولذا فإني سأزرع ما هو أكثر من هذا في العام القادم. "، وتعين على بشير، البالغ من العمر سبعة عشر عاماً والطالب في الصف الحادي عشر من المدرسة الإعدادية، أن يتهض، بعد والنه على نحو مفاجئ، بتدبيس لقمة العيش للوالدة وللأخوة والأخوات الأربعة الصغار. ولكن، ولما كان الأب قد أورثه بضعة أراض صغيرة، لذا فإنه أقبل على زراعة الأفيون، فحقق عائداً بلغ ٨٠٠٠٠ دولار في هذا المام.

ولم يقتصر الازدهار العظيم الذي حققت ذراعة للخدادات على الشمال فحسب، يل هو هم البلاد قاطية. ويكاد أن يخصص هذا الإنتاج الكيسر للتصدير ققط. ومثاك العديد من المسالك الكيسرة للتهريب عمر من شمال افضائستان طاجيكستان ومن الشمال الفريمي إلى هيرات وتركمانستان عليرة، حيث يشارك حراس الثورة بجني آرياح عظيمة من غيادة للخدارات، بالإضافة إلى هذا هناك مسالك أخرى تقود، هر قندما أو هير العلوف الشرقي، إلى باكستان، الأنيون الضامة وإنفال الجمال يُستقل طالبية الأنيون الضامة من منعقة مزار الشريف إلى طاجيكستان، ويتكون المناطقة مزار الشريف إلى طاجيكستان، حيث تكون الهال المخدرات الأوربية بانظار الأنوون.

وكان مقصدي التالي هو قوندوز. وكان أحد القوم في مزار الشريف قد قال في ناصحاً، بأني إذا كنت أليد أن أرى بأم عيني أحمد مسالك الشهريب هذه، فيزته يتعين علي أن لا اسلك طريس «سالان»، بل يجب علي أن أمسلك طريق القوافل للسمى (إيرغاناك»، الذي يوصلتي، بعد ١٣٠ كيلو مسراً، إلى قوندوز. وفي هذا الاتجاه، وحسال يغادر المر، مسراً، التي مقالك سوى الصحراه، الوراعة هنا فير عكنة وذلك لعدم توفر للأه. وهكما يعم اللون البني الفاتح الشبيه بلون الطين الشلال المتزايدة الارتضاع رويداً رويداً .

والوديان العميقة ، وكانت معالم الدرب، غير المعبد والذي بانت معالمه من جراء مرور السيارات الخصصة لقطع الطرق الوعرة، تسختفي عمن الانظار باستمرار. فهله الارض، خلفقها حروب العقود الانجرة من الزنزال توجد فيها الخام خلفتها حروب العقود الانجرة من الزنزا، لا الرفيها لاحد غير المهرين. فليس هناك سبب آخر يغزي المرء بمجور هله، المنطقة ، فلا قرى الشرطة الاقضائية ولا مقدمو العون الاجانب يجرون على القدوم إلى هنا. بهذا لا أحد يخضع هله المنطقة المنتفوش.

ومن حين الآخر يرى للره من على البُحد قائلة جمال محملة بمتاع تقبل الورن؛ كما ويشاهد الجمال وهي تسلق، بتودة، التل أو تسحد في الوادي، وعلى مساقة تبعد عشرين أو ثلاثين عليو مشراً من قوندوز يقود الدرب الوهر إليها، ويشكل مفاجئ حادث القائلة، التي كنت أراقبها منذ حين، عن الطريق، فلماك بأتجاء أحد الوديان: على هذا النحر تحتب المهريون المماك بأتجاء أحد الوديان: على هذا يواصلون مسرهم باتجاء نهر آموداريه، الذي يشكل الحدود مع طاجيكستان.

وإذا كان هدف مافيا للخدرات الأفقائية يكمن فعلاً؛ لا في جني عوالله تبلغ المأيوات فحسب، يل وفي تسميم الكفار أفي المستات الأخيرة: فحسب ما يقوله مقتشو الأمم المحتاث المتحصود بالمخدرات، تصدر أفضائستان حالياً ٧٠ بالمئة من المخدرات المستهلكة في أوروبا و٤٠٠ بالمئة من الهيروين المخدرات المستهلكة في أوروبا و٤٠٠ بالمئة من الهيروين المخدرات المستهلكة في أوروبا و٤٠٠ بالمئة من الهيروين بي المؤلفات المتحدة الأصريكية. وفي الواقاق، ام يمتثم من ذلك ولا حمي الاخوة في الإسلام. في البلد على تعاطي للخدرات، أما في إيران فيإن الإدمان يتستشر على تعاطي المغدرات، أما في إيران فيإن الإدمان يتستشر المشيش، وحتى في البلدان الإسلامية الواقعة في أواسط الأعداد السوفتي، انتشر تعاطي المخدرات فيلغ عدد المعمنين فيها عدة ملايين، حسب ما يقال.

إثر نشوء الفسراغ السياسي الذي خلفته الفسرية العسكرية الغربية، تطورت أفسفانستان إلى معسل المخلرات العالمي. لقد ظلت التسهريحات بشسأن إعادة الإصدار واللديمقسراطية كلمات جوفاه. فالمروج المزدهرة التي وحد بها جورج بوش الأفضان تتكون من صوارع الحشخاض الكبيسرة ومن حقول الذنب المتصوحة.

ترجمة: عدنان عباس على

بين الأسطورة والواقع من كافرستان إلى نورستان

"لهس الكافر قاسيا بالسليسة، رغم اعتقاده بأن قتل المسلم ففسيلة تنسجم مع مبادئ دينه ورغم أنه لايستثني حياة امرأة أو طفل في غاراته على الأراضي المادية ولا يقيم لحياة الإنسان قيمة تذكر. ويصاب بالدهشة كل من يعرف مبلغ وحشيته ويقارنها بتحرره النسبي من الفسوة".

هذا ما كــتب الطبيب البـريطاني (السيــر) جورج مكوت رويرتسون بعبد أن قضى سنة بين هؤلاء «الكــفار»، الذين

إلى السلاط في كابول بثابة (هنائم؟، وجرى عزسها في قصر الأمير. منح ١٤ منها بعد ذلك إلى متحف كابول و ١٤ ألى متحف كابول و ١٤ إلى متحف و ١٤ إلى متحفي دفيسية Musse Guimet و ١٤ إلى متحفي دفيسة Musse Guimet و ١٤ إدرسل الملالي إلى الملالة والملالة الملالة المل



رجال نورستان، تصویر: Max Klimburg

المنطقة ، والمصروفون باسم «كماتي اKati الخربين، على أسادهم الجلد، فتم نفسهم في الحال إلي مناطق غير بعيدة عن كابول وحظرت عليهم المدود إلى وطفهم طوال عشرين منذة. ومنع وطن الكفار، كمافرستان السابقة، اسما يشي بالتنوير الذي نشره الوسلام هو انورستانه از الإدارة.

ظهر إلى الملا كتاب رويرتسون الشهير «تفار الهندوكوش» بالصدخة في تلك السنة للصحيرية باللت. عناش هذه الاتكليزي الماشور والشجاء بالذي يعمل لحسابه الخاص ولكن بتفهم من الحكومة البريطانية ، صنة كاملة تحتد بين 1941 - 1941 مع تضار كتاتي الموقيق في ذاعت شمهرتهم بين التمضاريس الجبلية لشمال ـ شموق أفغانستان كوثنيين قساة تواقين لقتل المسلمين.

تقرر مصبر هولاء "الكفار المتوحشين" في شستاه الإفغاني كافرستان، "أوض ٩٦/١٨٩٥ حينما غزا الجيش الافغاني كافرستان، "أوض الكفار"، يهدل تعليم هدا الثقافة القديمة، التي تضرب جدورها في الماضي ما قبل المسجى المحيد، وتحويل الكفار إلى مسلمين. ولم توفير النيران، يعدد أن أثنت الكفار إلى مسلمين، ولم توفير النيران، يعدد أن أثنت المستعد على المعابد والأضرحة وأماكن المعبادة والأصنام المستعدد والحرم من قابل المتعدد على من منافع من المراحد والحرم من قابل الاستان عنها عام ١٩٩٦، أو يعدد ها التاريخ بقليل، ثمثالا خشيبا عنها عام ١٩٩٦، أو يعدد ها التاريخ بقليل،

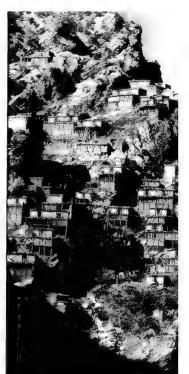


قریة جبیة فی تورستان، تصویر: Max Klimburg

رادي وباشغاله حاضر عنهم بعد ذلك في لندن صارضا العمور التي التنقطها بـ «الفائرس السحيري» ـ التي فقدت مع كل أسف ـ ، ومدونا العديد من القصص الشخصية الحكوية المفصلة والمزوقة بالملاحظات عن نظام معتقدات الكفار المحلين وحاداتهم وحياتهم اليومية. وحقق كتابه مدا نجاحا كبيرا وقتل لكونه وصف شساهد العيال الاول والأخير للكفار. ولهذا فقد استقبلت الانجار التي بلغت الكلترة، بعد فوة قليلة من نشر الكتاب، عن قسر الكفار على الإسلام بمظاهر عالية من الاحتجاج والحؤد. إذ نجح على الإسلام بمظاهر عالية من الاحتجاج والحؤد. إذ نجح روبرشون في تشديم صورة مساحرة عن الكفار فشلت

كافـة مشـاهد سفك الدمـاه التي سردها عنهم فــي تجريد خسارة كافـــرستان من معنى التفريط بثقافــة البدائية؟ حيوية ومثيرة.

اسدلت الستائر بعدال على الموضوع بعد أن أوقف حكام أشفانستان إجراء المزيد من الأبحاث الانزويولوجية في نورستان، مسمع في نهاية المطاف عام ١٩٥٥ ليصنة المانية متصددة الاختصاصات العلمية، وعنها مؤسسة الأبحاث الألمانية، في سبر غور للنطقة بحرية. وتجوته عمل البحثة عن اكتشاف الكثير من المعطابات الانزويولوجية الطبيعية والاثنية العامة. ولم يظهر أي بحث ميداني متخصص إلى



الوجود إلا بعد الحسرب العالمية الشانية على يد علماء دغاركين قادوا مجموعة صغيرة من علماء الأعراق البشرية والمنسات، ويأتي حسالم النسبات الدغاري لينادت إيداليزة الموافقة الموافقة الموافقة الموافقة الرويجي ج. مورخشتيرنه O. Morgensiterne عالم الماضاء الهندية الألماني جورج بودوس Georg Buddrus وكاتب الملماء المهتمون بالدواسات والإيحاث الميلةية حول الملماء المهتمون بالدواسات والإيحاث الميلةية حول كافرستان/ وروستان. ويامم من مؤسسة الأبحاث المهتمة المنادية المحالم المنادية عام 14 المعالم على عاقفه مهمة مسح

معظم أتحاء نورستان تقصيا لآثار ماضيها الكافر ثم تابع العمل لاحقا من خلال البحث المحلي المكنف.

إنها أختيفة ملّحة بالفعل أن ينجع من يطلق عليهم لقب الكفار بالاحتفاظ بمتصداتهم الفعارية في القدم وبتقاليدهم فالبسدائية حسى نهاية القرن الساسع عسس رغم العالم الاسلامي للحجول بهم. ولا شلك بأن سر ديموضهم الثقافية يود في الوديان الملتفة الاشجار للمسلس إلى عزاتهم في الوديان الملتفة الاشجار والشعيفة الانحدار بعيدا عن طرق التسجارة الهاسة التي تربط أسيا الوسطى بالهند. هذا إضافة إلى سمسمتهم كبشر نارعن للقسل التي ردع الغزاة للمنطقين ودع الغزاة للمحتبان.

يحتل وطن الكفار، كافرستمان/ نورستان، المكسو جرئيا بالغابات الكثيفة، مساحة تبلغ نحو ١٢ ألف كم مربع من الأرض الممتدة بين الجنزء الجنوبي من جبال الهندوكموش وشمال شرق أفغانستان، وبين الحمدود الباكستانية في الشرق ووادي بانجشير في الغرب. ويخدد هذه الأرض، التي تسيل فيها مسياه أنهر «اليشنغ» و «الينفار» و «بيتش» و «باشغال» وقروعها (من الغرب إلى الشرق)، عدد لا يحممي من الوديان البالغمة الانحدار والمحاطة بالجمبال التي ترتفع باطراد كلما توغلنا بانجاه قمة سلسلة جبال الهندوكوش الرئيسية. ويبلغ عدد سكان المنطقة في الوقت الحاضر نحو ١٥٠ ألف نسمة يعيشون في خمس قرى كبيرة هي: اكامديشا، (حیث عاش روبرتسون) و «نیشیغرام» و «وایغال» و «واما» و الرهونشيغال؛، التي يشـــتمل كل منها على نحو ٣٠٠ ـ ٥٠٠ منزل، إضافة إلى عند وافسر من المستسوطنات الأصفر، والأخرى البالغة الصغر. وينيت معظم هذه القرى بشكل مــدرج على السفوح المنحدرة و بما يــوقر ما يكفى من الأرض الصالحة للزراعة. وللبيوت المربعة الأحادية الغرف عادة (مع قبو)، والمبنية من خشب أشجار الأرز التي كانت جبال الهمالايا مصدرا غنيا لها يوماء هياكل من الحبشب تمنحمها في مختلف المناطق شكل مقالات لولبية. وهذا يعني أن تصاميم البيوت مناسبة تماما لمقاومة الهزات الأرضية. يرتكز الاقتصاد في المرتبة الأولى على الرعى والزراعة القائمة على موسم حصاد واحد في الوديان العليما. يعتني الرجال هنا بالمواشي الستى تتألف في الغالب من الماعز الذي يعتماش في الشتاء على أوراق شجر السنديان المقسدس. أما في الوديان العلميا فيسمود اقتصاد تنسيل الماشية. وينتقل الرجال مع حيواناتهم كل صيف إلى المروج العليا ليعودوا بعسدها في الخريف إلى واديهم. وكان القوم يستمتعون عمادة بموسم الهجرة المذكور بسبب غناء مصادره من الحليب والزبدة والجبنة، إلا أن الاهتمام بحياة الرعى قد عملاه بعض الصدأ هذه الآيام. ونادرا ما يشارك الرجال في أعمال الزراعة التي تقوم بها النساء عادة.

ويزرعون في الوديان الجنسوبية (الأوطأ) صطبحمات منحدرة صغيرة من الأرض غير الصالحة لاستخدام المحراث قيها. ان الخصائص الشقافية للكفار، بدءا بلغتهم ومعتقداتهم الدينية، وانتهاءا بأشكال فنونهم وهندستهم البنائية، محلبة ضيقة، وتفسوق في ذلك توقعات المرء وإن وضع في عين الاعتبار العزلة النسبية للوديان عن بعضها. ويحكن تمييز أربعة اشكال من الثقافات للحلية المتميزة وفقا للغات الأربع المختلفة السائدة في المنطقة. وهي ثقافات كفار الويغال، و االاشكون، في جنوب المنطقة، ثقافة االكاتي، في شمال ـ غرب وشمال ـ شـرق المنطقة وثقافة «البارون» بين ثقافتي مسجموعتى «الكاتي» المذكسورتين. وهناك ثقافة محلية خامسة هي ثقافة كفار «الكلاشا»، الذين يتحدثون لغة شمال غرب الهند. وقد نجا الأخيرون من حملة القسر على الإسلام التي قادها الجيش الأفنسائي بفعل استيطانهم في اشيترال، الواقعة في شمال ـ غرب باكستان، خارج مناطق كافرستان/ نورستان, ويوفر هؤلاء للباحثين مثالا حيويا عن العادات الماثلة إلى حد ما للتضاليد الثقافية المتميزة الحالية لمجموعة كفار كاتى الشرقية التي تعيش على الجانب الآخر من الحدود بين باكستان وأفغانستان.

وواقع الحيال أن كفيار كياتي الشرقيبة، من سكان وادي باشغال، هم المجموعة التي طفعت شهرتها آقاق كل العالم من علال تقرير رويرنسون التفسيلي، عدا عن ذلك، فقد قام رويرتسون بزيارة قصيرة إلى كفار البارون، وهي ديارة لم تنجع، المستدة قمصرها، في تقديم اكشر من بعض الملاحظات، ناهيكم عن الوصف التفسيلي لمبد كافرستان الرئيسي الذي كيان يتصب مرة في قرية فكوشسيكية في الحب البارود، واكتنف المفصوض ثقافة كنفار الرياسال والأسكون إلى أن شرع البعض في بحث مبداتي هناك عام مشتركة مع الطابيك في وادي «بالنشير» الخذ ظلوا خارج مشتركة مع الطابيك في وادي «بالنشير» الخذ ظلوا خارج نطاق البحث، هذا، لأنهم لم يشيروا اهتمام أحمد بعد أن الطويلة التي عاشوما الر غيردهم على أسيادهم المطلقين الطويلة التي عاشوما المراحد على أسيادهم المطلقين الطويلة التي عاشوما المراحد على أسيادهم المطلقين

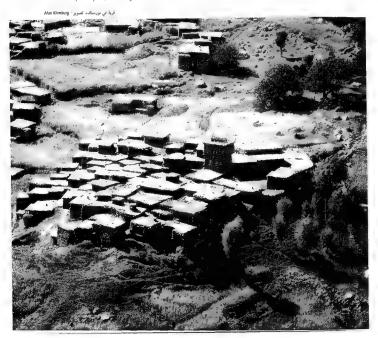
تميز ثقافات الكفار المختلفة عموما بالإلحاد، بمفاهيم مترمتة من الحضالات الطهارة والنجاسة ويمنظومة صالبة التطور من احضالات الاستخصاق الدينية المرتبطة بشفافة للمصارب التي تعبر عن الحقوس مسيد دروس الاحماء. إلا أن دور الدين والهصية الحالة الاجتماعية للفرد تختلفان بوضوح بين مسختلف الخالة الاجتماعية للفرد تختلفان بوضوح بين مسختلف لطبي إذا ما ناظر ثقافة كفار البرادون بشافتي كفار الويطالة والاشكون، ويتبعني هنا وضع ثقافة الكاتي بين المضافتين الملكورتين بحكم استراكها بخصائص هامة مع الاثنين.

آمن الكفار بعدد واقر من الآلهة التي غالبا ما تذكرنا
Vedic بمسادر آلهة الايبرانين والفبداويين Vedic
والهندوس القباعة. كانوا يؤونون بالله أعلى هر و الحاراة او
والهندوس القباعة. كانوا يؤونون بالله أعلى هر و الألهاء
الراء ، إضافة إلى عدد كبيبر أخر من الآلهة والألهاء
الآخل سأتا المحروفة محليا باسماء: «ماندي» أو «هنيوي»
و و وشوم» أو فقسوسيني» ، «قضومايي أو
فيسيقه» . . . إلغ. وكان لكل قرية ولكل عشيرة إلهها
الحامي بالإضافة إلى كهنة فشاما» يسدون للراعظ للباحثين
عن الحظوة عند الآل ورهبان يقومون على الخدمات
عن الحظوة عند الآل ورهبان يقومون على الخدمات
يشكل للماعز معظمها، وعلى التطهير تقربا من الآله بتأثير
شكل للمناوت (همي نيوان كبيرة فضره في الهواه الطلق)
الذي ينطلق عن حوق أوراق العمرع الممتزجة براتحة اللم

واكتسب وادى كفار السارون، الذي يسكنه اليوم نحمو ٣٠٠٠ إنسان متموزعين على ست قسرى، "أجواء دينيــة متميزة"، لشدة اهتمام سكانه بأفكارهم الدينية وأساطيرهم (روبرتسون). فقد سادت ذهنية عسامة من الاهتمام بالعالم العلوي الذي كان يجري تصوره في الغالب، كما تخبرنا ذلك العديد من الأساطير المطولة، كمعالم يحكمه عدد كبير من الآلهة والعمالقة المشاكسين. ويحتل معبد «مارا» في كوتشيسكي مسركز الوادي، وهو أكبر معابد كمافرستان الدينية على الاطلاق ويجتذب الحسجيج الراغبين بتسقديم الأضاحي إلى الإله من كل أرجاء المنطقة. هذا إلى جانب العديد من المعابد الأصغر والأضرحة ومعابد ـ العشائر، التي تحمل اسم «أمول»، والتي تسنتشر في كل مكان. والـ اأمول اهى بيوت تمتلكها العشائر ويسمح لكاهن العشبرة «مونت» بالسكن فيها وتقديم الخدمات الدينية للسكان إلى أن يفقــد شعــبيــته يومــا ويجرى اسـتبداله بكــاهن آخر. والمدهش في الأمسر هو أن معظم هؤلاء «المونت؛ عساشوا حتى الـسبعـينات ولم يصبـهم أي مكروه، ونقلوا مـعهم الواحا منحوتة بأشكال الآلهة، وإن كانت قـد شوهتـها ضربات الفؤوس. احتوت معابد اأمول؛ في كافسرستان، تصورالآلهة،الألسهات في العادة، وتؤدي وظيفة الستماثيل الدينيــة المعبسودة. وتصور الآلهة عــادة وهي جالســة على الماعز أو على الكراسي عدا عن الإله الأعلى المارا؟، الذي يصمور ممتطيا صمهوة جمواد. وكتب رويرتسمون أن الأشكال المنحوتة على الألواح، وكمذا التماثيل الحرة، بدت غريبة برؤوسها الضخمة الجالسة على أجسادها البليدة العديمة الأعناق، بل غريبة إلى حد "المفارقة المدهشة".

البشر الأهداء اللين فعنك الباتور بهم أو عدد فسمعاياه العادين من نساء وأطفال. وكانوا يبتنون لانفسهم البوابات والأضرحة البسيطة ويغزن واجهات ودواطل يسوقهم بالمناحوتات. وتستخدم المنحوتات الأساسية الأربع التي عضر فيا بالرابة الاجتماعية لمصاحب البيت، وأبر هلم المنحوتات هي يعكروات الرؤوس البيشية الشجيعية بالمنوون، والتروش هذه المنحوتات جدة. ومن المنطقات الاخترى الباحث على الهيسة هي فكراسي ومن المنطقات الاخترى الباحث على الهيسة هي فكراسي المنطقات الاختراء المؤودة بظهر ونزوم، المئي تذكر المخديد المطاوع المؤودة بلاك قواته الرابع، المئي تذكر المنطقات المنوفية في البونان الغذية، وكدوس النبية المنوفية في البونان الغذية، وكدوس النبية الكفار النفسية الكنار النم معدلية تغلفة الكفار

وفي تباين قطبي تقريا مع الحماسة الدينية لشعب البارون، المنطوي عمل الذات بعض الشيء، نرى أن الأهتسمام الأسلمي لكفار الريفال والاشكورة، المنفتجين بالاحرى، يتصب على الحالة الاجتماعية. ونجد الرجال، البالغي الاهتمام بمظاهرهم ورجواتهم (يرفضون كمثل حمل أي شيء على ظهورهم)، يزليدن على بعضهم بإقامة الولاتم الكبيرة في الاهياد الدينية وفي اجتراح ماثر للصاريين بهدف اكتساب الاحترام الملائق "برجل عظيم". ويتسنى للمسادين العظام ، المعروفين باسم قبائرة أن يجحدال للمسحارين العظام ، المعروفين باسم قبائرة أن يجحدال الدسمارية بارتشاع بالارتساء المكل بشرى نمطي، وذلك بعد النهدية الاشجدوا في الإيضاء باحتراجات ولائم الأحماد المتحدد المحداد يترجها خاني بالنحوة لتصوير أعداد الكبيرة، وتبت الاواد على جانبي النحوة لتصوير أعداد الكبيرة، وتبت الاواد على جانبي النحوة لتصوير أعداد



الاحتفالية. ونالت هذه الكؤوس، التي اكتشفت عام الاواد م الاماما ظاهرا الموسلة و المام و الامام و الامام القطاع المواد للسبب غائلها مع الكؤوس المرسوسة على جدران آسيا الوسطى والتي تمثل مآدب الارستتراطية السوضادية في الفترة التي تسبق القرنوب الخامس والثامن. ويهذا تكون المادة الثقائية بأسرها مكرسة للتحريف، وباكشر قدراتها على الاقتاع، بالمرتبة المشعرية التحريف على الاقتاع، بالمرتبة المفتوية التي حققها الفود من خلال ماتره.

وتستصرض الحالة النبوية والبطولية في ثقافة الكاتي في المؤرد الشرقي من للتطقة بطريقة أرف شأنا ترتكز إلى إيراز الشخوية القالدة على الأساس العائلي. فيبوت «العوائل الشخوية القالدة على الأساس العائلي. في تورتها الكليدة المنابكها وليس بتأثير المنتوتات الخاصة بالكشف من مرتبة المؤرد وتتمتع تائيل عن المغنى والتقاليد المعائلية والحالة الاجتماعية الراسخة. عن المغنى والتقاليد المعائلية والحالة الاجتماعية الراسخة. عائلة، غيد بالمقارنة، أن تماثيل الأسلاف غير معموفة عند الويضال والأشكون لأن الحالة الاجتماعية قلد فقصدت الويضال والأشكون لأن الحالة الاجتماعية قلد فقصدت اليساطة، بسبب احتلال عائلة واحدة في البدارون للمرتز بيساطة، بسبب احتلال عائلة واحدة في البدارون للمرتز بيساطة، بسبب احتلال عائلة واحدة في البدارون للمرتز بالطيع، ونشلت الموائل الأخرى في منافستها بالطيع، ونشلت الموائل الأخرى في منافستها

ومحبر النحت للحضور الذي يمثل شكلين متشابكين أر متضيرين في حالة عناق جنسي من أهم المحالم المثيرة لقطة الأ الأسكون والكاتي الضريسة أيضا، ويصور هذان الشكلان الشكلان بوضوح في العديد من الحالات كذكر وأثش وكشكاين غير متعيزين جنسيا في حالات أخرى، ويزن هذان الشكلان الشكلان الشكلان الشكلان الشكلان الشكلان المتعادد ولان أباً من هدام الكواضي لم يسلم من تسجاور المصاد، ولان أباً من هدام الكواضي لم يسلم من كانا جزءا من فكراسي شسرف، هدفها تحكين النحوقين كانا جزءا من فكراسي شسرف، هدفها تحكين الزوجة، إذا كانت فنسها أملا للتسقير، من الجلوس إلى جانب ووجها والرجل الكبير،

يمثل تصوير هلين الحبيين الرمزية الجنسية الكلية الوجود التي سادت يوصا بين الكفار. وهو تعسور نشأ من صلب النظم الإيمانية التي تعتقد أن العسالم وليد المسارمة بين الجنسين، واللدي يفسس إليها ثانية الطقوس القنائمة على تناقض الطاهر، و«النجس»، أو على نفس المسساكلة تناقض «الجسار» و «الدوادي». وعلى هذا الاساس كمان الرجال والماضر، وخصصوصا الماضر الجبلي من نوي الماضور؛ بهمنغون كطاهرين، ويعامل الصبيان الملين لم الماضور؛ بهمنغون كطاهرين، ويعامل الصبيان الملين لم

يمارسوا الجنس مع النساء بعد كناطهو المخلوقات. أسا النساء عسموما فكن بصنفن كد فجسات، لانهن يصسبحن بانتظام عامل تالوث، الملطوس أيضا، في أوقات الحيض بيراتداد. وكنان عليهن في هذه الاوقات أن يتسقلن إلى بيوت معزولة مخصصة للحيض والولادة تم بناؤها في ضواحي القرية ويحظرعلى اللكور دخولها.

فالكفار في هذه الحالة يعزون أي نجاح مادي أو اجتماعي إلى التضاعل الحيّر بين هذين السالين والى التقيد بقوانين الطهارة. بل يغرد الرجال حتى اليوم بوظيفة تربية الحيوانات، ولا يحق سوى للرجال مرافقة الماشيدة وخصوصا لماعز، إلى المراعي الجبلية وإلى عالم «المارخور» المري الذي تسود معمته كحيوان بالغ الطهارة والقمولة ويقع على السرة البقاء خاصل المتزلية «القدرة».

وكان ألممال البدويون يمنفون كافراد المجسرين، يختلفون التوجوهريا عن غييرهم. ويطلق على العامل منهم اسم داري، يسشون في حالة شبه الاسترقاق، يلزمون بالبقاء معرولين إلى حد كبير عن حياة الفرية ويقيدون في يبوت تقع جغرافيا محت مستوى يبوت الكفار (الحليقيين). ولم يشتخل بمهنة الحرف البدوية بشكل طبيسي غير كفار البارون، وخلما يعني أن الشفائة الملاية للكفار، وخصوصا البارون، وخاليهم المحقورة على الحشب وادواتهم المعنية والإبارين التي صنعما البارون، هي من منتجات المعنية والإبارين التي صنعما البارون، هي من منتجات الحربين التي واقق عدد كبير من الشمائيل والأواني حدد المناسبة شرائل سلام، وبيع التحف لشجار الانسيكة طوال على من هذه الشواهد على من ملام منها المستوى للحلي والقائم على من عدد قابل من هذه الشواهد على المامة المدارة الكفار المدارة المدارة المدارة المدارة الكفار المدارة المدارة الكفار المدارة المدارة الكفار المدارة المدارة الكفار المدارة المدارة الكفار المدارة الكفار المدارة الكفار المدارة المدارة الكفار المدارة المدارة الكفار المدارة المدارة

أشرق فجر الإسلام إذا في نورستان، وسا عاد المره يجد يها هذه الآيام فيز صدد يزداد باطراد من الحجاج، إضافة إلى عالبية من العاطلين وعدد ضفير من الملالي الذين تتلفذوا في مختلف المناصل الماكت تأتية، بل إن شما المند ان المتلقة شهد حملة لـ 'إصاحة نشرالاسلام' أيضا، بعد ان اصتنق سكانها الموهابية. وتوفير المدارس الوهابية ويقية مدارس القوى شبتا من التعليم للناس، مع وجود بعض منالاي الذين يضخرون باتمام دواساتهم الدينة العليا في الملكة العربية السعودية، إختيفت الموسيقي عمليا واختضى معمها الرقيس، الذي كان يوما يؤدى بشغف وعلى مدى واسع، من معظم أرجاء نورستان.

ترجمة: ماجد الخطيب

ینس اوفه هارتمان Jens-Uwe Hartmann

البوذية في أفغانستان ازدهارها وأفولها

كانت أفخانستان على المدوام بلداً إسلامياً. فمحتى ومن قريب كان هذا هو التصدور السائد فعلاً، ولايكاد يخطر على البال، أن هـناك ديانات أخرى كانت منتشرة في هذا البلد قبل ظهمور الإسلام. ولم يكن أحد على بينة، من أن الديانة البوذية كانت من ضمن تلك الديانات، سوى المهتمين اهتماماً بالغاً بتاريخ أفغانستان أو بتاريخ الديانة البوذية، أو بعض السياح الذين وجدوا أنفسهم بالصدفة وجهاً لوجه مع نصبي بوذا أثناء تجوالهم في هذا البلد. قــبل سنتين ونيف، أي في آذار/ مسارس ٢٠٠١، حين شرعت طالبان بتحطيم تمشالي بوذا العمالاتين في وادي باميان، حينذاك وعت فجأة أوساط واصعة من الرأي العام العالمي، بأن الإسلام، على كل حال، ليس الدين الوحيد الذي طبع هذا البلد بطابعه. كما يحمل في أغلب الأحسان، أفضت الخسارة التي لحقت بسرات حضاري بطريقة لا رجعة فيها، إلى وعي عام بوجود هذا التسراث. إن نسف نصب بوذا أدى عملي الأرجع إلى عكس ما كان يأمله المبادرون من ذلك العامل، وهذا ما يبعث على الارتياح فعلاً. لكن ما لا يبعث على المواساة في مثل هذه الحالة هو تدميسر أثرين حضاريين عالمين من معالم الشراث الحضاري بطريقة لا رجعة فيها. لذا تساورني الشكوك بمدي فائدة كل للحاولات القائمة الآن والهادفة إلى إعادة ترميم نصبي بوذا. ومكمن هذه الريبة أخيراً وليس آخراً هو كثرة المشاكل الملحة التي تعانى منها أفغانستان اليوم والتي تتطلب حلولاً أكـــثر بكثير من مسألة إعادة النصيين الحجريين إلى وضعهما السابق، مع أن النصبين الضخمين قد يكون لهما تأثير مشجع على السياحة المنتظرة في يوم ما.

وهناك ظاهرة ثانية ماهمت في السنوات الاختيرة في أن تعيد إلى الوهي ماضي أفضائستان البوذي، وهذه الظاهرة الثانية مرتبطة يقينا بتأثيرات الحرب الاهلية. فعنذ ما يقارب العشر سنوات يجري باستمرار عرض مخطوطات بوذية من أفضائستان في أسواق الفن في النسرب والشرق الاقصد.

ربما كانت تلك المخطوطات اكمتشافاً تم العشور عليمه بالصدفة، في تلك الأديرة القمديمة المقامة في الكهدوف

والتي قد يكون التخد متها متالون ومدنيون ملجاً لهم، من المؤسف آنه لم يتم لحد الآن التوصل إلى مصلومات دقيقة حول منشأ وطريقة اكتشاف هذه المخطوطات. الا تكد تصل للخطوطة الأولى إلى أسواق اللن في المؤب حتى عد الحبراء تلك اللقية عسلاً مائلاً، وفي الحال فاع خبر سا يسمى به دالبحر الميت من مسخطوطات البوذية، وقد استغياب يعملس في وسائل الاتصال الناطقة بالملقة الإنجليزية، وأدت وأدة التخارير الصحفية إلى اتشار واصع غير الخطوطة الجليدة.

على حين غسرة ارتضعت الأسعمار، وفسى هذه الأثناء أصبحت تدفع مبالغ سخية لمخطوطات كهذه. وهذا أفضى بدوره إلى تواصل الإمدادات المستمرة عبر باكستان إلى الغرب واليابان حتى يومنا هذا. من الطبيعي أن تسود آراء متناقضة حول هذه المسألة. فمن ناحية يكون مبعثاً للسرور أي تنام في المعرفة تتيحه لنا المخطوطات عن تاريخ الأدب البوذي وتاريخ أفغانستان. من ناحية أخرى تبقى الظروف الدقيقة لهذه الاكتشافات مغلقة أمامنا وبدلك تفلت من أيدى المؤرخين، معلومات لا تعوض. فالمؤرخ تحدوه الرغبة في معرفة المكان الذي جاءت منه هذه المخطوطات، وفيما إذا تم اكتشافها في أديرة قديمة مقامة في الكهوف أو من المعابد أو من آثار المقابر البوذية، وإن كان تم العشور عليهما كلقى منفردة أو ضمن مجموعات، وأسئلة كمثيرة غيرها. كل هذا قد يكشف لنا شيشاً عن الحياة الدينية في أفغانستان قبل أكثر من ألف سنة، بيد أننا لم تحصل لحد الآن إلا على المخطوطات قبقط، من دون الإطار، الذي خلدت فيه لأكثر من ألفي سئة.

كيف وصلت البرذية إلى أفغانستان؟ إن الكيان السيامي الذي نربطه اليوم باسم الفغانستان؟ يدمد حديثاً السبياً. وخلف هذه التسبية لا تكمن أية وحدة ثقافية أو لغوية، ذات تاريخ عريق. فني الماضي، كانت الأراضي الحاضمة للمدولة، اليوم صورعة بين عدة عالك. هذا يصح على من ذلك. إن الاحتكال الأرن الموكد لحد ما مع البرني يسمح بتحديد تاريخه في صنعهف القدر الثالث قبل السيحن، في هذه الحقية أسست أسرة صاوريا التاريخ السيحن.

الهندية إمبراطورية كبرى في الهند، شملت، إضافة إلى ذلك، في الشمال الغربي باكستان وأجزاء من أفغانستان الحالية. أوعز «أشوكا»، أهم حكام هذه الأسرة باستعمال نقوشه في عموم الإمبراطورية وتم اكتشاف نقشين له في مدينة قندهار. مما له معنى في هذا الصدد أنه لم يتم صياغة هذين النقشين لا في اللغة الهندية ولا باستخدام الحرف الهندي، إنما ترجسما إلى اليونانية والأرامسية ودونا بالحرف اليوناني. هذا يعني أن إمسراطورية أشوكا استد نفوذها ليـصل إلى تخوم منطقة تستخدم فيهـا، على ما يبدو، اللغة اليونانية كلغة للاتصالات أو الإدارة. يعود هذا النفوذ السوناني إلى أيام الاسكندر الكبيسر، الذي قام باجتياح الهند في عــام ٣٢٦ ـ ٣٢٧، ووسم إمبراطوريته لتمتد إلى البنجاب. لكن هذه الحملة لم تترك آثاراً تذكر في بلاد الهند بالذات، إذ أخفت إمسراطورية الاسكندر الكبير بالانحلال عند موته. بيد أن نفوذ الحضارة اليونانية في الدول الشرقية التي خلفت إمبراطورية الاسكندر الكبير بقى يشكل عنصراً حاسماً. إن المدينة اليونانية الواقعة في أقصى الشرق، هي التي نعرفها اليوم، إذ تم اكتشافها وحفرها في ستينات القرن العشرين من قبل بعيثة آثار فرنسية في أقصى شمال أفغانستان، أي في ايكانوم الواقعة على نهر اموداريا. إن تأثيرات الحضارة اليونانية وفيما بعد الرومانيــة أيضاً استمسرت لعدة قرون ونحن مدينون لهــما بعد المسلاد بمساهمية رائعة في نشوء المفن البوذي، الذي سنتحدث عنه لاحقأ,

يبدو أن البوذية شهدت في عمهد أشوكا أول عصر ازدهار لها في الهند، ولهـذا فإنه من المحتمل أن يكون اسـتقرار الوضع السيماسي والذي أدى بدوره إلى تقدم التجارة الخارجية، شجع على انتشار البوذية في شمال غرب الإمبراطورية. غير أنه لم يتم التعرف على آثار موكلة لانتشار هــذه النقوش باستثناء تلك التي تعــود إلى القرن الأخير قبل التاريخ الميلادي، ويشكل خاص تلك النقوش المثبــتة تواربخــها. لكن العديد مــنها موثقــة في القرون اللاحقة للتماريخ المملادي وهذه بالدرجة الأولى نقوش أصحاب المذهب الديني، التي تظهر عليها، على سبيل المثال، أسماء الطوائف البوذية على انفراد أيضاً. وقد شهدت البوذية نهضة عظيمة، حين أقيمت مملكة كسبيرة جديدة في الشمال الغربي في القرن الأول بعد الميلاد. استولى على الحكم في باكترين (إحدى الممالك القديمة حول العاصمة بالكه، التي كان شمال أفغانستان من ضمنها) شعب مهاجر من آسيا الوسطى، مجهول المنشأ. كان ينتمي حكامه إلى قبيلة «الكوشانار» التي أطلق اسمها على الأسر الحاكمة وعلى المملكة. وقد نجحوا في توسيع مناطق نفوذهم باستمراره لتشمل أخيرأ أفغانستان وباكستان

وأجزاء كبيرة من شممال الهند، ومناطق أخرى من أوريكستان، وترامت أطرافها لأبعد من ذلك حتى وصلت إلى آسيا الوسطى، ومن جديد ساهم الاستقرار السيامي في تعزيز ازدهار انتجارة الخارجية. كان أحد أهم الطرق الشجارية قطريق الحريرة، هذا يعني شسبكة من طرق بالشجارية قي الخرب والمراطورية قيمن العمرت في الشرق وتصل بضروعها الكثيرة للمتندة إلى جنوب شبه المقارة عبر افغانستان أيضاً. لا يقتصر استخدام هذه الطرق عبر افغانستان اليضاً، لا يقتصر استخدام هذه الطرق عبر قطريق الحريرة في الوصول في المؤين البوذيون عبر قطريق الحريرة في الوصول في الميانة عبر باكستان كانوا ينشورن دينهم في كل مكان يورن به .

في عهد حكام كوشأنار حققت البروذية، على ما يظهر، نهضة عظمى. تم في أثناء ذلك إنشاء أول الأديرة، وفالباً ما كان يجسرع بها أعضاء الأسرة المحاكسة، كما جرى بناء المحشوياة !. كان أعضا حكامهم كانبشكا اللي ارتقى المرش في حوالي عام ١٢٥ بعد الميلاد، حسب المعلومات المحرق في حوالي عام ١٢٥ بعد الميلاد، حسب المعلومات المحرق في المحالية، ويشار إليه في المراجع البودية باصنباره مضجماً بارزاً للبوذية. وهلما يصح بالتأكيد خد ماه إن المنافية مصدورة تشبيهية لبوذا ترد على ظهر عملة مصدنية المناف ذيبية محدلة وشجعوا في مملكتهم كل الادبان المثلة مناك.

شجع الاستقرار السيماسي التجارة وبدورها خلقت التجارة ازدهاراً اقسمسادياً، لم يوفسر لممثلي الأديان الأخسري فحسب، بل كذلك للحرفيين والفنانين مورد رزق. وبهذا يكون قد تم وضع حجر الأساس لإقامة «فن غانداهارا» . وغانداهارا هي التسمية القديمة للمنطقة الواقعة حول بيشباور، ثم تم استخدام هذا الاسم بشكل موسع، بالأساس، على طبيعة فن عظيم جداً، أي أطلق على منطقة، اتسمت بأسلوب فني موحمد نسبياً. وهكذا، كما يستسخدم هذا المصطلح اليوم في علم الفن الهندي، فإنه يشمل أجزاء من أفغانستان، والجسرء الشمالي من باكستان وأقصى ركسن في شمال غـرب الهند. طيلة قرون لم يتم تصوير بوذا، بل كان يعرض بطريقة رمزية، كأن يكون من خملال آثار أقدامية. اعتبرت هذه الفيترة امرحلة الانيكوني، في الفن البوذي. لكنه تم في عهد الكوشانار تقديم صور تشبيهية لبوذا في كل من منطقتي شمال الهند وغانداهارا بشكل متزامن. وقد أخذ الفنانون في شمال الهند بمماودة استخمام النموذج الهندى، وبذلك خلقوا



فن غانداهارا لم يقتمر تأثيرها على الهند وعلى تحديث النماذج القائمة نقلها عبسر طريق الحسرير إلى آسيما الموسطى ومن ثم وصلت إلى الصين، حيث أصبحت نموذجاً للفن البوذي برمشه في شرق آسيا. تم اندماج مكثف لعناصر هندية ويونانية ـ رومانية، فانبثق عنها أسلوب جديد أخاذ ومستقل. لكن على العكس من ذلك تمامياً جسري الحسال، على منا يظهر، في الأدب السوذي، كسما نستطيع أن نلاحظ ذلك اليوم وبدقة. فمنذ ما يقارب العشر سنوات وصلت إلى الغرب واليابان صشرات الآلاف من أجزاء المخطوطات البوذية. بيد أن هذه المخطوطات لا تتسضمن أي تاريخ، ولكن من خالال تطور الخط يتضم أنها دونت ما بين القرن الأول والقرن الـ المنامن بعد الميلاد. باستشناء حالة واحدة حررت كل هذه الأجزاء باللغمة الهندية ودونت بالحمرف الهندي. يستنتج من ذلك، أن البوذية على صعيد الأدب لم تحاول، على الأغلب، أن تتسواءم مع النظروف المحلية، على سبيل المثال من خلال ترجمة الأعمال القادمة من الهند إلى اللغات المحلية، كسما هو الحسال في

صورة بوفاء من القرن الرابع قبل الميلاد "Gandhara" by Bérénice Geoffroy-Schneller. With kind permission by Knesebeck Verlag, München من كتاب

إلى النصف الأول من القرن الأول، أي أنها أغيرت بعد التلافخ الميلادي بفترة قصيرة. وهذا شيء مدهش، إن الأفانستان الأن أن تنعي، أنها لم عُمانظ على أقدم المبالمايد البوذية قحسب، وإنما تنعين. أنها لم عام أوم أحجها المالمة المهنتية. وقد أضيف، طد الآن، إلى مع مراجعها باللغة الهنتية. وقد أضيف، طد الآن، إلى مته عام في طريق الحرير في آميا الوسطى، فهي بالطح مته عام في طريق الحرير في آميا الوسطى، فهي بالطح يمن نقل اللقم الجديدة من أفضة تتراوح بين منة إلى مائي سنة، كانت هذه اللقبة الجديدة عبارة البحولا. تم تدرينها بالحمرف الكاروستي، أحمد أتواح البحوث الهندية، التي تكتب من البحون إلى السحار، إلى الإحراب الإحراب الأحراب المحرف الكاروستي، أحمد أتواح جرى استخدامه ليضم قرورة قبل وبعدد التاريخ الميلادي،

الصين والتيسبت مثلاً. إن أقدم أجزاء

المخطوطات تعمود، على مما يظهمر،

غوذجاً لصورة موحدة. على العكس من ذلك اقتدى الفنائون في خاندمارا بالعسيغ المائلة آتماك للفن الوناني للفنائروماني متحقيق من خلك تكويناً فيذا غربياً في مضمونه، الصبح مشهوراً المنافرة غيرة أعلى مضمونه، الصبح مشهوراً الإله الإغريقي والبولوع نموذجاً والمستخدموا في تصوير بوفة الألهة كد هجرمزا، واللهة والمخطفة الرومانية أو والمرابع، والمنتق المهمة من شخصيات المائلة والمحربية والمنتق المهمة من شخصيات المنتفون تم استخدام المفلام الروصائي نموذجاً. كان المثال المنتفذين تم استخدام المفلام الموصائي نموذجاً، كان المثال المنتفذين تم استخدام المفلام المنافرة منافحها في التماثيل المثانة في منذه دير هادا (غير المبديد من جلال آباد)، تم ترصيمها منذه دير هادا (غير المبديد من جلال آباد)، تم ترصيمها منذه دير المدان الاخيرة. إن صياحة الصدودة المدينة في

وبالدرجة الأولى، في الشمال الغربي من شبه القارة الهندية وقد اقستبس ليستسعمل في المعاملات الرمسمية في مُلكة كوشاناز، لكنه اندثر غاساً، في الحال بعد أن بادت المملكة. عشر على هذه اللقائف في منطقة جالال آباد، حيث وجدت ملفوفة في قدر كبير، ومن المحتمل، أنه قد تم دفتها. إن قـشرة البَــتُــولا تجف بمرور الوقت ومن ثم تصبح مهلة الكسر. لهذا اقتضت عملية ترميم شاقة، قبل أن تصبح الحروف مستبوية ومن ثم التمكن من قراءتها. قام بإجراء عسملية الإصلاح هذه خبسراء المكتبة البريطانيـة في لندن، حيث تم كــذلك، الآن، حفظ هذه اللقية هناك. عند حل فحوى النصوص اتضح أنه جرى حفظ أعمال محددة في هذه اللفّائف تقتصر على بوذية هندية. ويعد هذا في منتسهى الأهمية، لأن هذه الأعسمال كانت تستبر في عداد المضفودة، بيد أتنا، للأسف، لم نحمل على معلومات تاريخية يمكن أن تكشف لنا بالتفسميل تاريخ السوذية في هذه المنطقة، لا في لفائف المخطوطات الحديثة ولا في تلمك المدونة على الورق أو على قشرة البُتُولا أو على الخُوص الهندي. لذلك ستبقى معلوماتنا عن تاريخ البوذية في أفخانستان، مستقبلًا، مجمئزأة للغاية. فنحن نعتمد، بالأساس، على تقويم الوثائق الأثرية. وهي مع ذلك تظهـر لنا، أن البوذية قـد لقيت دعماً كبيراً لردح من الزمن. كان بوذا العظيم في باميان الذي يكاد يصل ارتفاعه إلى ثلاثة وخمسين متراً، أضخم نصب لبوذا في العالم. إن إنجاز عمل كهذا قد اقتضى أدوات جسيمة. وباميان الواقعة على الطريق التجاري الذي كان يربط طريق الحسرير بالهند، قد انتفعت غاية الانتفاع من التجارة؛ لكن من هم الرهبان الذين عاشوا في أديرة الكهوف حول نصبي بوذا العظيمين، وأية احتسفالات دينية وطقسوس أقيمت هناك وكم من مسعتنقى البوذية كانوا يؤمَّون هذين النصبين، كل هذا يبقى في عداد الغيب.

إلا أن هناك وثبيقة فريدة، وهي أقرب إلى تقرير شاهد عيان، إذ تم الحفاظ في هذا التقرير على بعض المعلومات عن باديان وعن البوذية في أفضائيتان. في الفترة ما بين عام ٢٦٩ ـ ١٤٥ قام راهب صيني يدعى اكسوان تسائم برحلة حجج إلى هذه الاساكن البوذية المقلسة في الهند، وبهذا دون ما هو أشبه بيرميات عن الرحلة، ثبت فيها الاسكنة والمسافات وما هدو عيز. في رحلته من الصين سافر صبر طريق الحرير إلى الفرب ومن ثم الشخا طريقا

فرعياً، يفضى عبر باميان وبيشاور إلى الهند. وقد وصف باميان وعسر عن إعجابه بنصيسي بوذاء لكنه أشار كذلك إلى الترمَّت الديني الذي يتسم به الناس هناك، وهو ما يميزهم عن جيرانهم. لكنه لاحظ في أماكن مختلفة ظاهرة، سبق أن أشير إليها، تنبىء ببدء الحلال البوذية. ربما كانت أسباب ذلك اقتصادية: لأنه يحرم على الرهبان البسوذيين محارمسة عمل وهم بذلك يعتسمندون على الملة المنتمين إليهما في دعمهم مادياً. وحين تؤدي الإضطرابات السياسية، على سبيل الثال، إلى القضاء على الرفاهية، فإن ديناً كالبوذية يواجه، على حين غرة، موقفاً حرجاً. ومما هو جدير بالأهمية، أن تدهور البوذية قد بدأ، على ما يبدو، قبل وصول الإسلام إلى أفغانستان بفترة طويلة. إن الإنساعـة السائدة، التسي تقـول إن الزحف الحـربي للإسلام هو السذي أدى إلى القضاء على البوذية في كل مكان من أفغانستان إلى شمال السهند، غير صحيحة على الإطلاق. إن هناك الكشير من الدلائل التي تشير إلى أن عوامل اقتصادية وكذلك دينية شكلت، قبل ذلك بفسترة طويلة، بداية التدهور. غير أنه من غير المكن لحد الآن إعطاء تاريخ ممحدد لنهاية البوذية في أفخانستان. لكن يمكن، على العموم، أن يستدل على ذلك، في أنها أخذت في القــرن الثامن والناسع تنتــفي بشكل تدريجي، وهذا ما جسرى تأكيده من خلال المشاهدات التي حددت تاريخها الخطوطات البوذية الحديثة من أفغانستان في القرن الثامن. وهكذا فإن البوذية قد تركت بصحاتها، على امتداد ألف سنة، على حسفسارة وتاريخ منطقية الهندوكوش، ومثلما نستطيع اليسوم أن نؤكد بشغف، أنها خلفت الكثير الكثير من الوثائق البالغة الأهمية في أفغانستان، أكثر بكثيسر عا كان يعتبره المرء غكناً قبل بضعة

ترجمة: علي أحمد محمود

١ .. معميد بني بالأساس لحفظ الأثمار التذكيارية لبوذا وفسيما بعمد آثار
 قليمين أخرين. (المترجم)

٢ ـ «فن خلداهارا»، فن هندي نشأ تحت تأثيرات الفن اليوناني والبوذي في علكة خلندهارا المهتبية، حيث شهدت اردهاراً والعما للفن من الفرن الأول إلى الفرن الحاس بعد للبلاد. (نشرجم)

يورغن فريمبغن Jürgen Frembgen

التصوف في أفغانستان الطرق الصوفية واثرها في الحياة الاجتماعية والسياسية

يتخذ التدين بالإسلام في أفغانستان، كما في دول إسلامية أخرى، أوجهاً، وتفسيرات، واتجاهات متعددة. وفي ذلك يتعلق الأمر بصور دينية فرحية، بتفسيرات متفاوتة للقرآن الكريم. وأول ما يشمله هذا التنوع، ما يدعو إليـه علماء الدين من أحكام دينية مأثورة، تبدو مشتملة على نظام للحقوق ، والأداب، والأخلاق، وتتركــز الدعوة إليها في المساجد، ومدارس تحفيظ السقرآن. ويرتبط بهذا الإيمان القوى بالتصوص المقنسة، موضوع الإسلام السياسي، الذي فرضته جماعــة طالبان في الفترة من عام ١٩٩٤ إلى عام ٢٠٠١، وكذلك المجال الواسع لملتصوف الإسلامي، وما تأثر به من أشكال محلية لتقديس الأولياء، والمعتقدات الشعبية. ولكن الفوارق بين أوجه التدين بالإسلام هذه هي في الواقع غير محددة، وغير واضحة، بل ومتداخلة غالباً. وفي أفغانستان خاصة يجري الجمع بينها، كما يتمثل ذلك في قيام متصوفة الطريقة النقشبندية بتسدريس الأحكام الشرعية في مدارس تحفيظ القرآن.

والتصوف هناك هو اتمياه ديني يقدوم على الحب العميق القبيلة، والإزغان لها. ويسمى فيه المصوفة، احتمان المالم القرآن الكريم والسنة النبوية، إلى معايشة الجانب الباطني للإسلام. فعلى المكس من اتماء التمسك الشديد والحرفي بالشريعة، والذي يهتم أكثر بالمجتمع ككال، يُعني التصوف بالبرجة الأولى بالفرد، وتربية باطنة. وفي مصيهم إلى الحقيقة الروحية يسلك «أولياء الله» طريق التصوف إلى المائة الذي يجسدونه في قلويهم، وهم في حال نشوة الإنجازاب إليه، وهدف هذه السياحة الصوفية، التي يلزم ياتم الرحانية الكامنة في النفس البشرية، وبالتبالي باظهار الموحدة بين النفس الإنسانية وربها. وفي الطريق المتدرج الموحدة بين النفس الإنسانية وربها. وفي الطريق المتدرج المؤتمد المؤتمد والانسانية وربها. وفي الطريق المتدرج المزائز ونهي محجة لله وللبشر.

الفند حاول المتصوفة ، الذين يُبجَّلون في حياتهم وبعد مماقهم كاولياء لله ، حاولوا كثيراً التمبير عن إدراكاتهم في القرب من الله ومعجته ، ينظومات شعرية ، تقراً ، وتُشدد، ويُتخى بها ، وتنشر بذلك بين عامة السكان غير للتجاسين. وفي الدصور الوسطى ظهير علايد من المتصوفة المسهورين،

والشمراء في خبراسان، التي كنانت تسمى أنذاك بلاد المشسرق، وهي المنطقة، التي تشمل أفعانستمان الحالمية، وشرق إيران، وآسيا الوسطى المتاخمة لهما، والتي تعتبر مهمد التصوف في العمالم الإسلامي. لقد ازدهر التمسوف والفن في بعض مـدن هذه المنطقـة بخـاصـة، مثل مـدن هيرات، وغزنة، وبلخ. وإلى بلخ، موطن العلماء، الواقعة في براري شمال أف فانستان، ينتسب إبراهيم بن أدهم (المتسوفي عام ٧٧٦ أو عسام ٧٩٠)، وهو الزاهد الصسارم، الذي هجر حياته كأمير، وأصبح متصوفاً خالصاً. وفي هيرات غربي أفغانستان عاش عبد الله الأنصاري (١٠٠٦ ـ ١٠٨٩) شيخ هيرات وحاميها. وكان أولاً من علماء الفقه الإسلامي الخلص على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ثم أصبح شيخ الصوفية المشهور هناك. وألف بالفارسية كتابه المشهبور في التصبوف المنازل السائرين، وكذلك كتاب المناجاة، اللي يشتمل على أدعية في نشر فارسى مسجوع. وفي غزنة وُلـد الهجويري. ويُعدُّ كتابه، الذي آلفه بالفارسية، وسماه فكشف المحجوب، أول مؤلَّف منظم للتصوف. وفي مدينة لاهور، التم كانت مقمر السلاطنة الغزنويين، وفي عام ١٠٧١ تُوفي الهـجويري، الذي يُبجُّل اليوم كأعظم الأولياء في باكستان. وبعد موته بأعوام قليلة عاش في بلاط الفرزويين الشاعر المبدع، حكيم الصنعائي (١٠٦٠ ــ ١١٣١). ومساهمسته البالغة الأهسمية في الأدب الصوفي هي ملحمته الشعسرية «حديقة الحقيقة». ولكن درة التصــوف في خراسان كــان بلا شك، خلال الدين الرومي (١٢٠٧ ـ ١٢٠٧)، الذي يُسمى في أضغانستان مولانا البلخي. وكان قد نزح مع أسرته، وهو في الثانية عشرة من عمره، من منطقة البراري للحيطة بمدينة بلخ، إلى مدينة قونيـة في وسط منطقة الأناضول، حـيث أسس ابنه طريقة الدراويش المولوية. ومؤلَّفه الخالد هو كتاب المثنوي، الذي يتألف من أكثر من ستة وعشرين ألف بيت شعري، يرددها محبوه في شمال أفغانستان، وفي مناطق القرم الجبلية، حيث يبجل الشيعة الإسماعيلية هناك آثاره ويحفظونها. وإلى جانب هؤلاء المتصوفة، هناك متصوفة وشعراء مشهورون، أمشال الجامي (١٤١٤ ـ ١٤٩٢)، وبيدل (١٧٤١ ـ ١٧٢١)، اللذين ألفا بالفارسية. وكذلك رحمان

بابا (۱۹۰۳ ـ ۱۷۱۱)، وحسمزة الشسينوري (۱۹۰۳ ـ ۱۹۹۵)، اللذين يمشلان أدب الباشتونيين. وقد احتفظ المثقفون بمؤلفاتهما إلى اليوم، ويبجلهما العاصة كوليين عظمين.

لقد أضفى التموف طابعه في عمق على التدين والتقوى لدى سكان أفغانستان إلى اليوم. وفي ارتباط بذلك يقوم الشعمر والموسيقي، كشكلين فنيين للتحبير، بدور هام. ومراكز التصوف في أفضانستان هي مدينة هيرات في غرب البلاد، وشمال أفغانستان، والعماصمة كمابول، ومنطقة قبائل اغلزايي؛ في جنوب شرق البلاد. وينتظم مشايخ الصوفية ومريدوهم وأتباعهم في جماعة دينية، تحظى باحترام واسم، وتسمى الطريقة أو السلسلة. وقد تأسست غالبية هذه الطرق فيما بين القرنين الشاني عشر، والرابع عشر. وإلى هذه الطرق، القائمة على نظام التدرج في الرتب، ينتسب الرجال من فائت السكان المختلفة: من المزارعين، والتسجار، والحرفيين، والموظفين، والضباط، والعلماء، والفنانين، بل إن كمشيرين من الأفعان ينتسبون إلى أكثر من طريقة. يتميز بعض هذه الطرق الصوفية، نظراً إلى تركيزها على رياضاتها الروحية، بطابع التقوى والانجلاب الصوفي، بينما تغلب على بعضها الأخر الاتجاهات اللاهوتية أو السياسيــة الاجتماعية. وإلى جانب هذه الطرق الشعبية، القائمة على سكان الريف بالدرجة الأولى، هناك الطرق المرتبطة بالطبقة الراقية، ويحظى الأدب والشعر فيها بمكانة هامة. وهكذا يختص التدين بالإسلام في أفضانستان بتنوع الطرق الصوفية، مع أن رياضاتها الدينية تـشتمل على أمور كثيرة من فـترة ما قبل الإسلام، أو غير إسلامية. إن معظم هذه الجماعات الدينية الاجتماعية، التي تتنافس فيما بينها، لها اتجاهات سلفية، وتطبق الشريعة الإسلامية. ومن هنا يقوم الكشيرون من مشايخ الصوفية بالتدريس في مدارس تحفيظ القرآن. وعا هو جمدير بالملاحظة أنه في داخل هذا الشكل المؤسسي للتصوف يهب شيخ الطريقة لمريده التاب أو ناثبه مبا اختص به عبر قسربه من الله، من قدرة على الشفاء ومنح البركة، وبهما تنشأ خلافة روحية تُسمى خلافة الإرشاد. بيد أنه في معظم الطرق الصوفية الأفغانية تتوارث ذرية الشيخ نفسه قوته الخارقة، أي أنها تتميز بالطابع العائلي، والمسمى هناك خانوادغي وفي هذه الحالة يرث الابن الأكبر غالباً منصب والده الشيخ ومكانته.

وكما أشسرنا قبلاً، تتسبح أهم الطرق الصوفية المتنشرة في أف خانستان معجموعة اباشرع، التي تطبق الشريعة الإسلامية، وتحترم المأثورات المقلصة، أي تدين بما يسمى بيساطة دين المساجد. إنهم يمثلون التصوف للمتدل، الذي يؤكد على العناصر الاخلاقية، ويسمى أيضاً إلى الوصول

إلى تجليات الهرفة الله، يكون فيها للأفكار الغنومسية، والتأسلات، والزهد دور هام. ويحظى ممثلو هذه الطرق داخل للجسمع باسترام فسائق، بل إن لهم في الحسياء السياسية مناصب قبوية وذات نفوذ. وعلى نحو تقليدي تكاور يُخرجون الحكام ويتحرونهم شرحيتهم النينة. والى الموم لا يؤلل الشيخ التصوف في منطقة القبائل الباشتونية يقدم أيضا بدور الوسيط الهيام في تسوية الصراصات

وباليم شبخ الطريقة مع أسرته في مبنى يسمى الحائقة.
ويتيم هذا المبنى مسجد ومدرسة لتحقيظ القبرات، ومقابر
لأسلاك الشيخ القدمين. وبالملك يستخدم هذا المبنى
المسلات المشيخة، وكذلك كفسريح لأولياه،
يقوم بزيارته أتباع الطريقة، وكذلك كفسريح للأولياه،
يقوم بزيارته أتباع الطريقة، وخاصة النساء باعداد كبيرة
وفضلاً من ذلك يستخدم الحائقاء كعضيفة، يقدم فيبوة
الطعام المصريدين، والمسائين، والمسائين، والمسائين، والمسائين، والمسائين، والمسائين، والمسائين،



جرن حجري من قتدهار من القرن الخامس عشر

وفي قاصة متفردة تنقام حلقات السلار، ويشتمرك في هذا الذكر الشمحاتري اتباع الشميخ إثناء زيماراتهم المتظمة للخانشاء، والتي تتم مرة إلى مرتبين على الأقل في العام، حاملين معهم الهمدايا لشيخهم.

وتعتبر الطريقة التقشيندية أكبر الطرق الصوفية في أفغانستان إلى اليوم، وأتبساهها كثيرون، وعلى الانحس في شسمال فقراعي البائستونة في جنوب شعرق البلاد. وهذه الطريقة فقراعي البائستونة في جنوب شعرق البلاد. وهذه الطريقة المسمئة بناسم الولي، بهما اللدين نقشينة (١٣٨٨ - ١٣٨٨ - المسمئة المسئلة السينة في الإسلام؛ كانت قد رسمت في بخماري في أوزيكستان، وتتضرت عبر آسيا الوصطى غرباً حتى وصلت إلى مثمال إفريقيا، وشرقاً حتى وصلت إندونيسيا. ويسلك متصوفة النفشينية إنجاماً صوفياً واقعياً إذ يولون الأهمية للمسلاء، والأعالم، وذكر موضواً واقعياً إذ يولون الأهمية للمسلاء والأعالم، وذكر ويرضون الرقس والموسيقي، والإشكال الشعبية تنقلبي

الأوليماء، واصفين ذلك بأنه ليمس من الإسلام. وهذا التدين المتشدد أدى في القرن الثامن عشر بحركات تجديدية في الطريقة، إلى المناداة بالعودة بالتمسوف إلى أصوله في فجر الإسلام. ومن الممهمدين لانتشار الطريقة النقـشبندية الشيخ الصوفي الخراساني، يوسف الحمداني (ت. ١١٤١)، الذي كمان الصنعائمي من تلامذته أيضاً. وفي عمهد التميمسوريين، المحميين للفنون، والذين حكمموا في سمرقند وبخارى وهيرات، عايشت الطريقة في الـقرن الحامس عشر فترة ازدهار، أدت إلى انتشارها بين الطبقات الراقية المشقفة. وأما الانتشار الهام لهذه الطريقة في شبه القارة الهندية فيسرتبط بالشبيخ أحممد سيسرهاندي (ت. ١٦٢٤)، وإلى هذا الشيخ، الذي لُقب بمجدد الألفية الثانية للتقويم الإسلامي، يرجع تأسيس فرع الطريقة، الذي يسود أنسغانستان إلى اليسوم، والمسمى الطريقة المُجدَّدية. ويإشراف من عينهم نواباً له في أفخانسـتان، الشبيخ يوسف، ومولانا أحمد، والشبيخ حسن، بني العمديد من الحانقاه في قمندهار، وكابول، وفعي شمال البلاد. وبعد إقامة الدولة الأفضائية عام ١٧٤٧ بقليل صدرت الدعموة إلى طريقة المجددين لإتشاء مقر لهم في العاصمة كابول. ولقب رئيسهم بـ الحفرة شوربازاره، تبعاً لاسم الحي القديم في كابول، الذي كان يضم مسكن الشيخ، والخانقاه التابع للطريقة. وآتذاك انضم أيضاً الملك الأفضاني، أحمد شاه صيدلي (ح. ١٧٤٧ ـ ١٧٧٣) إلى

أتباع الطريقة النقشبندية، التي ارتبطنت طوال تاريخها بالحكام، ليس في أفخانـــــــان فقط، وإنما أيضــاً في دول أخرى من العالم الإسلامي، والتي قادت في بعض الأحيان مقاومات مريرة ضد الحكام السياسيين غير الشرعيين. فعلى سبيل المثال كان شميخ النقشبندية «هداً صاحب»، الذي أثر في طرق صوفية أخرى، ذا دور بارز في الكفاح ضد الاستعمار في القرن التاسع عشر، كما كان صاحب نفوذ كبيسر في شرق أفعانستان. وقاوم بعد ذلك، ومن خلال ثورات قبـــائل غلزايي في عام ١٨٨١، وفي الفترة من عام ١٨٨٦ إلى عام ١٨٨٨ الأمير عبد الرحمن، الذي كان قد تولى الحكم بمساعدة الإنجليز. وكان هذا الأمير قد دها إلى التطبيق الصارم للشريعة الإسلامية حسب العبقيدة السنية، وألحق الأذى بالصوفية، والدراويش. وفي الحرب الانجلو ـ أفغانية الثالثة عمام ١٩١٩ وقف مشايخ طريقة للجددين إلى جانب الملك أمان الله في الكفاح ضد الإنجليز، إلا أنهم قاموا بعد ذلك ببسضعة أعوام بمعارضة سياسبته الإصلاحية المتأثرة بالغرب. وظهر التدخل القوي للمجددين في الأحداث السياسية الحديثة في عمام ١٩٧٨، متمثلاً في تأسيس الجبهة الوطنية لتحرير أفغانستان، وهي حزب صغير للمقاومة ضد الغزو السوفيتي، أسسه الشيخ صبغة الله مجددي. وفوق ذلك فسإن إسماعيل خسان، الحاكم المحلى لمدينة هيرات من أتباع النقشبندية. وإلى جانب المجددين هناك فروع أخرى للطريقة في شمال البلاد وغربها.

متصوفة من شمال غرب البحاب، تصوير: Staatliches Museum für Völkerlande, München



وخملال تاريخ التصوف في أفعمانستمان فامت الطريقمة القادرية أيضاً بدور اجتسماعي وسياسي هام. وتعتبر هذه الطريفة أكبر وأشمهر جسماعة أخوة بين غمرب إفريقيا وإندونيسيا. وقد أسسها الفقيه والصوفي البغدادي، عبد القادر الجيـلاني (١٠٨٨ ـ ١١٦٦)، ويلقب هذا الواعظ المبسجل في الشسرق الأوسط، وفسى جنوب آمسيسا بقطب الأولياء، ويمجده العامة لكراماته الكثيرة بالدرجة الأولى. ووهب قواته الخارقة لعدد كبير من ذريته، ويُذكر أنه تزوج بأربع نسوة أنجبن له تسعة وأربعين ولدأ. وباتجاهها السلفي في العقيدة حظيت الطريقة القادرية بأتباع لها في المدن، إلا أن لها أتباعاً في المناطق الريفية أيضاً. وانطلاقاً من أوساط الهند المتحضرة اكتـسبت الطريقة، وخاصة في القرن السابع عشر، شعبيتها، عندما ارتبطت المنطقة بين نهري الغانغ والهندوس في مملكة المفول ارتباطأ وثيقاً بأجزاء كسبيرة في أفغانــــــتان. وآنذاك أرسل شيخ الطريقة القادرية المشهور، نوشاد تلميذه، الشيخ (خوجه) محمد فضيل نائبا له إلى كابول، وفي القرن التاسع عشرعززت الطريقة نفوذها بسين قبائل غلزايي الباشتونية في شرق البلاد، وفي بداية القرن العشرين انتقل بطن مسشهور من عشيرة الجيلاني من شب الجزيرة العربية إلى إقليم نانغارهار في شرق أفخانستان. وهناك أقام أفراد هذا البطن، الذين وصفوا أنفسهم بأنهم من آل البيت، صلات قوية، من خلال الزواج، مع العائلة المالكة في أفغانستان،

ماثلة محمد زاي، واكسبوا بذلك سلطة دينية وسياسية متميزة. والمثل الرئيسي لهذا الذي في الوقت الحاضر هو الشيخ سميد أحصد الجاياتي، الذي أسس في شمانينات الشرين حزب المقارصة للحافظة . وكما هو شال التشخيئية، يوجع أخرى للطريقة القادوية، لها الباعيا الجيلاتي، فروع أخرى للطريقة القادوية، لها الباعيا الجيلاتي، فروع أخرى للطريقة القادوية، لها الباعيا منها، والتي تتبع مبدأ إدن الروحية، هي أسرة الشيخ تاضاب المصي باسم صابية نافاب الصغيرة في إقليم كايسا شمال شرقي كباول. ومن الرياضات الماينية للطريقة الفادوية في الفائستان يلاحظ أنها تؤدي اللكر جو أ.

ولي ماترن الطريقتين في الأحصية، الطريقة التشييسية، للمنزة فقر متصوفيها، والتوكل المطاق على الله. وفضاً للمنزة فقر متصوفيها، والتوكل المطاق على الله. وفضاً من ذلك يضطل اتباصها المرسيقي كوسيط للمنزغ حال الروسية، ويسمحون إلى حد ما بالرقص الإنجابي، ويوجهها إلى الريف تشتهر الطريقة بخاصة في الهند وياكستان، حيث أدخها منين الدين التشييشي (1817 وياكستان، ويتسب ملما الشيخ إلى عائلة من الأشراء في ونط إيران، ولهي شبيها القرارة الهنائية تمند هله في ونط إيران، ولهي شبيها القرارة الهنائية تمند هله الطريقة، بتركيزها على تقديس الأولياء، الشكل المعيز المؤيقة، بتركيزها على تقديس الأولياء، الشكل المعيز



Ellers we Fore W1 . i < i

لتقديس الأضرحة في الإسلام. وتعود جذور هذه الطريقة الصوفية إلى قرية چشت الصغيرة، الواقعة على بعد ١٥٠ كيلومسترا شرقي مدينة هيرات. وفي كابول باللمات يشير كثيرون من الموسيقين إلى سولهم إلى هذه الطريقة، وهناك يردي إنساعها الذكر مصحوباً بالفناء، وسوسيقى آلة

وإلى جانب الطرق المصرفية المذكورة توجد الطريقة السهروردية التي تعود إلى إيران والتي كان لها في القرن المانني حسر في الشرق الاوسط، وفي جنوب آسيا نفوذ قوي. كما أن معظم صلات مذه الطريقة، التي تُمد اكثر واقعية، وترفض الشعر والموسيق والرقص كوسيط للمعايشة الدينية، صلات ولاه وثيقة بأسر الحاكم، يد الله لا يُعرف إلا القليل عن دائرة نفوذها في الفناستان.

وإلى جانب هذه الطرق الصوفية الخالصة، هناك الدراويش
السادون، اللين لا يتسبرون عادة إلى أي طريقة خاصة.
إنهم معاذيب متفردون، يروضون أتفسه على الحياة في
فقصر، وفي تركل تام على الله، مضفين صدفاته على
المتسسوفة، المسروفون في أضغانستان باسم همكنغ الم
المتراويش، أناساً هامشيين، يمثلون نموذجاً خاصاً من
الروع، وتلفت ألواؤهم الأنظاد، وفي إطار المصتقادات
الدرايش، يتعدن غالباً حملة أفسرحة الأولياء ويتتقلون من
ضريع إلى آخر. كما يكسون قوتهم كمعالجين من عضاين
التصايين ولدفات العاذيب، وكمعرافين معصدي أحلام،

وباتعي غائم، وكسمندين متجولين. وكمتخصصين في التاعام مع الجن والعضاريت، توجد في ممارساتهم عناصر من شامانية آسيا الوسطى؛ فللتنبو بالمستقيا والموسطى؛ فللتنبو بالله تقل الخدوة، وللوسيقى في حالة من الفيبوية. وعارس بعض المداويش المسادون، كما تخصص بعض المداويش السائحين، الذين يتماطفون على ما يبدو مع المنشبنية، في فن المسلاح لمنتقل باللخان (البخور)، وذلك بسحرق بنو تبات السلاب البري.

ومع ملاحظة الانحطاط العسام للأحب العموفي، والماثورات العموفية المتقولة مشافهة منذ الغرون الاخيرة في الغانستان، وأوضطهاد جماعة طالبان قبل سنوات قبلية لائيام التعموف، إلا أنه يبسلو أن هناك حباليا تشييطاً للهياكل الذينية، والاجتماعية المرتبطة بالتصوف، وما يتعلق بذلك من الشطة. وعلى كل، ققد الهيت شمساتر الذكر في مسنوات الحرب في العقلين للماضين بعجماس متميز، كما يجري في مثلا رمن قديم بين الطرق العصوفية في الغائستان، ونظيراتها مثلا دمن قديم بين الطرق العصوفية في الغائستان، ونظيراتها المعاصف مستقيلاً. ويرتبط بالتعموف ارتبطا وثيقناً الاعتقاد العاطفي في تقديس الإراباء الذي لا يزال يعتبر مقسوما الماطفي في تقديس الإراباء الذي لا يزال يعتبر مقسوما اساسياً وحيوياً للثقافة الافغانية اليومية.

ترجمة: محمد الحشاش





اعادة افتتاح معهد غوته في كابول

حوار مع مديرة المعهد

تأسس معهد خوته في كابول عام 1970 وأخلق صام 1977 يسبب الحرب الأهلية. وفي الثاني والعشرين من أبلول/ سبتمبر ٢٠٠٣ أعيد انتتاحه في إطار احتنفالي وكاول معهد: ثقاني أجنبي. وبهذه المناسبة التقت دفكر وفزه في كابول بمديرة المعهد رينانا ابلزيسر وأجرت معها الحوار التالي:

ما هي الجالات التي سيحمل فيها معهد غوته بعد إعادة انتناحه في كابول؟

ستسايع العمل أي ما بدأناه في السنة الماضية، أعني في مجال السينما، المسرع، الموسيق، الفن التشكيلي وتجهيز المكتبات وتأهيل المكتبات، هي النقاط الاساسية في عملنا، ستضاف إليها مجالات أخرى، ولكن ذلك يستفرق بعض الوقت. سيكون أي مشروع مجديا حين نقوم بالعمل بشكل منظم وهذا يحتاج إلى وقت اطول.

ماذا يعني العمل المسرحي والسينمائي في الواقع؟
 هل يعني أتكم ستدعون أشخاصا من ألمائيا وتقيمون علاقة بينهم وبين شركاء ألفان؟

نعم، هلا صحيح، ندهـ فتاين ومتخصصين وخيرا، من المائية، ودشات عمل طويلة مع المثالثات، فقد ظهر في السوات الأخيرة أن أسيرما الأخيرة أن أسيرما لأفغانسنان هو وقت تصير جنا. وإننا نحتاج منا إلى وقت أطول لبني من الأساس قـملا ونظل المارف إلى الشـركا، الأفغان في مجالات كانوا مقطوعين عنها راما وليلا جنا. الأفغان في مجالات كانوا مقطوعين عنها رامنا طويلا جنا.

وهكذا فإن صملكم يتشكل بالمدرجة الأولى في أن تكونوا وسيطا بين المتخصصين الألمان في للبالات الثقافية والأفضان المهتمين بهما والذين يسريدون المسمل في هذه المجالات أيضا؟

لم تمد توجد سوى نقاط ارتباط قليلة في العمل التفافي. إننا تحاول من خلال الاتصال بالفنانين والمتخصصين الآلمان أن مُكن الشركـاء الافغان من الاتصاف بالشافة والفق في البلدان الاخرى ثانية. إننا ننظر إلى مهمتنا كساعدة لإعادة بناء المثافة الافغانية قبل كل شيء. لن يحل تقديم الشقافة بالافائية المكان الأول في مهماتـنا في الفترة القادمة إنه مهم جدا لنا أيضا أن يُعرض ما يقوم الفتائون الاقفان بإنتاجه في مجال محال السينما والمسرح والفن التشكيلي في الحارج، هلا السينما والمسرح والفن التشكيلي في الحارج، هلا

يعني أننا ستأتي بغناتين أفخان إلى ألمانيا أيضا، وقد أقمنا في نيسان / أبريل أسبوها أفخانيا في المسرح الألماني في مامبورغ، كما أقمنا صروفها سينمائية عديدا للأفلام الجميدة التي أتتجب هنا في كمابول. نريد أن نصرف للجمهور الألماني ما يتجزه الافخان من جديد في هدا للجالات. وسيظهر المستمل ما إذا كان الفنائون الأفخان يعملون أيضا بشكل مستمل عن هذه المشاريع التي تقدمها لهم، وسا إذا كان قدة تحميل طبعلي. ولكن لا يزال أمامنا طريق طويل لبلوغ هذا الهدف.

 هذا يمني أنكم لم تقدموا بعد فعالية مفتوحة للجمهور مثل حروض الأفلام والمناقشات العامة والقراءات وما شابه ذلك؟

بلى. إننا نريد أن نقدم شيئا للجمهور المهتم، نريد أن تقوم
بعمل إعلامي وتصبح معروفين. فيما فإننا سنطنه بالداد
إعلى المجتمع معروفين. فيما فإننا سنطنه بالداد
ريا نرجع الأضلام المنتبية، الأشار المصامعة أيضا، لحقد
لاتت هذه المتساما كبيرا جسدا من قبل شركانسا في مجال
السيما، ولكسنا أن نسطيح في الوقت الحاضر أن نستظم
ورشة العمل المسرحي في الجامعة إلى الجمعود في
معل ووشة العمل المسرحي التي تقام منذ أكثر من ثلاثة
النهاية. خطط للات مسرحيات سيقوم بتصابها الطلاب
المنهانة. خطط للات مسرحيات سيقوم بتصابها الطلاب
المواعية فريد أن نقدم في المركز الشقافي، الذي أعبد
الوطية فريد أن تقدم في المركز الشقافي، الذي أعبد
الوطية فريد أن تقسم ويتافى دعما لماذ منة من البناك
التناءء منذ ثلاثة أشهو ويتافى دعما لماذ منة من البناك
الدولي، حفلات موسيقية.

هل ستقدمون دورات لتدريس اللغة الألمانية؟
 نعم إنها بدأت منذ آبار/ مايو. لدينا الآن أربع دورات،
 ويتنظر أن تضاف إليها أربع دورات أخرى في تشرين

الأول/ أكتوبر. الاهتمام باللغة الألماتية في أفضائتان كبير جداء بسبب الملاقات الطبية الطويلة بين البلدين، لا يزال شمة أفغان كشيرون مرفيون في تعلم الألماتية. نريد أن تكون قادرين على الاستجابة لهذا الطلب، فيأنه مفيد بالنسبة إلى الشبان خاصة أن يتعلمو الألمانية، ويما ليستطيعوا المنواسة في ثمانيا فيما بعد أو يحمصلوا بذلك على فرصة للحصول على عمل لذي المؤسسات الألمائية الكبيرة هذا.



ريناته إلزيسر، مديرة معهد غوته في كابول، تصوير: Stefan Weidner

■ وهكاما يستطيع المرء القول إنّ ممهد فوته في كابول ينفذ إلى جالب ورضات العمل التي هي نوع خاص جدا من الممل الثقافي، البرنامج الكلاسيكي لمهد فوته؟ نعم. نعن نقول دائما إن عملنا يقرم على ثلاث دعائم، نعم. نعن نقول دائما إن عملنا يقرم على ثلاث دعائم، اللاعامة الأولى هي العمل المنهجي، هذا يعني الفعاليات اللاعامة الثانية هي العمل المنهجي، الفعاتون في الليدين. الالمنابية في معهدنا، ولكن أيضا المتاون مع الجهات الالمنبية لمطبعي اللغة. تدخيل في ذلك إيضا عتابهة الاستمار بالشية لمطبعي اللغة الألمانية، وغم أنه لا يوجد الحد تحدل قياما بشاريع في صدن الفاطعات على هرات المحدودات المنابط بشاريع في الفعات الفعاصات على هرات المحدودات المنابط ومزار الشريف وقوندوز. إلا أن هذا صعب ويحتاج إلى ومتاح الملد وتحت حياب سائد إلى مده المدلد وتحت حياب سائد إلى مده المذلك

بكثرة. لهذا فليس أمامنا إلا البحث عن شسركاء يعتسمد عليهم هناك.

الدهاصة الثالثة هي عمل للكتبة في مؤسستنا. ليس لدينا للأرقف سوى غرف صغيرة، هما حل سوقت للستون القادمتين. إذا تطور كل شيء تطورا سلميا نفكر أن نستأجر فيحا بعد بناية أكبر. غرف التدريس في الوقت الخاض مترسقة الحجيم، إنها تكفي بالأن، ولكن ليس لدينا سوى غرفستين، للكتبة صغيرة جدا، إنها أيضا مكتبة لإنبات غرفستين، للكتبة صغيرة جدا، إنها أيضا مكتبة لإنبات المخطور فقط، وهي ليست مكتبة للإعارة. إلا أن هذا ليس صبتا، فلم يعد في البلاد من يستطيع قدراءة الكتب الإلمائية تقريبا، من هنا أعتقد أتنا بهانا المهد مسجهزون تجهيزا جيدا في الوقت الحاضر، ولكتنا ندرك أنه يمكن أن نحساح إلي بناية أكبر في وقت ما.

مع أي الشركاء تتعاونون في الوقت الحاضر؟

لدينا تعاون وثيق جمدا مع الشركاء في مجال المسينماء إنه أيضًا المجال الذي لا تزال تتوفر فيه شروط كثيرة جدًا، فقد كان الكثير من العاملين في السينما في المنفي في باكسستان وإيران واستطاعوا هناك أن يتبابعوا عملهم. يعود المقسم الأكبر من الأفغان الذين كانوا في المنفى في باكستان وإيران. من هنا لدينا في هذا المجال شركاء نشيطون حددنا معهم نوع المساهنة بصورة واضحمة _ بالترجمة الأولى في التسجهسيـزات وورشات العـمل. في هذا المجال يستجز في أفغانستان الكثير، حيث يجري الآن إنتاج الأفلام ثانية. وقد الفيلم الأقسفاني، على مبسيل الثال على جائزة خساصة في مهرجسان كان. وقد بيع حتى الآن في بلدان كسثيرة وعرض في بعض منها، وسيعرض في ألمانيا ابتداء من كانون الثاني/ يناير. هذه هي أول خطوة كبيـرة باتجاه نشاط ثقافي مـستقل في أفغانستان. أنتج مخرجون آخرون كثميرون أفلاما قصيرة ويخططون لإنتاج أفلام روائية طويلة أو أفلام وثاثقية .

یدو أن افتتاح فرع لمهد ضوته في كابول مضامرة للذين لا يعرفون الوضع في كابول. كيف تقومن الوضع الأمني والاستقرار السياسي في أفغانستان؟ من الصحب تـقويم الوضع الآن، ليس ثمة من يجرد على

من الصعب تقويم الوضع الآن، ليس ثمة من يبجرو على التنجابات من المؤكد أن الانتخابات التنجابات من المؤكد أن الانتخابات في السنة القادمة التي يعد لها المجلس التأسيسي في كافون الشرك رحيسمبر القادم ستكون حدثا حساسما، مسودة هذا اللمتسرو قد وضعت وستناقش من وجهات نظر متضادة جداً، وقد جرى التشكير بالقيام بعمل توصية في الاقاليم تمل توصية في الاقاليم تمل توصية في الاقاليم تمل بداءا عمل صعب جداء لان الكثير من القرى غير آمنة ومن المكن الا يكون جميع جداء

الناس قد المفدوا. أشعر في الوقت الراهن في كابول بالامان، لم اشعر أبدا أنني مهددة شخصيا. يمنع الافغان الشعدور بالترحيب دون قيد، وهم يتلقون عملنا بليجالية كبيرة. إننا ندرك نعن الاجانب هناء وجود سجموعات صغيرة تعارض أي تعاون مع الاجانب وتعقير الشمافة الاجنية أداة شيطانية. من هنا لا يستبعد تمام الشمالة أعمال اعتماده من هذه الزاوية. ولكن الخطر في كابول ضعيف نسينا في نهاية الامر بفضل الخضور القوي تقوات خطط الامرا للدولية.

هل هناك مؤسسات ثقافية أجنبية أخرى تخطط لإعادة إفتتاح مراكزها؟

لدي منذ وجمودي هنا، منذ عام بالمضبط، اتصال بالبسريطانيين والفرنسيين الذين كانوا قسد فكروا منذ وقت طويل أيضا بإنشاء معهد ثقافي. لم يتحقق هذا حتى الآن، لكنني سمعت الآن من الفرنسيين أن أحد العاملين في المعهد الفرنسى التابع للمعهد الثقافي الفرنسي سيأتي إلى السفارة الفرنسية . ولكنهم لم يفكروا بفتح معهد خاص. أما البريطانيون فهم مـــترددون على كل حال، حيث يساوى بينهم وبين الأميسركيين بأشكال كثيسرة، ووضع البريطانيين والأميركيين في أفضائستان يختلف تماما عن وضع الألمان. يقال دائما إن المرء ينظر إلى الأمسركيين كمحتلين ويريدهم أن يغــادروا البلاد بالســرعــة المكنة، بينمــا ينظر المرء إلى الألمان كشمركاء ومساعمدين في إعادة البناء. لنا من خلال هذا وضع ممتاز جدا. لا يحتاج قيام المرء كألماني بعسمل ثقافي إلى شجاعة خاصة، فالثقة التي يواجهنا بها الأفغان هائلة، أحيانا كيميرة بشكل مخيف، لأنني أرى في ذلك خطر ألا تكون مستحقين كل هذه الثقة.

الا ترين أن ثمة خطرا في أن تنفصل كابول ثقافيا وسياسيا أيضا عن بقية البلاد من خلال الحضور الأجني الكبير هناك؟

نعم، نحن نرى هذا الخطر أيضا ونحاول أن يكون لنا حضور في بعض المواقع حلى الآقل في منذ الآقاليم وان غيد فسركاء هناك. كنت في مزار النسريف واطلعت على النشاطات الثقافية المزجودة هناك في الوقت الحاضر، يوجد هناك مركز للثقافة والإعلام، أبدى العاملون فيه استعدادهم للتحارث معنا. إلا أنه يصحب جدا إنجاز هذا العمل من كابول، فالشوارع ردية للضاية ولا توجد غالبا صوى رحلة جدوية أو رجلين في الأسبوع، والشركاء لم يصبحوا

قادرين بعــد على العمل المستقل حــقا. إلا أن معهــد غوته بريد أن يبدأ بـفعاليــات في هرات على سبــيل المثال. فقد كانت هرات دائما مركزا ثقافيا في أفغانستان.

لقد كنت في سارايف أيضا بعد الحرب بوقت قصير، كيف تقارنين بين الوضع هنا في كابول و تجاربك في للبوسنة?

لم أكن في سارايفو بعد الحرب مباشرة. وصلت سارايفو عام ٢٠٠١ كاتت الحرب قد انتهت عام ١٩٠٥ ها هذا عام تعدد كات قد مرت خمس سنوات على انتهاء الحرب. كان قسم كبير من سارايفو أو التصف على الإقل قد أهيد بناؤه. سركز المدينة قد أهيد بناؤه كاسلا. هذا لا يقاون باقد خانسان. يضاف شيء آخسر إلى ذلك: لقد خرج من باقد خانسان. يضاف شيء آخسر إلى ذلك: لقد خرج من السوسة حفا أناس كيلسرون جديا إلى للنفي عدا اندلاخ السوسة حفا أناس كيلسرون جديا إلى للنفي عدا اندلاخ كثيرا. رهكذا فإن البورسة لم تؤترف ثقافيا إلى الحال ها منا. وكنا عدد اللاي عدا الروة الشقافية مباشرة ورغم خل صغرات الألوف عن لهم علاقية بالتعليم والثقافة ورغم خل صغرات الألوف عن لهم علاقية بالتعليم والثقافة في الثارة الشقافية ، لم تكن الحسارة بالفة الشدة كسا في انفانستان.

هل تعتقدون بأن عملكم يحظى بدحم الرأي العام الأثانى والرسمين الألمان؟

نعم، ألسياسة الألمانية تدهم صملنا هنا، لقد كانت رضية ورازة الخارجية الأكيدة أن يضع معهد غوته هنا، وقد حصلنا على أصوال كنافية من الصعندوق للخصص الإفغانستان، بالطبع عليوا ما يسائنا الأصندقاء والصحافيون لافغانستان، إنتي أدرك أن حاجة أفغانستان إلى الثقافة ليست أكثر الحاجات إلحاحا، عدا هذا لا تزال البلاد فقيرة جدا ولا يزال الكثير من الناس يصيش عُمت مستوى الحد الأنفافة غلب ورا مها في إقاصة للجدم الذيني، وأن أن الثقافة غلب ورا مها في إقاصة للجدم الذيني، وأن اللميل الشفافي كما يفهمه صعهد فوته، يسهم في الشي المؤلفان. المناسكة المؤلفان، وهذا ما يؤكد لي أيضا الكثيرة من شركاتنا الإفغان.

> أجرى الحوار: شتيفان فايدنر ترجمة: سالة صالح

المنفى موت الفنان الحياة الثقافية الأفغان الشتات

تنطوي الحياة في المنفى على العمديد من السلبيّات. وكلّ أولئك الذين وجدوا أنفسهم لسبب أو لآخر مجبرين على مغادرة أوطانهم في يوم ما لا يمكنهم إلا أن يؤكَّدوا هذا الأمسر. إلا أنّ الكاتب الأفسفائي "راهنا وارد زرياب"، الذي كان عليه حتى وقت قريب أن "يعيش حياة الضنك " في فرنسا يرى في حياة المنفى عاملاً إيجابياً محمدًّدا إلى من عرف هذه التجربة: "إنَّ من يعيش في المنفى يغمدو بإمكانه أن يحميا جملوره وخلفيات تكوينه الثقافي بوعي وينظر إليها بموضوعيّة أكثر، وأن يُقوَّم بصفة أفضل الجوانب الإيجابية والسلبية للأصل المذي ينتمي إليه. * وهذا أمر لا يقدر عليمه المرء طالمًا ظلّ يعيش في بلده حسب رأيه. إلا أنَّه يقرَّ أيضًا بأنَّ خسران الوطن أمر مميت بالنسبة إلى كلّ مبدع .. يعنى الشاعر والكاتب والرسام والموسيقار . إلخ _ ونهاية عمله الإبداعي، ذلك أنَّه سيجد نفسه مدفوعًا إلى فسح مجال للحدث السياسيُّ ليفتحم أعماله، ولدعم مقولته الأخيرة هذه يحيل الكاتب الأفغاني (٥٨ سنة من العمر) على تجربة الفنّانين اليهود الذين اضطروا للرّحيل عن موطنهم ألمانيا والهجرة إلى الولايات التّحدة، وكيف أنّهم لم يتــمكّنوا هناك بالرغم من الضمانات الحياتية التي كانت متوفّرة لديهم من

استعادة طاقاتهم الإبداعية السابقة. "فاضل الأطان"، يقول
"فاخل أركارها تشرق المصاليب بأعلب الأطان"، يقول
زرياب، إلا أنه شخصياً كتب روايته الأولى في المنفى،
أما قبل ذلك فلم يُصدر صوى قصص قصيرة. هل زرياب
طلى حق في ما يقول؟ هل استطاع الأهنان الذين اضطرارا
خالا الشالاين سنة الماضية إلى مضادرة وطنهم أن
يرضعوا بصفة افضل علاقهم يجدورهم عن طريق نظرة
نقدية مؤسوعية؟ وهل أن الكتاب والشعراء من بينهم قد
غدوا أسخاصاً منكسرين ووحيدين لم بعد لمديهم ما
غدادة.

إنَّ الإجابة بنسم أو لا عن هذه الأسئلة قد تسكون إجابة تعميميَّة تهمل الخصوصيَّات والفوارق. ولملَّه ينبغي علينا أوَّلا أن نرى في أيَّة أساكن من العالم تسواجد جـاليات أفغان المفى، وفي ظلَّ آيَّة ظووف تجد نفسها مجرة على العبش والتمسَّك ببقائها.

شعب من اللاجئين

عندما انطلقت موجات وحيل الأفغان الأولى بأنجاء البلدان للجاورة خلال السيمينات من القرن المتصرم كان عدد سكان فالأن حسب إحصاليّات الأمم المتحدة حوالي مليونين. والآن، هناك حوالي ستة ملايين من الأفغان ماراؤر أيران بوسئون حتى يومنا هلا خارج وطنهم، مسلونان منهم في أيران يوسئون يزيد عن الخلاق صلايين في باكتستان وقراية الله ٤٠٠٠ الله في بلدان العالم الغربي (أوروباء أميركا، كندا، أستراليا)؛ وفي المائيا وحداما يعيش في الاتفاء ما يقارب الد ١٠٠٠ الله المعيد من المهاجرين، الافغان، وبعد مسقوط نظام الطائبان شرع المعيد من اللاحجين، من باكستان وليران في الخالب، في المعردة إلى وطنهم المدمّ.

لقد قت حركة هجرة الافتخان من وطنهم على مراحل مستالية. أنصار الحكم الملكي كانوا أوّل من بدا بالرحيل مستالية. أنصار الحكم الملكي كانوا أوّل من بدا بالرحيل على إثر الانشلاب اللهي قام به داوود حسان الذي أطاح إمكانيات للمرحيل واللين كانوا يريلون النجاة من قبضة نظام داوود خان والنظام الشيروعي من بعد. ولقد استطاع الموسرون من بينهم القرار إلى أوروبا والولايات المتحدة هرياً من حملات القصف التي كان الجيش الاحمر عطر بها البلاد ومن عمايات المقصاص التي كانت لخامها المحكومة المؤسسة آلشاك. ولم يكن مناك مسوى قلة قبلة من الموسوى من عليات لا تتجاوز إيران وباكستان حيث كان عليها الموسرين نظلت لا تتجاوز إيران وباكستان حيث كان عليها الموسوى ماكن بالسة ومآوي دون مستوى ما تنضيه الكرادة الإنسانية.

وعندما وصل المجاهدون ثم الطالبان من بعدهم إلى الحكم لم يطالم في أفضاً استعاضوا أولئك الذين يتسمسون إلى المترافع ألم أولئك الذين استعاضوا ألى المترافع المتحددة الاكثر فقراً، أو أولئك الذين استعاضوا في ظل الاوضاء الجديدة أن يبغوا مستوى معيناً من الرقاه. يجد لمه اليوم مستقداً في ما لا يقل عن الستين بلدا من يجد لمه اليوم عناك من يمن هذا المشتاء المحالم. وليس هناك من يمن هذا المشود للمجتنة من ترتبها الاصلية مسوى جزء قبل عن استعاض أن يضمن لنفسه في أدويا وأميركا بناء حياة جديدة في أمان ووفاهية، وأن يمنح أطفاله في حالة توقير الاهتمام وللوهية فرص التعليم

والدراسة في أفيضل جامعات العالم. إلا أنّ ضغوطات الحرص على الظهور بمظهر الغنى والنجاح تبلغ في بعض

الأحيان درجة مهولة لدى الأفغان من المقسمين في البلدان الغربية. فحفلات الزفاف الأفغانية على صبيل المثال غالباً ما تبدو مبالغة في الفخاسة والتبجُّح وتكلُّف نفقاتُها الزوجين ار عائلتيهما ما لا يقل على ٢٠ ألف دولار. في حين يجد الأفغان الذين يقيمون في إيران وباكستان أنفسهم في أغلب الحالات بصارعون من أجل لقسمة العيش اليومية، ويتحمَّلون أفظع أشكال الإهانات. ففي إيران مثلاً لا يحقُّ لأبناء اللاجئين الأفضان التمتّع بما يُمنّح لبقيّة الأطفال من تعليم عمومي"، الأمر الذي يجعل بعض الإيرانيين يقدّمون أطفالاً أفغاناً على أنَّهم من أبنائهم كي يتمكَّنوا من الحصول على الحقّ في دخول المدارس.

متحدين نفدو ضعضاء

والآن ما هي الصورة التي تبدو عليمها الحيساة الثقسافيّـة والإبداعية لأفضان المنفى ويصفة خاصة في بلدان أوروبا وأميركا الغنيَّة والحرَّة؟ هل هناك جمهود للحفاظ على الثقافة الأفغانيَّة كما كانت؟ المشال التالي من كندا سيقرَّبنا قليلاً من الإجابة عن هـذا السؤال: في أواخس سنة ٢٠٠٠ دعت جمعيّـة الأفغان لمدينة فانكوفر أعضاء مجلسها الإداريّ إلى اجتماع خارق للعمادة. "أين سندفن موتانا؟" بهذا السؤال البسيط والمفجِّر للغاية افتتح رئيس الجمعيَّة الجلسة. كان أعضاء الجالية الأفغانية بفانكوفر يربدون مبقبرة حيث يمكن لموتاهم أن يرقدوا جنباً إلى جنب مع أخواتهم إخوانهم

بعد مجادلات طويلة انتهى المجلس المكوّن من ثلاثين رجلاً وامرأتين إلى قرار أن يكلّف وفد من عشرة أشخاص بتقديم طلب مكتوب مباشرة إلى رئيس بلديّة المدينة. والآن بقي على المجلس أن يقرر من هم الأعضاء الذين سيتكون منهم هذا الوفد. وكان الاتفاق على أن يتكوّن الوفد من باشتون لكن بعدد محدود، وطاجيك، وهزارة، وأوزبيك، وسنة، وشبيعة، وعناصر من أنصار الإديولوجيَّات الدنويويّة والأخرى الدينيَّة. كان هناك حرص على إظهار أنَّ الأفغان في فانكوفر لا تمزّقهم النزاعات مثلما هو الحال بالنسبة إلى جاليات أخرى. كمان لا بدُّ من جعل الـوحدة الوطنيَّـة تنعكس في هذا المثال المصغر أيضاً. ففي أفضائستان ليس للناس متسع من الموقت للتفكير في مثل هذه الأمور بالرغم من أنَّ المسألة العرقيَّة قد غدت موظَّفة سياسياً وبشكل حادٌّ خلال العشرية الأخيرة.

تطلّب الأمر حوالي ساعــتين من الزمن قبل أن يُتوصّل إلى الاتفاق على الأحضاء العشرة المناسبين للشركيبة السياسية والقبليَّة المرغوبة لهذا الوف. لكنَّ إحدى السيِّدتين

المُشتركتين في هذا الاجتماع أشارت باحتشام: "في هذا الوقد ليس هناك من تمشيل للنساء! * فعلاً! لا يضم الوقد أيَّة امرأة! لكن من من الأعسضاء المتسخبين مسيكون على استعداد للتنازل لـ والأخمين، الله مشكلاً ثانياً قد انضاف إلى المنالة وهمو أنَّ السيَّدتين تشميان إلى نفس الأصل القبلي. وهذا أيضاً لا يصح. حرق الشاركون رؤوسهم تفكيراً وتمحيصاً، لكن لا حلّ في الأفق، وبذلك أُجِّل الاجتماع إلى وقت لاحسَّ، وظلَّت مسألة الأموات دون حلّ، وباءت تجربة الوحدة الوطنيّة بالفشل.

مئل هذه الحالة تحدث وتتكرّر لدى كلّ جاليات اللاجمئين الأفغان تقريباً؛ "مما نغدو ضمقاء، ومن دون ثقة ليس هناك من إمكانيّة لعمل مشترك"، يؤكّد مسعود راحل الفيلسوف الأفغاني المقيم بكولونيا.

شعب لا بميل كثيرا إلى القراءة

بالرغم من كلُّ هذا يحسِّذ الأفغان عادة تكوين الجمعيَّات. وقد غدا تأسيس الجمعيّات الشقافيّة مشلاً عنصراً ثابتاً من عناصر الحياة لدى أففان الشّتات. "لكن دوماً مع حصول التنسيجة المتكرّرة ذاتها وهي أن يرى الأعسضاء المؤسسون أنفسهم يمضون كلِّ في طريق في ظرف لا يتجاوز السنَّة أشهر؛ تفرَّقهم الخصومات ليؤسَّس كلِّ واحد بعدها جمعيَّته الثقافية الخاصة "، يقول مسعود راحل ساخراً بمرارة.

وبالفحل غالبًا ما يحدث أن يرى المسرء أفغاناً قسلائل عن يقيمون في مدن صغيرة يؤسسون عدداً كبيراً من الجمعيّات الثقافيّة. "هذا الحملاف الذي يسم الأفغان في الداخل كما في الخارج يشلُّ حركتهم ولا يسمح لهم بتوحيد طاقاتهم. وبالرغم من أنَّ أغلبيَّة النخب الأفخانيَّة تعيش حالبياً في أوروبا وكندا وأميركا فهي تجد نفسها غير قادرة على تشكيل حركة ثقافية نشطة "، يعلن عنيق رحيمي أشهر الكتّاب الأفغان في المنفى منتقداً.

فملاً لم تسوصل أيّ من جماليات المنفسي الأفغمانيَّة خملال العشرين سنة الماضية إلى التوفّق في إرساء حياة ثقافيّة تشطة. لا صحف خاصّة ولا قناة تلفزيونيّــة أو برامج إذاعيّة تستحقّ هذا الاسم. وحتّى في الماتيــا حيث يتــواجد أغلب مشــاهير الشقفين اللاجئين الأفغان ومن بسنهم شعراء وكتساب ومومسيقيُّون بمَّن كانوا في ما منضى نخبة الفئات الوسطى بكابول، فيإنّ النشاط الثقافيّ بعدّ بالأحرى فاترأ. هناك بطبيعة الحال قرامات شعرية وحفلات موسيقيّة، وهناك أيضاً صحف مختـلفة ودوريات، لكن لا شيء من هذه النشاطات كلّها يتسم بالديمومة أو يخلصم إلى رؤية وبرنامج ممحكم وطويل المدى. لقد أصدرت كلُّ جمعيَّة ثقافيَّة أفضانيَّة في أَلْمَانِيا تقريباً صحيفتها الخاصة بها في يوم ما، وكان على كلُّ واحدة منها تقريباً أن تختفي من الوجود بعد طبعتها الأولى.

أما الأفغان المقيمون في إيران، ولنن كانوا مهيتين ذهبياً وغير عزتين بالخلافات بحكم أرضاعهم المهيشية الرديقة، إلا أن إمكانياتهم المادية معدادوة للماية. وإضافة إلى ذلك فإن نظام للملافي لا بسمح باية صحافة حرة، ومع ذلك فيان الكتاب الإفضان اللين يفيصون هناك ما فتشوا يفاجؤوننا بين الحين والآخو بإصدارات من مستوى رفيع . لكن وبالرغم من علم غياب الطاقت الرفيعة من كتاب وادباه فيان صحافة الرأي نظار منعدمة تماماً.

أغلب الدوريات تخفق بسبب انعدام الامكانيّات الماليّة. والصحف القلبلة التي استطاعت أن تحقّق صدوراً منتظماً قد نجحت في ذلك بفضل الدحم الماليّ الذي تُملِّها به قيادات التنظيمات الحربية من داخل أفغانستان الذين يبحشون من خلالها عن قنوات دعاية في السلدان الخربية"، يضول الصحافي نايس. أمَّا الشاحسة خالدة هياري المقيمة في فرانكفورت فستلقى بقسط من المسؤوليّة في فسشل العديد من المنشورات على عدم الميل التقليدي إلى القراءة لدى أهل وطنها: "مسن الواضح للعيان أنّنا نحن الأفضان، في المقام الأوَّل شعب لا يميل كــثيراً إلى القراءة. وبــالتالي فنحن لـــنا على استعداد لإنفاق المال من أجل اقتناء المطبوعات حتّى وإن تعلُّق الأمر بضمرورة مساندة صحيمة أو أديب. " وهكذا لم تقلح أيّة صحيفة أو أيّ عمل أدبيّ لكاتب أو شاعر أفغانيّ هنا في ألمانيا في التوصل إلى إصدار طبعة تفوق الـ ٥٠٠ نسخة. إلى جانب الصعوبات الكثميرة التي ترتبط بحياة المنفي التي لا تخضع إلى نسق انتظام عادي يتحمل أصحاب الصحف والعاملون في الحقل الثقافي قسطاً وافرأ من المسؤوليّة في هذا المأزق، إذ هم نادراً ما يولون في صملهم اهتماماً بحاجيات وتسوقعات القرّاء. بل همّهم الأساسي هو كيف يضعمون منافسيم في مواضع محمرجة: اليسماريُّون ضدّ القوى الدينيَّة وأنصار الملكيَّة، والفاشيُّون ضدَّ اليساريُّين، الديموقراطيون ضدّ الآخرين، والآخرون ضدّ الديمقراطيين، أنصار المجاهدين ضدّ أنصار العهد الشيوعيّ، الباشتون ضدّ الطاحميك والعكس . . . إلخ. في خمضم هذه الفوضي الضاربة تؤول كلِّ المحــاولات إلى الفشل بما في ذلك تلك التي تسعى بحق إلى إصدار صحيفة جيَّدة. وماذا يفعل الأدباء؟ "أغلبهم يدع نفسه ينقاد إلى رضبات كلّ تيار مسياسي، إذ أن هسمهم الأسساسي بالنهاية هو أن يقابلوا بالاحتفاء والمديع"، يلاحظ الصحفي المقيم بمونشنغلادباخ في ألمانيا حميد عُبيدي بلهجة لاذعة.

"إِنَّ الأحداث السي تلت انقلاب سنة ١٩٧٣ (الفساء النظام الملكيّ المعتسوري وإنهاء مرحلة عشر سنوات من التسجرية الديمقراطيّة، ثمَّ الانقلاب الشيوعي وتلخّل الجيش السولياتي بعد خسمس سنوات من ذلك)، قد طوّحت بأنداد الشعب الانغاني يصفة بالغة القسوة خارج مدار حياتهم المالوقة الأمر

الذي جعلسهم إلى اليوم دائمي البحث عن وجهة وشاطى. أمان "، يقسول عاصف اهانغ المؤرخ الانفساني المقيم بكندا. " لقد عصدت حكومات السنوات العشر الاخبرة إلى تصسفية جلّ الشخصيات المهمة في مجال النشاط العمومي للحياة في افضائستان "، يوضح اهانغ. وهكذا غذا المركب الأن دون ربّان، تائهاً من غير هلف محدد.

أمًّا زلماي هيوادمال الباحث في مجال الدراسات الأدبيّـة فيلاحظ من جمهتمه أنَّ الأفضان لم يتمكَّنوا بعمد من هضم الأحداث المتي طرأت على البسلاد خملال الشملائين سنة الأخيرة، لذلك هم لا يستطيعون في الخارج كما في الداخل أن ينجحوا في تحقيق أيّ وثام. "فجأة تحوّل كلّ شيء لديهم إلى سياسة. وكان على المرء أن يتخذ موقيفاً: مع أم ضدّ الحُكم الشيوعيّ وتدخّل الجيش السوفياتي. الجار الذي كنت تثق فيه طوال سنوات قد يكون تحـوّل فجأة إلى عدو يمكن أن يخونك؛ والأطفال يلقّنون في المدرسة الوشاية بآبائهم. ووجد المجتمع نفسه مقسماً إلى مثات الاتجاهبات السياسيّة والدينيّة. لقد حلّ الشرق والغرب هناك كي يحولا حربهما الباردة إلى معركة ساخنة تدور رحاها على كباهل الشعب الأفغاني. ولقد قاما بذلك فعلاً دون ورع أو تحفّظ"، يقول هيوادمال الذي يشغل حالياً منسباً في حكومة الرئيس حامد قرضاي بعد سنوات طويلة قـضَّاها في المنفى بـــُالمانيا. "إنَّ الحرب، تحوّل كلّ بلد إلى مأوى للمجانين، واللاجتون ليسوا سوى مجانين في حالة فرار . "

كلّ الجهود التي بنلها من آجل دفع الأفغان المقيدهين بالماتيا إلى إقاسة حواد مضتوح قد باحث بالناهش الغديم. ركذلك فشلت كلّ جهوده التشجيع إلناء وطنه على الصودة إلى بلدهم. فتقتهم في حكومة قبرضاي والوعود الأمريكة نظا في الدودة إلى أفضائستان طالم ظلّ آمراء الحرب من أستال في العودة إلى أفضائستان طالم ظلّ آمراء الحرب من أستال

"إنّ مشولات روباب لا تنطبق قاساً على واقع الالفشان في الحلوم إلا بصفة مطحية في الحلوم إلا بصفة مطحية في الحلي الحلات، ولا يتخافرون في جلوم إلا بصفة مطحية في موضوعة ونشائية مع طالبات على الأحواب المؤرقة كاوا "مثالث" المائم الشاوم وللوسيقي الافغاني المقيم في فراتكسفورت، لكنه بشماطر روباب الرأي في مسألة واحدة وهي أنّ للنفي يمثل موت الفئان رفهاية عمله الإبداعي، ذلك للتحام أهماله، لكن قد يتمثن الامرائي المياسية من ين الفئانية، وأن المختار المواحد الانحيارات الافراد من ين الفئانية، وأنّ الهختار المواحد الانحياز إلى الحياة، أو من ين الفئانية، وأنّ الديختار الاواحد الانحياز إلى الحياة، أو

ترجمة: على مصباح

Dörte Benack

هواجس الجيل الثاني من أفغان المنفي ماذا يعنى "أن تكون أفغانياً"؟

عندما تُسأل جميلة عن بلدها الأصلي تجيب دون تردد: "انا أفغانية ". ومع ذلك فإنَّ هذه التلميذة التي تبلغ الثامنة عشرة من العمر تعيش منذ ولادتها في ألمانيا؛ لم تطأ قدماها أرض أفضانستان أبداً ولا تتكلُّم لغة أبويها إلاَّ بشكل ردي. إنَّها تجيب هكذا مسئل كلّ أترابها من أبناء الجيل الثاني من أفغان المنفى، لكن ماذا يعنى: "أفغاني" بالنسبة إليهم؟ تبدو جميلة مضطربة ولا تستطيع أن توضَّح الأمر بصفة واثقة: "أبواي، ثقافستي، أصدقائي، . . . " ، هكذا تحاول أن ترد بصبارات رجراجة، ثمَّ تهزُّ كتفيها.

حوميرا الطالبة في شعبة الأدب واللغة الالمانيّة تعترضها هي أيضاً مثل هذه الاسئلة؛ غالباً ما تُسأل عن موطنها الأصلى. "في ما منضى كنت أجيب بأنّني قنادمة من بلاد بعيدة، بعيدة تقع في الهندوكوش " _ وهي على أيَّة حال قد فتحت عينيها على الحباة في أفغانستان. "لكنتي لم أعرف ما الذي يمكن أن يعنيه أن تكون الواحدة أفغانيَّة سوى ما لقّنني إيَّاه أبواي حول الموضوع"، تقول حوميــرا. "أحيانًا كان يبدو لي كما لو أنَّ الأمر يتعملني بعالم غيمر حقيقيّ يجري داخل مسرحيّة: في البيت كنت أمثّل دور الأفغانيّة، أما في الخارج فإنَّ الأمر سَيَّان. " إلى اليوم لا يعرف أهلها

مثلاً أنَّها تدخَّس، وفي الخفلات الأفغانيَّة غائبًا ما تنسحب إلى حمَّام السيَّدات إذًا ما كانت تصمر على التدخين، وفي ذلك المكان لا تجد أنها الوحيدة التي تلجأ إلى هناك لهذًا الغرض، إذ المرأة المدخنة مسألة ما زال يلفّها التحريم بالنسبة إلى المجتمع الأفغاني. وعلى أيَّة حال فحوميرا لا تجعل من هذه المسألة مشكلة ؛ "حتى في حال سمح لي والداي بالتدخين فإنَّه لن يخطر لي على بال البتَّة أن أدخَّن علناً أمام الأفغان الآخرين؛ ويشكل ما فإنّ التدخين لا يتلاءم علاوة على ذلك والصورة التي لديّ عـمّا يمكن أن تكون علي، امرأة"، تقول موضّحة، وتضيف صديقتها مريم: "هناك أشياء مسيكون من شأنها، إذا ما مارمستها علناً ، أن تسيء إلى سمعة عبائلتي وتدمّر بالتالي حياتها الاجتماعيّة. إنَّها مسألة علينا كأطفال أن نحتاط لها. "

بالتسبة إلى حوميسرا كان الأمر واضحاً دوماً: "في أفغانستان تسود الحسرب، وبالتالي فإنَّ أمر العودة إلى هناك غيسر مطروح ـ على هذه الفكرة كبسرت وترعرعت. أ لقد غدا الانستماء الأفخاني ضرباً من الوجود داخل جـزيرة. العودة إلى مما يسمّى بالوطن غير ممكنة، وأخمار الوطن تكاد لا تستطيع الوصول إلى بلاد الغسرب البعيدة، ومع



دلك فإنّ الثقافة التي حملها الناس معهم من هناك ستستمرّ في الحيـاة داخل عائلتهـا كما داخل أغــلب عائلات المنفى الأخرى، وهؤلاء يورثونها يدورهم لأطفالهم.

لكن لبست العنائلات والأقارب وحدهم همم الذين يجعلون من الشباب أفغاناً. "إنّ المجتمع الألماني هو أياضاً وينفس القدر يجعل منّى أفغانياً " ، يقول مصطفى مسعود البالغ من العمر ٢٥ سنة. هناك طبعاً فوارق، لا على مستوى المظهر فقط، بل في السلوك أيضاً. "وكما أنَّ الأميـركيِّين يحدَّدون هويِّتهم ضمسن "النمط الأميركي للحياة"، كللك أحنَّد أنا أيضاً هويَّتي ضمن "النمط الافغـاني للحياة"، وإن كان نمطأ قد داخلته تعديلات أوروبيّة "، يوضّح مصطفى. وتماماً مثل مصطفى تشمر حوميرا بنفسما هي أيضاً منجلبة إلى أشباهها من أفغان المنفى. وبخصسوص ما إذا كــان هناك فرق بين أن تقضي أوقاتها مع أصدقاء ألمان أو أفغان، تجيب بحماس: "هناك عموالم تنفيصل هذا عن ذاك"، وتحاول أن تصف شعورها هذا: "إنَّ الأمور تجري على نحو أكثر حميميَّة في ما بيننا كأفخان؛ أعرف صائلات صديقاتي، ونلتــقي أيضاً في حف لات أعياد الميلاد والأعراس . . . " . تصمت حومبرا قليلاً، تفكّر ثمّ تحاول أن تعبّر بكلمات مناسبة عمّا يجول في داخلها من أحاسيس: "أحسّ بتقاسم أكثر للمشاعر هناك، وأنَّ الصديقات أكثر قدرة على فهم ما أحيشه وأشعر به. كما أنَّنا جميعنا نتابم نفس الغايات. " أمَّا لدى أصدقائها الآلمان فهي تشعر بأنَّ "الأشياء تجسري على نحو أكثر برودة، عندما نلتقي داخل مجموعة على سبيل المشال، فإنَّ ذلك يتمَّ دوماً تحت شعبار: من يأتي فليأت ـ ضرب من عدم الاكتراث . " الشعور بالارتياح والسكينة العاتليّة، واللغة وتلك الدعابة والفكاهة الأفغانيَّة الخاصَّة؛ كلُّها أشياء عَمَّا لا ترضب في فقده، ومن أجل ذلك تقـــدّم طوهــاً بعض التنـــازلات وتنجع في الوقوف بتوازن على طرفي متطلبات العاثلة من جهة والمجتمع الألماني من الجهة الأخرى.

منذ اسقناط حكومة طالبسان وتولي قرضاي سلسطة الحكومة الانتقالية، تغييرت أشياء كثيرة في حياة شباب جبل للنفي. منذ سنتين تدقق ميل الانتحبار والتحقيقات الصحفية دفعة واحدة من قلب الفائستان، وفي الانتاء اصبح هناك ايضاً خطر رحلات جوية بربط بين فرانكلورت وكابول.

'أصبحت أفاشتان الآن نسبتاً ملموساً بالنسبة لي، وغدا بإمكاني الخيسرا أن أكون لي مسورة خاصة عنها"، تقول حوميرا، ثمّ تفيف بحماس: "ققد بدأت لديّ منذ التحول مرحلة جديدة من البحث عن الهوية." بل وأكثر من ذلك "منشارك في صحابة تطور جديدة، فالبلاد الفنسجت وسيكون بإمكانا أن نكون جزءاً منها ونساهم في بنائها."، أنه وي جديد لمدى جالية المنفى و صداقر الدفاعة كبير بالكفان.

أما بخصوص ما إذا كانوا سيعودون إلى وطن آبائهم أم لا. فتلك مسألة تختلف حولها آراء الشباب الأفغاني اختلافأ كبيـراً على أيَّة حال. فالعـودة غيــر مطروحة بالنســبة إلى التلميذة مسوران نافيد، في الوقت الحاضر على الأقلِّ: "أريد أن أدرس هناء لقد ترصرعت هنا، وأصدقائي هنا، وكذلك ماضيّ ومستقبلي ، تقول سوزان التي تبلغ السابعة عشرة من العمر. ثمَّ يأتي الاعتراف الأكـــثر وضوحاً: 'إنّ نمط الحياة الذي أعيشه هنا لا يمكن تصوَّره في أفغانستان حالياً. " وعندما تُسأل إن لم تعد تشعر بنفسها كافغانية؟ فإنَّها تجيب محتجَّة: "بلي، وبكلّ تأكيدا"، لتـضيف: "إنَّني ما أزال أحمل في قلبي دائماً تلك العقليَّة، لكنَّني لا أستطيع أن أنكر أنَّ جزءاً منَّى المانيُّ أيضاً؛ إنَّ كلِّ من يعيش هنا ويدَّعي أنَّه ليس ألمانياً في جزء صغير منه، هو كاذب. " لعلَّه سيكون بإمكانها في ما بعد ـ بعد انتهاء دراستها ـ أن تقدُّم لبلد أبويها مساعدة ما، ماليَّة أو في مجال الخبرة المهنيّة. أمّا جميلة التي تعيش في فــرانكفورت فتتصوّر على عكس سابقتها أنَّه من المحتمل أن تعود لفترة من الزمن إلى أفغانستان، "كي أكتشف أخيراً جزءاً آخر منى هناك. " ولعلُّها تستطيع تقديم مساعدة ما في المجال الاجتماعي، لكن بعد الانتهاء من دراستها.

وإلى جانب هاجس البحث عن الهوية الذاتية يلعب الشعور بالسوولية السياسية درواً مهماً لذى البض، ومكفا فإن أمر المودة بالنسبية إلى مصطفى مسعود شيء وارد جداً، كما يقول: "لان لدي شصوراً بمبولية مشتركة"، وهو على تنامة بهذه السؤولية: "إن لم يكن جديانا ها الذي حظي بالتحتّم بالتعليم والتكوين داخل مصيط سلمي هو الذي مسيمي إلى جمل الوضع يسير باتجاه التقدم هناك، فأنا لا مسيمي إلى جمل الوضع يسير باتجاه التقدم هناك، فأنا لا أن يسال هناك من قبل بهتية الإفعاد أين كان طوال كل هداه السنوات الماضية، فذلك ليس من شأته أن يكون مبرراً لعدم المساهمة في إصادة بناه البلاد. "إذنا أفضان صثل كل الأخيرين، حتى وإن كنا تربيًا وتأملنا اجتماعياً بطسرية مغايرة وتلقينا ممارف مختلفة،"

إلى ماذا ستفضي الحظوظ الجديدة للبحث عن الهوية وإلى أين ستقود هذه الأجيال الشابة من أفغان المنفى، فمذلك ما ينقل سؤالا مفتوحاً . وحاليا سيظل ما تعييره جميلة حالة عيزة جليلها هو ما يسر بصدق من وضع هذا الجنيل: " صراع دائم مع الله التن مع ما العائلة، عدم شعور بالانتساء، الميش بروحين في جسد واحد." أما مريم فتروي: " أي قال في: لا مجملي حياتك زريط بالفانستان؟ مما الذي مستعليته إذا ما انهاد كل فيء من جديد هناك؟"

ترجمة: على مصباح

حيات تحت شجرة الدردار قصة أفغانية

اعتادت أمي أن تقول: " لا تقترب من أشجار المدوار، فعندها توجد الحيات!" وكانت تكور تحذيرها يومياً. وكان من أثر ذلك أن ارتبطت الحيات في مخيلتي ارتباطاً وثيقاً بشجرة الدردار.

في قريتنا كان هناك مرج صدغير على إحدى ضفتي حدوض النهر الذي كاد أن يجف تماماً. وعلى حاقة المرج كان هناك عدد كسير من أشجار الدوار المتجاورة، وكانت محاطة بكثير من الأعشباب، ويزهور برية ممها الأصغر والابيض والبنفسجي. ولمت الزهور والاعشاب فوق الارضية الحفواء مثل نجوم صغيرة ملونة. ولا بد من القول إن هذه الناحية من حوض النهو على حافة المرج كانت ساحرة جداً.

> صافیة احیاتا وصط وصط محار شرکا ان

عزام ر. زریاب، تصویر: Stefan Weldner

وكنت أحب عبدور حوض النهو وأن أستلفي وأتمدد على سرير للرج الانتضر ثم أحمل في للسماء الزوافة الصافية واستمع بالنسيم الحلاب الأني من الغابة الصغيرة. أحياناً كنت الاحق إحدى الضراشات وهكذا حدث ذات مرة أن اقتربت من الضابة الصغيرة تتنف الفراشية وسط الإعسان وغمرني فجاة شيء من الخوف. عادت إلى فاكرتي كلمات أبي: "لا تقترب من الشجال الدروز، فنداما توجد الحيات!"

نظرت إلى فروع أشــجار الدردار بخوف وفــضـول منتظراً أن اكتشف ثعباناً يلتف حول أحد الفروع.

اعتادت أمي أن تقول: "الحيات تحب أشجار المدردار. أينما كانت أشجار المدردار، أينما تزهر كانت أشجار المدردار، فهناك حيات. " وقالت أيضاً: " دائما حينما تزهر

كانت السجار الدردار يجن جنون الحيات. وقائل ايهناء الحيات ويجعلها أكثر خطورة!"

إلا أنني لم اكتشف أبداً أي ثعبان بين فروع الأشجار، لكن الرواق شجرة الدوار كانت تلمع في الشمس مثل ذرات صغيرة من حافظات البلدور الذاكنة اللون. ولم يصدر ضها أي صوت وساد الصمت في كل الأنحاء. اعتادت أمي أن تقول: "تمد الحيـات الموجردة تحت شجرة الدوار لسانها الشقوق للأمام ضفياً ويصدر هنها فحيح. وتسحر عيناها اللتان تشبهان ماستين سوداوين البشر وتشل حركتهم."

لهذا السبب فزعت من أقل حركة تصدر عن أية ورقة . اعتادت أسي أن تقول: "همله الحيات عبارة عن مسحرة أصلهم من الهند. ويحول سُمها البشر إلى رماد."

ذات مرة سألت أمي: "ماذا تفعل الحيات هنا؟ لماذا لا تعود إلى الهند؟"

وأجابت: "جلبها السلطان محمود الغزنوي منذ وقت بعميد وحبسها هنا، وستظل باقية في هذا المكان إلى يوم الدين."

أحياناً كنت أشعر بالشفقة على هذه الحيات. فهذه الكائنات البائسة كانت أسيرة بلا موطن. محمود الغزنوي، يمين الدولة، كم كان له من نفوذ وسطوة. في كل مرة كان يتطلق فيها بجيشه الفصخم للجهاد في الهند، كانت الشعور تأتي إليه لغيل رضاء والحيات كانت تخني رؤوسها أماه، على الاتحل هذا ما كانوا يسكونه في قريننا. أوضعت في أمي قائلة: "كانت الحيات السوداه، الموجودة تحت شجرة اللدوار، صحرة، ففارا ذات مرة أن ينحنوا للسلطان محمود الفرنوي، وأمر السلطان بقستهم لكن السجرة تحدول إلى حساسات واختفوا في السحاء، أمر محمود وزيره بأن يقبض على الحمامات. تحول الوزير الذي كان أيضاً ساحراً بارعاً في إلحال إلى المنافقة عن دئيم الحمامات رقسات في الحال إلى المنافقة عن المنافقة عن المنافقة عن المنافقة عن المنافقة عن المنافقة عن المنافقة عنه المنافقة عنه المنافقة عنه المنافقة عنه المنافقة للمنافقة عنه منافقة عن المنافقة عنه المنافقة عنه المنافقة عنه المنافقة عنه المنافقة عنه المنافقة عنه عندي والمنافقة عن المنافقة عن المنافقة عنه المنافقة عنه المنافقة عنه المنافقة عنه المنافقة عنافقة عندي والمنافقة عند المنافقة عندائية عند المنافقة عندائية عندائية عندائية عند المنافقة عند المنافقة عندائية عندائية عند المنافقة عندائية عندائي حيلتهم بدأ السحرة في النحيب. لقد بكوا وترجوا السلطان سبعة أينام كاملة وأحمرت أعينهم في البده فصارت مثل الباتسوت، ثم تحولت إلى فحم أسود. وفي النهاية تراجع محسود عن اعتزامه قتلهم. لكنه أمر وزيره بأن يحولهم إلى حيات وأن يجلب هذه الحيات إلى غزني حسيت يتحتم عليها البقاء بها إلى يوم الدين. وأخذ الوزير الحيات وجلبها إلى قريتنا. "

أحياناً كنت أسال نفسي: " أالم يعجد وزير السلطان محمود مكاناً غيير قريتنا ليجس فيمه السحوة؟ ولم هذه العقوبة الوحشية؟" ولم أجد إجماية على أسئلتي لكن كلمات أمي جعملت الغاية بالنسبة إلي مكاناً مـغرياً وغامضاً ومتيراً للخوف.

في هذا العمام عندما حل الربيع حملت نباتات الدودار ومورها، وتعلقت عتاقيد من وهميرات الدودار ذات الله والمسلم المسلم عندما حل الارجاء، وجلبني إلى الله والمسلم على الأرجاء، وجلبني إلى المسلم ال

وفي آخر الأعم لمحت فراشة جعيلة وقفت فوق توهرة تشبه النجية. مثات الأثوان كانت تزين جناحبها، الروان بهية مثل فوس قزح، بل ربما كانت الوانها اكتر بهاءً من قوس قزح. لكن الفراشة استعدت للطيران ورفرفت مفادرة الفرهرة، وحلقت فوق المرج الصفير، هنا وهناك وكنت الاحقها. واشيراً ذهبت تجاه أشجار المدوار واختفت بين الأفصان والاحشاب البرية. وأناً . . فجاة تين لني أنني أنف وسط الشجار المدوار

تزايد الحَوْف داخلي وشلَّ حركتي لم أكن قادراً على الحركة. وبالطبع طننت في الحال أن العيات السوداء قد مسحرتني. اختلست النظر من طوف السعين إلى قروع الشجر وكنت واثقماً من انني ساجده هناك حسيات تلتف حول الفروع وتمتص عصارة شجو الدوادر. خباة أصابني الهلع لأنني سمعت صوقاً. كان الصوت يشبه صوت فحيح الأفاعي. كنت على وشك الإشعاء عندما سمعت صوقاً بشرياً يقول: " لا ترخف فأنا لست بحية. " وعندما هذات قلبلاً وصاد الدفء إلى جسدى، اكتشفت بالقرب عنى ووسط الزهيرات رجلاً هم ما. ويذا لي.

ر المستخدمات الرواد المستخدم وهي بحسوية المستخدم المستخدم المستخدم المستخدم المراد والمداعين والمستخدم المستخد وكانه مشهد وسطة الراهيرات والحشائش ويحداول تتخليص نفسه. كان يرتدي قميسماً قديمًا وطويلاً يصل إلى كاحليه، وكان شعره أيض وطيته بيضاء كالقطر، وسائلت: "ماذا تفعل مناه"

وأجاب: " لا أحد يعرف ما الذي يفعله في هذا المائم. و لا حتى أنا. "

أردت أن أنبهه إلى خطر الحيات السوداء لكنه سبقني وسأل: "إنك تخاف من الحيات؟ أليس كذلك؟ " قلت: "سُمها يحول البشر إلى رماد!"

ضحك. أنت ضحكاته من أعماق قلبـه و ترجرج جسده من أثر الفسحك. لاحظت أنه يجسك عصا خشبية خشنة الملمس، تشبه عصي الدراويش الذين اعتادوا أن يائوا إلى قربتنا بين الفينة والاخرى. يقضون ليلتهم في المسجد وفي الصباح يتطلقون إلى أماكن جديدة غير معروفة.

توقف الرجل العجوز عن الضحك. وفي هذه الاثناء تحرر من الاغصان والاعشاب. كان نحيلاً هزيلاً داكن البشرة. اقترب أكثر. جلس القرفصاء ووضع عصاء بجانبه واستنذ إلى أحد أشجار الدردار. تأمل أحد فروع الشجرة وقال: "هل حكى لك أحد عن الحيات الخليلية؟"

> قلت: "أمي حكت لي عنها. " قال بصوت هادئ: "أجلس!"

جلست على الأرض متبعاً طريقة جلوسه واستندت إلى احد أشجار الدردار. لا أعرف لماذا لم أعد خانفاً من أشجار الدردار. تحدث الرجل العجور: "في يوم من الأيام، كنت أيضاً صبياً صغيراً مثلك . "، تردد قليلاً ثم استطره قائلاً: "ويوماً ما ستصبح أنت أيضاً شبيخاً هرماً مثلي!" وعاود الفسحك من جديد ولم أعرف سبب ضحكه، ثم واصل حديث: "وهذا هو حال العالم." كف عن الفحك واستمر في حديث بهدوء. كان صوته هادئاً ومريحاً. انطبت كالماته في ذاكرتي، إذ قال:
* قبل صنوات طويلة عندما كنت صغيراً مثلك، اعتنات أمي أن تقواد ! كا تقرب من أشجار الدونار، فضناها
توجد الحيات، واستطرت تقول: الحيات تحب أشجار الدونار، فهذه الأشجار تجاره ألجات الحيات دائماًا وعندما
تزهر يجن جزن الحيات. عطر أزهارها يهيج الحيات ويجعلها أكثر خطورة أ في يوم من الآيام كانت هذه
الحيات صحورة تم جسهم ها يأمر يحن الدولة السلطان محمود الفرنزي، عندما كان السلطان ينطلق بجيشه
الفسخم للجهاد في الهذه كانت النمور تأتي إليه لتيل رضاه والحيات كانت تحمي رؤوسها أمامه

كنت أخلف من أضجار الدودار هذه ومن الأغصان والأعشاب البرية. وغم ذلك كنت أحب عبور حوض النهر وأتمد بطولي على سرير العشب الاخضر وأحماق في السماء الزرقاء الصافة واستمتع بالنسيم الحلاب الأقي من الفعابة الصفحيرة. أحيباناً كنت الاحق إحدى الفراشات وهمكلاً حدث ذات مرة أن اقتريت من المنابة الصغيرة، اختفت الفرائسة وصط الإعشاب والإغصاف وضعرني فيجاة شيء من الخوف. عادت إلى ذاكرتي كلمات أمي: لا تقدرت من أشجار الدودار، فعناها توجد الحيات!

لكن في يوم من الأيام لاحقت أحدى الفراشات، مئات من الألوان كانت تزين جناصيها. اختفت الفراشة رسط الأغصال والاعشاب البرية. فجاة تبين لي انني أفف وسط أشجار الدردار، بل واثني دخلت وسط الاغصان والاعشاب البرية. من شامة خوفي تسهرت في مكاني، كنت مثل المثاول. وعلى الفور دار يلمغي انني صرت مسحوراً. وظننت طبعاً أن ذلك من همل الحيات السرداء. وفعت عيني خلسة إلى الإشجار وأن خاتف وكنت على قناعة بأن الحيات قد الثفت حول أفرع الاشجار الاعتصاص رحيق وهيرات الدردار. فجاة فزعت فزعاً شديداً لائني مسمست صوتاً باشبه فحجيج الأفاعي. كنت على وشك الإغماد وفي هذه اللحظة مسمعت صوتاً بقول: لا تخف ، فلست بهية.

وعندما هدأت قليلاً وصاد الذفء إلى جسدي، اكتشفت بالقرب مني ووصيط الزهيرات رجلاً هرماً. وبدا لي وكانه مقسيد وسط الزهيرات والحشائش ويحماول تخليص نفسه. كان يرتدي قميسصاً قديماً وطويلاً يصل إلى كاحليه، وكان شعره أبيض وطبيته بيضاء كالقطن.

وسألته: "ماذا تفعل هنا؟"

وأجاب: " لا أحد يعرف ما الذي يفعله في هذا العالم. و لا حتى أتا. "

أردت أن أنبهم إلى خطر الحيات السوداء لكنه سبقني وسأل: "إنك تخاف من الحيات؟ أليس كذلك؟" قلت: "مُسُمها يحول البشر إلى رمادا"

ضحك. أتت ضحكاته من أهماق قالمه، وترجرج جسده من أثر الفيحك. لاحظت أنه يمسك هما خشبية خشنة الملمس، تشبه عصي الدراويش الذين اعتادوا أن يائوا إلى قريتنا بين الفينة والاخرى. يقضون ليلتهم في المسجد وفي الصباح ينطلقون إلى أماكر، جديدة غير معروة.

توقف الرجل المعجود عن الفسطك. وفي هذه الأنتاء تحرر من الافصال والاعشاب. كان نعيلاً هزيلاً داكن البشرة المقرب أكثر. جلس الفرفصاء على الارض ووضع عصاء بجداتيه واستند إلى أحدى أشجار الدودار. تأمل أحد فروع الشجرة وقال: "هل حكى لك أحد من الحيات الحطيرة؟"

> قلت: "أمي حكت لي عنها. " قال بصوت هادئ: "اجلس!"

قرفصت على الأرض منهماً طريقة جلوسه واستندت إلى أحدى أشجار الدردار. لا أعرف لماذا لم أعمد محافظاً من أشجارا المدوار . تحدث الرجل العجوز: " في يوم من الأيام، كنت أيضاً صبيباً صغيراً مثلك . . "، تردد قليلاً ثم استطره قائلاً: " يوماً ما ستصبح أنت أيضاً شبخاً هرماً مثلي!"

وعاود الضحك من جديد ولم أعرف سبب ضحكه ثم واصل حديثه: "وهذا هو حال العالم!"

توقف عن الفحك فحدت مشاملاً بصرة المؤتر المربع. والطبعت كلماته في ذاكرتي. قال الرجل العجوز:
*قبل سنوات عديدة عندما كنت صبياً صغيراً مشلك، اعتادت أمي أن تقول: لا تقرب من أشجار الدودار لمناه توجد الحيادا، وكانت تقول: الحيات تحب أشجار الدودار، فهذه الانجيار تجلب الحيات دائماً.
وعندما توجد يجن جنون الحيات. عطر أزهارها يهج الحيات ربيحلها أكثر عطورةا واستطودت أمي تقول:
كانت الحيات الموجود تحت أشجار الدودار في الأصل سحرة، تم حسهم في ذلك للكان بأمر من يمين الدولة السلمان معمود المؤتري وستقلل جيامة هذا إلى يوم الدياراً

كنت أخلف من أشمجار الدردار ولكن في أحد أيام الربيع عندما أؤهرت أشجار الدردار، اكتشفت فراشة رائعة يتألق جناحاها بمنات الالوان. وجريت وراءها الاحقها . .

قاطعت كلام الرجل العجوز وسألته: "وهل رأيت الحيات؟"

أجاب: "رأيت حية واحدة وحيدة. وهذه الحية كانت موجودة هنا بالضبط ولم تكن هناك أية حيات أخرى. " سالته: "ألم تكن خائفاً؟"

أجباب المجور: " في ذلك الوقت لم أعد صبياً صغيراً بعد، كنت رجلاً يافعاً، بل وكبيراً في السن. كان ذلك في أحد أيام الصيف، احترق كل شيء بفعل حرارة الشعم التي لا ترحم. وكان حوض النهم اقرب إلى المبادل تضعيم بفعل الشهرء بدأت أشبها المدوار تضميع بفعل الشهرء بدأت أشبها المدوار تضميع بفعل الشهرء ويدات أحسب الأيام الباقية لها حتى تتضيع تماماً. في هذه الملحظة اكتشفت حية. كانت تزحف على الأرض يبطء مصدرة فجيحها، كانت موداه موقعة يقع يضاء. أخلت عصاي لاهوي بها على رأسها لكن الحية إبتدات عني بضم خطوات، كانت عيناها حزيتين، وأثارت في نفي انطباعاً بالكفل وقلة الحيلة.

لملمت نفسها بجهد والتقت بشكل لولي. معلت ثانية وواصلت الحديث: "لقد صرت عجوزاً جداً"، وضحكت. كان لضحكتها رنين مريز، وقالت: "هذا هو حال العالم!"

وسألتها: "ماذا تفعلين هنا؟"

منطقة قدور، تصوير · Knut Müller



هزت رأسها وأجابت: "لا أحمد يعرف منا الذي يفعله في هذا المعالم إوازًا إيضاً لا أعرف! " ثم تنهدت وأضافت: "في الظهيرة أتربص هنما في هذا المكان وسط الحشائش والاغصان، علني اصطاد ضفدها صغيراً ياتى إلى الغابة. ليس لذي سبيل آخر للمهش، "

مألتُ الحية: "هل أنت الساحر الذي حبسه عين اللولة محمود في هذا الكان؟"

ضحكت الحينة بموارة: " أي ساحر؟ لم أكن آبلاً ساحراً ، لكن، صحيح أن السلطان محصود قد جلبني إلى هنا. " وسالتها: " وكيف وقعت فى أيدي السلطان؟ "

تلفتت الحيبة هنا وهناك واجابت: "بيدو وكان الفسفادع لم نات اليوم." ثم سعلت من جديد. صغرت عيناها المتصبتان لتصبحا نفطتين ثابتين، ثم قالت بعموت خفيض: "كنت أصيش في الهند بجانب معبد سومنات. لا شلك لئك سمعت اسم هذا المبدد في يوم من الإيام. لقد كان معبداً للإلمه شيئا أقوى الآلهة الهندوسية. وقد مرت على بنائه قرون عديدة. وكان الأمواء وزوجاقهم ياترن إلى مناك من الأماكي اليعيدة مرتدين الذهب والأحجار الكرية. كانوا يركمون أمام شيفا ويتحدن له. كانوا يقدمون لهذا المبد قرايين كشيرة من الذكل والأحجار الكرية. ولكن حتى الفسقراء من الرجال والمنساء كانوا يأتون حفاة برؤوس حاسرة ويعثرون بعضوع وطاعة إدهاراً جبلة وزورةً عطرة وكبة أمام شيفاً، وكان كهنة المعبد المذين يعيشون حياة والهذي يقدموون جوها ويشهون في نحسائهم الحنب الجافف. كانوا أناساً مسالين وكانوا كلما نظروا إلي، كانوا يضمون باطن أيديهم ويرفعونها إلى جياههم .ويتحون في خضوع قائلين بسادة:

"أيتها الحمية الملكية!" وفي كل مرة التشهيم كانوا بعميرون من معادتهم بني واحترامهم لي. كانوا يتركون لي انواعا مختلفة من الطام! . ولم أكن بعداجة لامسطياد الضفاوم. كانت حياة مريحة وفافخة. وكانت لاجراص المعبد أصوات ذات رئين حسن. وكانت أغاني المصيدة الراحة في النفس وثبث الهدوم في الروح. وفي خطات الصمت المطلق التي كانت تسود المديد احيانًا، كان يامكان المرة أن يستشعر الحلود.

سملت الحية السوداء الرقطة، نظرت بعينها السيانسين الحزيتين إلى حسوض النهبر الجداف واستطردت: "كمان ذلك في تلك السنرات التي ذاعت فيها شمالعات عن يمن الدولة، وهزت أرجاء الجالد، قالوا إنه المساطان قوي ومهاب الجانب، يأتي من منصلة الجالد المجيدة، وقالوا إنه يعفرج في حملات بعينة بعثاً عن المائد ليدم ها وينهجها. فمبرو القمرون تكومت في معابد الهند كنور وثروات ضخمة من الملاكل والأحجاد الكرية واللمب والفضاء وكل مسجد كان يعد في واقع الأمر خزانة للكورد. وكان يجين الدولة يهتم كثيراً بالكنور. كان يقطع كل عام مع مقاتليه الذين لا الهند، حطم وقت لل وهذم وحرق، ثم حسل كنول المعابد على غلور الإقبال والجمال وجلها الكرية من كنول المعابد على غلور الإقبال والجمال وجلها الكرية فرائم إلى هذه المتعادة، وسلب جنوده النمان البحاط محالياتها أو إلى هذه الشابة، وسلب جنوده النمان البحاط عالى منهة فرني أي إلى هذه الشابه والشابات على الوقوع في أسر العروبة. "

سعلت الحمية السوداء من جديد. وبدا لي وكان دمعة ستسيل منها. أغلب الظن أنه قمد خطوت لها ذكس تخصها في تلك السنوات البعيدة.

سألتها: "وماذا حدث بعد ذلك؟"

استمرت في الحديث وقد أحمنت رأسها: "وأخيـراً جاء الدور على معبد سومنات. ويا لها من مصيبة حلت بالمبد في ذلك اليوم. اسودت التلال والصـحاري على يد مقـاتلى محـمود.



أثارت دقات الطبول الضعفمة وأصوات الأبواق وصهيل الحيول وضجيج الأقيال وصرخات الفرسان الرعب في الفوس, وانصهرت شجاعتنا ومعل هذا الفصجيج، وسود التراب الذي وصل حد السماء وجه الشمس الساطع، كان مشهد يستبه خصوف الشمس. جموع كبيرة من الهيشر، رجال ونساء وأطفال، وجدوا الملاذ في معبد سوعنات. تمرغ الكهنة في التراب ودعوا شيفا ليحمي معبده. واستمروا في الهمهسمة بأدعيتهم وتعاويذهم وتموا إلجار للعبد. "

واصلت الحمية السوداء حديثها قاتلة: "أمسكت النساء بشعورهن للشعثة بأطفالهن الرضيع، ورحفن واختبال في زرايا المهبد والقصق الأخرورة بالسوار المهد وإصحافته وكاليهم يسيدون أن يغفوها عن أعين مشاتلني محمود. سار المهبد فمي قلب دائرة حصار جيش محصود، وصارت ملم الدائرة مع كل لحظة تمر، أضيق وأضيق، ولول الكهنة الحائزون: شيفا أيها الإله القوي المدسر؟ ابن غضاب؟ وتسعر الجمعيع في انتظار حدوث معجزة. تمنزا أن ناز غضب شيفا مشتمال وتحول محمود ومحاريه إلى رماد.

شعر الصفى بالظمأ وطلبوا الماء. ولم يكن هناك ماء وهكذا بكوا غيير صابرين. كان لنحيـبهم أن يلميب القلوب ولو كانت من حجر. ثبَّت الشيوخ النحك والرجال والنساء الذين أحرقتهم الشمس نظرتهم على شيفًا بصورة ثير العجب، فهم لم يستطيعه أن يقهموا الماذا يقف هكذا ساكناً ولا مبالياً.

في نهاية المطاف دخل محصود من باب المبد مرتدياً ملابسه الواقية وخوذته الشمهيرة المصنوعة من الصلب الدستشمي الانمم، وراكباً على حصسان قوي أسرود. حطم الجنود والباب ودخل السلطان بصحصانه إلى قناه المغيد. المقدلة وصل عويل وصراخ الرجال والنساء والاطفال إلى ذورته، ثم ساد فجمأة سكون مخيف. خرص بكاء وصراخ وندب هؤلاء البشر الباتين، الذين لم يجدوا من يذود عنهم. حتى الاطفال العطشي صستوا. تسمر الجميم خوفاً من ذلك الرجيل القوي يهن الدولة السلطان محمود.

في هذه اللحظة خرجت من مكاني. كنت غاضية لأن يمين الدولة لم تأخذه شفقة أو رحمة بهؤلاء المساكين البؤوساء، كنت غاضية لأن السلطان دخول بحصانه مكاناً مقدماً يميد شيفا الجيار القهار. كنت غاضية لأنه علب وأهان هؤلاء المساكين الذي يحشوا في المجد عن ملاذ لهم. تلفت حولي لم اعرف ما الذي ينبغي علي عمله. لم تكن لدي أدنى فكرة عن الكيفية التي يكنني بها المساعدة، لكن الكهنة ظنوا أني متقذة المجد. لذلك انحنوا أمامي يعرفان وإعجاب ونادوا: آيتها الحية الملكية! وخلفهم تصاعدت أصوات مليتة بالفرخة والاطراء تعبر عن السعادة والإعجاب وتنادي: أيتها الحية الملكية! وعلى شفاه الجميع ارتسمت إنسانة جعلة تزوجة بالنحشة والثناء.

عندقد لاحظ السلطان محمود وجنوده وجودي. وشد الجنود أرتار أقواسهم حتى لامست حواف السهام اطراف أقانوم، ويقدت من أنسي حالقب في وفان معمودة، رأيت الموت واضحاً أمام عيني وشعرت بأنني جزء من الحلود، في المنافقة لاحظت أن محمود أعطى رصائه إشارة لينكسوا أقواسهم، وفسرت أمره على أنه إشارة للسلم والصلح، لذلك عركت تجاه محمود، فزع حصانه وبدأ في المسهيل خانفاً، وكان على وشك القائد المصان،

زحفت حتى اقتربت على بعد خطوات قليلة من محمود وتسمرت في مكاني.

نظرت للحظة داخل صينيه. ولم أربها شيئاً صوى الشر والطعم، شدر وطعع لا حد لهما. وخم ذلك أحترت راسي أمامه وأردت بهذه الحركة أن أترجاء الا بصبح معنباً لمهؤلاء البشر البؤساء وأن يصون المعبد من الدمار وأن يعود بأسرع ما يمكن من حيث أتى. أودت أن أنبرهن له أن حية مهد سومنات على استعماد لا لان تنظل أمامه من أجل بليغ هذه الغاية الساعية. أودت أن ألتمس منه الرحمة للأطفال العطشي وللرجال والنساء الخالفين الواسين. أودت أن أوضح له أن هما لما المبد، أي محبد سومتات هو مثر العبادة والصلاة لمهؤلاء المبدئ منذ صلة قرود. أردت أن أين له . . . ، لكن في هذه اللحظة، مسمعت أحمد قادة المجتد يصبح بالتصار قائلاً: انظرواا الحية حارسة الكتر، تمسلم المهد إلى السلطان!"

آخزنتني كلماته وأفزعتني. ارتفع صياح الجنود. أمر يمن الدولة بإلقائي في صندوق. وهندما عدت إلى صوايي وجدتني في صندوق مظلم. وصمعت كيف أمر السلطان بتمعير معهد سمومنات، وتُعليم ثمال شيمفاً، في ظلمة ألمسندوق مممت شكاري وصراخ ويكاه الساء والرجال والأطفال. صهلت الحيول رصاحت الأفيال، وهلل الجنود المظفرون عالياً بصيحات النصر. في مله اللحظة شخت بمقدار مائة عام. شعرت بأنثي تُطعفت من اللناخل. " صمتت الحية. وسمعت فحيحاً خانتاً. بدا لي وكانها تنفس بصعوبة. ثم واصلت حديثها: "في هذه الحالة جاؤوا بي إلى غزنة، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من مقتبات القصر السلطاني. كان القصر بالنسبة الي وسطا غير معتاد. كل ما حولي كان غرياً. لم يكن هناك من يحترمني. لم أعد حية ملكية بعد. كت كائناً محتفراً رخائفاً.

عندما أتبت إلى غزنة انتشرت إشاءة كالنار في الهشيم مفادها أن ملكة الحيات الهندية قمد قبلت قدمي يمين الدولة السلمان محمسود الغزنوي وتنالت له عن كل كنور الهيد. وحكوا لهيأ أن محمود قد الحشر ملكة الحيات الهندية إلى غزنة وجهمها هناك. بعد ذلك تهاس الناس فيما بينهم أنه في كل مرة يعترج فيها محمود إلى الهند للجهاد، تأتي إليه الحيات ليل رضاه. كذلك حكوا أن السلمان محمود قد حول بعض السحرة

قدمني السلطان بنفسه إلى كبار ضبوفه القادمين من بسلدان اجبية أو من الأطراف القصية لمملكته الشاسعة، وكان يقول: "هذه الحمية هي التي سلمتنا كنور معيد الأصنام في سومنات. لقد وضعت راسمها أمامي في التراب!" وكان الفيوف يتدهمشون ويمدحون السلطان: طال عمر السلطان. وكل ما حدث، حدث بمشيخة الرحمن. ويضحك السلطان راضياً وفخوراً.

وذات مرة عندما كان رسول الحسليقة في بغنداد في قصر السلطان، أراد محمدد أن يرسل بهدية إلى الحليقة. لكن ذلك الرسول قال للسلطان أن ببلاده حيات كثيرة. وعليه أرسل محمود عشـر عذراوات جليهن معه من كشمير، إضافة إلى اللاكل والأحجار الكريمة. وقبل الرسول هذه الهذايا بسرور.

واخبراً مرض بمين الدولة بالدرن. واكتشف الإطباء أن الفحك أفضل علاج له. وبذل السلطان كل جهده من أجل أن يصفو باله ويعتدل هزاجه. فأحضر مهرجاً لبلاطه أسمه طالهاق. وهذا المهرج داب على القبام بمزح ثقيلة وسخيفة مع السلطان، لكن السلطان كان يضحك. وكانت حاشية البلاط تخشى المهرج كثيراً، لأن هذا الشخص الوضيع، كان على صلة مباشرة مم السلطان وكان هزيزاً على السلطان.

رداب المهرج الذّي لا يعرف الشفسة على تعلّيبي. كان يقوم بشكي يابرة مثبتة في عصا طويلة وكان يأمرني بعناد: يا الله، اضحكي ا اضحكي!، وطبعاً لم أفعل. كيف لي أن أضحك؟ كانت الإبرة تنفب جسدي. كم كان الألم شديداً! لكن المهرج القاسى كان بضحك فقط وبنا أن السلطان كان يجد في ذلك أيضاً تسليت.

أحيانا كنت أتدفع لأقول لهم: أنا سمة ملكمة. أنا حية معيد مصومات، داهوا واحترموا مكانتي إ، لكن كان من الواضع بالنسبة إلي أن ذلك لن يعدني. وكيف يكن أن أتوقع من الذين دمروا العبد وفهموه أن يعترموا مكانة حيث المديد المقدمية؟ وهكذا تمملت كل شيء ولم أحموك ساكناً. في الحقيقة خرجت مني صموخة وحيدة. كانت هي شكراي. كل حياتي أصبحت شكوى. شكوى عنيفة وقلت لنفسي لو تحكنت من كتماتها ليتخرج حددي رغال في الهواه.

في نهاية الأصر أرسلوني إلى متزل احد الأطباء اسمه أبو الريحانا ، وكان هذا الطبيب رجلاً طبياً لطبقاً المؤخذ . و رفيًا، وقد رافق محمود عدة مرات في رحلاته إلى الهند. وكان يعرف عقائد وصادات وتقاليد البشر اللهن يحيون هناك وكمان يعلم جيداً بمكاني وتقدير واحترام الناس لي هناك. هذا الرجل لم يعليني مطلقاً، وفي بعض الأحيان حينما نكون وحدنا كان يتحدث إلي باللغة التي تعلمها من علماء الهند. بل وكان يتحني أمامي من ألاحيان حينما نكون وحدنا كان يتحدث في مامي المنافقة المنافقة ويقول بكل احترام: أيتمها الحية المنافقة وإصاس.

لقد جلبني إلى منزله لإجراء بمغى التجارب معي. كانت تجارب غير ضارة. ولم تسبب لي جهدا ولا حزناً، لكن العالم كان بأخدها ما علما لجاهد. ذات مرة هدار وضع احجار الزارجة في تقصمي لمنة عشرة إليام. تم فحص عيني فحصاً دقيقاً، وتين له اتني ثم افسقة بصري، ثم درن بالفعال كل مشاهداته في كتبه. وآثارت المارف التي توصل إليها إصجاب العلماء الأخرين الذين نظراً أن الزرجة يؤدي إلى عمى الثعابون.

كان العالم أبو الريحان طوال الوقت غــارقاً في كتبه، وعاكضاً على تدوين معارفه. كان يسهر الليل بطوله. وكان يصمت وبيقى ساكناً بلا حراك لمدة طويلة قبل أن يعود إلى التدوين والكتابة في صحفه.

ولا بدأن أقول أن الايام التي قضيتها في بيت أبي الريحان من أفضل الأيام التي قضيتها في هذه المتطقة. لكن هذا الوقت السمعيمة لم يدم طويلاً. وسرعمان ما أصادوني إلى بلاط السلطان مسرة أخرى. كان ذلك بـأمر السلطان. اقتدرب منى أبو الريحان للمسرة الأخيرة، وانحنى أمامي وتحدث بحسوت خفيض: أيـتها الحمية الملكية!، ثم جلبوني إلى قصر السلطان. وهناك كان المهرج الوقح في انتظاري بعصماء الطويلة التي ثبت فيها صن الإبرة. وصار جسدي من جديد عرضة للوخز وأصبحت ثانية وسيلة لإضحاك السلطان وحاشيته.

واخيراً مات يمن الدولة مسجمود بالدون، وتولى ابنه مسجود الحكم بحد صراع مع أخيه. ولم يهتم السلطان الجديد بالثمامين والداب التعايين. لذلك طرفني من بلاطه وبدأت مصاناتي من جديد. وانتقلت من بد إلى يد أحد يد والم لكم الشهر الأثنال اللذين تعرفت عليهم وكم من الهانات محملت، وفي أخير الأمر وقعت في يد أحد الصحالك، كان يصطحبني محمدة إلى أسواق غيزة ويعرضني أمام الناس مسقايل المال، وكان ذاك الشخص الصحيفين باحتقار ملكة الحيات فشاه مارة. وأصبحت أيضاً لعبد في يد الأطفال في حواري السوة. المبدئ بوخيرة الإذلال والمهانة تلك عماماً على قدرتي على المقاومة. لم أحد قادرة على الأكل. كنت كالمشاولة، ولم استطى السحولة إلا بحجهة كبسر، وأرضمني الصحولة ذو الفلب القاب، عمله مثل المكال، كنت كالمشاولة، محمود، على الحركة بوخيري بعدا فيها إيرة فيتمة في قمتها. كانت حياة مرة مليثة بالعالم، والألم.

صمت الحية السوداء. كانت عيناها مغلقتين، ولم يصدر عنها أية حركة، كانت وكأنها قد سقطت مغشية عليها، لكن بعد فترة تحرك راسها قليلاً. ثم فتحت عينها المعبين الخاترتين وتحدثت: في أحد الأيام أثى ذلك الصعارك إلى ضفة هذا النهر وأراد أن يستحم، ونسى أن يعكم إغلاق فطاء السلة التي وضعني فيها، خيات نفسي بين الاغسطان والاعشاب البرية، ورغم أن الصعاوك القاسي القلب قسد بحث عني كثيراً، لم يجد لي أي كان غاضباً جداً وأخذ يسبني باقامع الشتائم، لكنه انصرف في آخر الأمر بدوني، ولم أره بعد ذلك مطلقاً،

ومنذ ذلك الوقت انقضت سنوات عديدة. وأنا أعيش هنا مسعرولة وحيدة دون صسديق أو معين. في الشتاء يكون البرد قارساً وأتسمر في ذلك الفصل بلا حواك تحت الأرض. كم كان وقتاً جميلاً في ذلك الركن من معبد

> سومنات. كم من أيام سعيدة ورائعة قــضيتها هناك. كان الهواء دافئاً وله رائحة طيبة. كانت دقات أجراس المعسبد تبعث الراحة في القلب. واعتاد الكهنة كلما قابلوني أن يحيموني بـ "أيتها الحية الملكية!" كـان الأطفال الصغار عطشي ويطلبون الماء . . الجميع تسماءلوا لماذا ظل شيفا صامتاً . . وصلت صرخات النساء والرجال والأطفال إلى عنان السماء . . كنت أريد أن يرى أن الحية الملكية تنحني أمامه. . الحية التي كانت حارسة الكنز تسلم معبد الأصنام إلى السلطان . . ملكة الحسيات الهندية قبلت قدمي السلطان محمود . . طال عمر السلطان. وبالتأكيد فإن ذلك يتطابق مع مشيئة الله . . كم من الآلام سببتها لي هذه العصا ذات الإبرة المثبتة في رأسها . . كان المهرج يضحك وينضحك . . على أية حال أنا حية ملكية ، الحية المقدسة لمعبد سومنات. أبا ريحان أبا ريحان لا تسمح لهم أن يأخلوني من بيتك . . آه من تلك العصا ذات الإبرة . . أيها الإنسان الخبيث لماذا تعلبني؟ يا له من ذل . . يا لها من إهانة ، يا لها من إساءة . . أيتها الحية الملكية . . كنت صرخمة وحيدة . ظننت لو صمت لتحلل جمدي . . أنا حية ملكية . . حيــة معبد سومنات . . أيتها الحية الملكية . . يا له من ذل . . الغوث . . الغوث . . محمود . . محمود يمين الدولة، لماذا فعلت

> وضعت الحمية الســوداء رأسها على الارض وظلت ساكنة. انتظرت بعضاً من الوقت، لكنها ظلت ساكنة. لمستها بعصاي، لكنها بغيب ساكنة. أخدلتها بين يدي ولاحظت أنها مانت. كانت خفيفة خفة الريشة. ولم أعرف ماذا أفسل بجسد الحمية الحالي من الروح. في آخر الأمر دفستها وسط الاعتباب والانهبان.

> في أحد أيام الربيع وقت الظهيرة عبرتُ حوض النهر وأثبت إلى هذه النطقة. أوهرت أشجار اللدوار وكان للنجيل النفر لون الفستق. بحثت عن الموضع الذي دفت من شهد الحية. ورغم بحثى للضني لم أستطم أن



نکر رفن ۴krun wa Fann ا

الحشائش. أصيب الصبي بالشلل من شدة الخوف، وقلت له: "لا تخف، فلست بحية!"

وقال الصبيي: "ماذا تفعل هنا؟" وأجبته: " لا أحد يعرف ما الذي يفعله في هذا العالم. ولا حتى أنا."

والجب. " المنت يقوف من الندي يقطع في المناطق . و لا حتى ال. وكان على وشك أن يقول شيئا لكنني سبقته: " إنك تخاف الحيات. أليس كذلك؟"

وقاد على وشك أن يعون فلين تعلمي تعليمه . "إنك تعالى أخيات البيس أ قال الصبي: "سم هذه الحيات يحول البشر إلى رماد!"

تذكرت حية معبد سومنات الفسعية التي لا حيلة لها ولم أجد مقرأ من الفسحك. ضمحكت من أهماق تلمي. ثم تحررت من الاغسصان والحشائش المتشابكة، جلست على الارض واستندت إلى شسجرة الدردار وسالت الصبي: " إذن نقد حكوا لك عن هذه الحيات الخطيرة؟"

وأجاب: "حكت لي أمي عنها."

أمرته: "اجلس!"

وجلس مثلي على الأرض واستند إلى شجرة الدردار. قلت بصوت خفيض: "قبل سنوات عديدة، عندما كنت صبياً صغيراً مثلك، اعتادت أمي أن تقول: " لا تقترب من أشجار الدردار فعندها توجد الحيات!"

واثناء حديثي، كبر هذا الغلام شيئاً فشيئاً. صار رجلاً يأفساً ثم أصبح شيخاً كبيـراً ثم صار هرماً، وهذا ما ينبغي أن يكون. هذا هو حال العالم، هذا ما ينبغي أن يكون. "

ترجمة: أحمد فاروق

مفيرة ياميان، ۱۹۶۸، تصوير Roland and Sabrina Michaud ، تصوير "Unbekanntes Afghanistan" Knesebeck Verlag, München 2002 ، من كتاب:



کاتارینا مومزن Katharina Mommsen

غوته في حوار مع العالم الاسلامي صفحات جديدة

حينما نتصفح «الديوان الغربي ــ الشرقي»، تضعنا بدايته في الحال في مواجهة روية تدور حول زرال العالم ونهايته:

الشمال والغرب والجنوب تتحطم وتتناثر، والعروش نثلٌ والممالك نتزعزع وتضطرب،

أكسان هذا نداء يعلن اقستراب يوم الحسشسر؟ ومن أبين أتى هذا الصسوت الذي حث الشاعر قائلاً:

> فلتهاجر إذن إلى الشرق الطاهر الصافي كي تستروح نسيمر الآباء الأولـين ...

وكان عنوان القسميدة التي وردت فسيها هذه الأبيات هو «هجرة Hegire؛ ولا مراء في أن هذا العنوان قبد أقام صلة بين رحلة شباعر الديوان الروحية إلى «الشرق الطاهر الصافي»، حيث كنان يقطن الآباء الأولون وبين هجرة النبي محمد من مكة إلى المدينة في عام ٦٢٢ميلادية، هذا العام الذي بدأت فيه المدعوة الإسلامية فـأضحى بداية التأريخ الإسلامي. والأمر الذي يدعو للعجب هو أن هذه الأبيات، التي تشكل فساتحة الديوان، كانت قد دبجت في الرابع والسعشرين من كانون أول/ ديسمبر من حام ١٨١٤، أي في الليلة التي تحتـفل فيهـا الأمة المسيحية بميلاد مخلصها وببداية العصر المسيحي. ويثير هذا الترامن الدهشة ويستأهل أن تتفكر فيه لا سيما حينما نضع نصب أعيننا أن غوته قد نشأ في عائلة بروتستانتية وأن والدته كانت متسبحرة في الكتاب المقدس وأنه هو نفسه كان واحداً من أولئك البروتستانت المذين بلغت هوايتهم بمطالعة الكتاب المقدس مبلغاً جعلهم يغدون "بمثابة كشافات حية، فهم يتمرنون على بيان أين توجد كل آية، ويعرفون عن ظهـر قلب النصوص الرئيسيـة، ويحسنون الاستشـهاد بها في كل التطبيعةات المكنة. " إن هذه الجمل، التي استشهدنا بها هنا، مستقاة من «التعليمةات والأبحاث؛ التي كتسبهما غوته ليعين من خسلالها القمارئ على فهم الديوان. وكان غوته قد أضاف هناك بشأن المتسجرين بالكتاب المقدس قائلًا، بأن هؤلاء لابد أن يكونوا قد وجدوا في ذلك عنصراً رائعاً من عناصر التثقيف، ذلك لأن الذاكرة، وهي مـشغولة دائماً بأمــور رفيعة سامــية، تحتفظ للشــعور والحُكم بمواد صافيــة للاستمتاع والــتطبيق. يتحدث غوته هنا عــن تجربة اكتسبــها إنسان متبحر بالمهدين القديم والجديد، وذلك _ وهذا أمر يثير العجب لدى القارئ بلا ربب . لكي يعرب عن أحاسيسه الأخوية حيال الشاعر الفارسي مسحمد شمس الدين حافظ، علماً بأن "حافظة لقب تشريفي يشير إلى أن هذا الشاعر الفارسي كان مسلماً متديناً حافظاً لآي القرآن الكريم عن ظهر قلب. وكما يؤكد غوته فقد لازم هذا اللقب التشريفي الشاعر محمد شمس الدين فصار بمشابة اسم له. وتصور قصيمة غوته المسماة القب، الواردة في الديوان؛ ضمن الجزء المسمى اكتساب حافظًا، شاعر فسارس الأول في القرن الرابع عشر، في حموار مع غوته نفسه. ففي هذه القصيدة التي يتحدث فيها حافظ عن تقديسه للقرآن الكريم،

نرى هوته يجاريه دونما تردد وذلك الأن بوسمه هو إيضاً أن يقول - سوقفه في ذلك مثل موقف حافظ حيال القرآت -اثا الذي قيست نفسي الصورة البديوية من كتبنا القلصة، فانطبحت عليها - . . ، على رغم النكران والكفير ، ها الصورة المناقبة للإيمان " ويسمي ضوته حافظاً في كتاب حافظ الملكور أعلاء "توأمه" . ومكذا، أدناك صلة أقوى

وأمتن من الـصلة التي تجــــمع بين التوأمين؟ ألا يحيرنا أنَّ يشعر غوته بأواصر قربى مع حافظ شبيهة بأواصر القربى مع الشقيق التوأم، وإنُّ فصلت بينهـما قرون من الزمن عديدة وتباعدت ديارهما تساعدأ عظيمأ واختلفت لغتمهما وتباين تراثهما اختلافأ وتباينا شديدين؟ وكيفما كــان الحال، فإن ديوان غوته يُظهر، بوضوح وجلاء، التوأمين، أحدهما مسلم والآخر مسيحي، في حوار أخــوي صادق. وفي الواقع، فأن جلّ الديوان الغربي ـ الشرقي، ومنصطلح ديوان يعني، كنمنا هو معروف، المكان الذي يُجستمع فيه، يشمتمل على محساورات غربيمة ـ شرقية، يشارك فيها الكثير من مشاهير الشرق: النبي محمد، شاه عباس الكبير، محمود الغزنوي،

تيسمورنك، الفسني إبو السسمود النسندي، السلطان سليم، والشعراء حافظ والفسردوسي وجلال الدين الرومي وسعدي والمثنيي وحاتم الطائي وغيرهم كثيرون، وهذا الإسماء قبل من كثير، فقي ديوان غوته لا إمسطى مشاهر القدوم فقط القدرصة للتصبير حن آرائهم، بال ويشنج أتماس آخروم فقط مجمهول الهمية، من قبل الساقي وحالي البطال ودلل القافلة والجوهري والناجر في السوق، لا بل وحتى المسول إيضاً، القرصة للتعبير هما يجيش في خواطرهم من أتكار. يقم، إيضاً، المسمى تعليشات وإبحاث، كان غوته دؤويا على إعطاء اصنالة تشهد على إمكانية الحواريين القرب والشور. (...)

روي وقت مبكر، أي وهو لا يزال في المشربتات من عمره، كان غوته واعياً بضرورة إقامة الحوار الصدادق بين العالم الغربي والإسلام. ففي تلك الحقية كان قد بنا يهتم بالقرآن دراسة ومناقشة، قبراح يدون بعض الآيات من التربت المسلمات المنطقة المنافقة المنافقة المنافقة على معارضة جديدة كانت قد نشرت للتر آندالذ وانقلوت على ملاحج معادية الإسلام عداماً نشرت للتر آندالذ وانقلوت على ملاحج معادية الإسلام عداماً

فلاف الطبعة الأولى لكتاب· "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي" لقوته

سانراً تقليدياً واصفاً إياها بأنها "إنتاج بالدن". أما وأن غوته كان يتاوئ كل الحبالات وأنه كنان قد عزم عملى كسب الود كان يتاوئ كل الحبالام، فهمنا أمر واضح تشهد عليه الشطرات المنبقية عما يسمى بسراجيديا معصما التي جامت منافقية عماماً للصورة الحبيثة التي مسرحيت، الحبيثة التي رمسها فدولتير للرسول محمد في مسرحيت، الشهيدة آتذاك المسمناة Le fanatissre ou le Prophète بالمسمنة حالمة في المساحية والمساحية المعالمة والمعالمة والم

المنشورة عــام ١٧٤٣. ولعله تجــدر الإشارة إلى أن غوته كان قد حرم على شقيـقته كورنيليـا، إبان دراسته الجامعية في مدينة لاييزج، لعب دور في العرض الذي نظمه بعض المعجبين بمسرحية فولتسير الخبيئة. ومهما كان الحال فإن الأمــر البين هو أن غوته قد دبج، وهو في سن الثالثة والعشرين، قصائد أشاد فيها بنبي الإسلام إشادة لم يضاهه بها شاعر أوربي آخر أبدأ. إلا أن اهتمام غموته بالإسلام لم يقتصر على هذه الحقبة فقط. فبعد ما يزيد على أربعة عقود من الزمن وفي سياق المحاورات التي تضمنها الديوان الغبريي _ الشرقي استأنف غبوته اهتمامه بالدين الإسلامي، حيث عمق اهتماصه بالعالم الإسلامي ويناه على قاعدة أكثر اتساعاً وأشد متانة في هذه المحاورات.

وعلى ما يبدو لي، يكمن أهم عنصر لعلاقة غوته بالإسلام في الإجلال القوي الأساس الذي كان غوته يكنه للإسلام. وللوقوف عملي هذه الحقيقة عن كشب، اسمحوا لي أن استعين ببضعة أمثلة معبرة توضح ما أقصده. في سن الثانية والعشرين، أي حينما كان لا يزال يصارع من أجل أن يقصح لسانه عن الروح الشاعرة الكامئة في أعماقه، بعث غوته رسالة إلى هردر يقول له فيها: "إني أود أن أدعو الله كما دعاه موسى في القرآن: ﴿ربِ أشرح لي صدري) . " ويستشهد غوته هنا بالآية الخامسة والعشرين من سورة طه. ويتبين مغزى استشمهاد غوته بهذه الآية، متى ما اطلع المرء على الآيات اللاحقة التي اقتبسها غوته من القرآن في وقت يكاد أن يتزامن مع تأريخ تحرير الرسالة. فموسى بواصل دعاءه هناك قاتلاً: ﴿واحلل عقدة من لساني ، يفقهوا قولي... ﴾. ولا مراء في أن استشهاد غوته بالقرآن الكريم في سياق موضوع هو في غاية الأهمية بالنسبة إليه، أعنى رسالته الشعرية دليل واضح على القيسمة الروحية التي عثر عليها غوته في كتاب الإسلام المقدس في ذلك الزمن المبكر من حياته. وبعد نصف قرن أعلن الشاعر، وهو في عامه

السبعين على وجه التحديد، على الملا أنه يعتزم أن "يحتفل في خشوع بتلك اللبلة المقدسة التي أنزل فيسها القرآن على النبي " وتذكرنا العبارات التي اختيارها فوته أعلاء، احتي عبارات من قبل اختصوع"، «اللبلة المقدسة»، «انزل فيها»، بالتأكيد بالعبارات التي تستخدمها الأمة التصرائية أيا احتفالاتها بولد للسيع. (...)



and have a selection

وقبل فتىرة وجيزة طرحت صحيفة Neue Zürcher Zeitung سؤلاً مفاده: هل كان غوته مسلماً؟ وذلك كعنوان لمقالة نشرها على صفحاتها مانفريد أوستن Manfred Osten. وفي الواقع فإن هذا الموضوع ليس أمراً سهلاً يمكن الإجابة عليه بنصم أو لا. حقاً هناك أكثمر من دليل يشهد على أن غوته لم يكن مسلماً. إلا أننا، مع هذا، تعشر لديه على عبارات وسلوكيات كثيرة تبين أن غوته كمثيراً ما كان يُنسب نفسه إلى ملة المسلمين. ومهــما كــان الحال، فالأمــر الواضح الذي يمكن تأكيسده هنا هو أن غوته قد وظف إمكسانياته الفكرية وطاقاته الشمرية لمد الجمور الموصلة إلى عمالم الإسلام. وصلى ما يبدو فقد وعى غوته فى وقت مبكر أن القدر شاء له أن يكون صلة السوصل بين العمالمَين، كسما تنوه بذلك العبــــارات التي دونها هو نفســـه في مؤلفه اشــعر وحقيــقة Dichtung und Wahrheit، الذي يقمول فينه بخصموص افتنانه بفلسطين: "بوسع المرء أن يتحـول حيـشمـا يشاء، بوسعه أن يشرع بالقيام بما يريد، إلا أنه سيعود دائماً وأبداً إلى ذلك الدرب الذي رسمت له الطبيعة. " وكما هو بين من سيرته الذاتية، كان هذا الدرب، الذي رسمت له الطبيحة، قد قاد غوته إلى الشرق الأوسط، هذا الإقليم الذي فتنه منذ سنوات الصبا افتنانا جعله لا يشعر بالغربة وهو يسجول، روحمياً، مع الآباء الأولين في أقطار دجلة والمرات والنيل ونهر الأردن. وحسب تعبيره هو ذاته، فإنه كان، وفي ذلك الزمن المبكر من حياته، "قمد هاجر عن رضى وطواعية إلى تلك المناطق من عالم الشرق"، حيث كان يجـد فيــها "الحلوة ويصحب جــمعاً يــضم عظاماً. " ولعله تجدر الإشارة إلى أن سيرته الذاتمية هي السيرة

الوحيدة في الادب العدالمي التي ترتبط فيسها قسمة حياة المؤلف، كما يؤكد ذلك الاستشهاد الحسرفي التالي، ارتباطاً وثيقاً بتاريخ "ذلك البلد الجديل للحسود كشيراً وبمحيطه وبالبلدان للجاورة له . . . وبوقائعه وشسعوبه ايضاً التي كانت، وعلى سدى الآف السين، تكن لهبذه الرقعة عن احتام العالم أعظم إكبار . " ويفصح مؤلفه شمر وحقيقة عن احتمام العالم أعظم إكبار . " ويفصح مؤلفه شمر وحقيقة عن احتمام

قـوته المبكر بإسسماعيل، الابن البكر لإبراهيم من هاجر المهرية والأب الذي انتخار منه العرب، وكان غـوته قد رأى في مولده "تدبيراً من السعلي القـدير" به إنهاذ ملاكة الرحمن لإسماعيل من المبع وذلك "لكي تكون لإسماعيل، إيضاً، فرزة غظيمة يؤمل أن يتحقق لها ما لا يمكن تصوره" أي أن تكون فرية إراهيم بعدد فيرم السماء.

وكان السنزاع بين إسماعيل وإسحاق،

أب الإمسرائيليين، قد أخد مساحة واسعة في سياق حديث غوته عن طفولته، الأمر الذي ينوه بأنه كان قد وهي هذا النزاع في وقت مبكر. وكان غوته قد درج على أن يتمحدث عن النزاعمات بلهجمة آسفية ولكن محايدة؛ فهو لا يتمحيز لطرف ضد طرف آخر أبداً. وكان قد تحدث في موالفه اشعر وحقيقة، بإسهاب عن الكيفية التي استنولي بها إبراهيم على بلاد كنعان والأمسباب التي دفعته لأن يقيم هو وذريته في هذه البلاد التي تتصارع طليها ذريته مـن الإسرائيليين والعــرب صراعـــاً دامياً حــتي يومنا الحاضر. وتفصح سيرة غوته الذاتمية عن عمق الاهتمام الذي أولاه لسكان فلسطين، فهؤلاء كانوا يظهرون، بالرغم من إيمانهم بالله، مـــلامح "توحش وقــــــوة"، تنبئ "عن المستوى الذي يمكن أن يصل أو يهبط إليه الإنسان. " وكما أكد فيإن "الكتب المقدسة . . . لا تريد أن تعرض علينا هؤلاء الرجال اللين أنعم الله عليمهم بالبركة على أنهم القدوة الحسنة في الخلق القويم. فهم أيضاً يتسمون بصفات مختلفة متباينة وبنواقص كثيرة وعاهات عديدة؛ إلا أن ثمة خاصية أساسية أرادت المشيئة الإلهية لهم أن لا يحسيدوا عنها: إيمانهم إيماناً لا يتـزعـزع بأن الله قـد خصـهم هم وقومهم برحمته. " وكان غوتمه قد اعتمد في وصفه هذا على الشرائين اليهسودي والعربي .. الإسسلامي. وكمسا هو معروف، فقد تعلم غوته في وقت مبكر ومن دون أن يدفعه أحد إلى ذلــك اللغة التي يتــحدث بهـــا اليهــود الأوربيون واللغمة العبسرية كمما أنه خطى خطوات أولى لتعلم اللمغة العربيمة نطقاً وكمتابة. من ناحيمة أخرى كمانت أنظاره قد توجهت، منذ كان طالباً في ستراسبورغ، إلى القرآن فاهتم به اهتماماً عميقاً.

وكان التسامح سمة عسصر التنوير. فتجارباً مع روح هذا العصر أمسى المرء يهتم، إلى جانب اهتسامه بالكتاب القدس، بالكتب المقدسة لدى الشعوب الأخرى، مؤكداً على أن هذه الكتب أيضاً تستحق الاحترام والتبجيل من قبل ذوي المعتقدات المغايرة. ومع هذا، فالأمر الملاحظ هو أن الآيات التي اقتبسها غوته من القرآن، والبالغ عدد الباقي منها في أوراق أكثر من عــشرين آية، تبين بجــلاء أن ثمة تبجيلاً متميزاً يتعمدي مساعى التسامح التي نادت بها حركة التنوير. فهي تشير إلى وجهات نظر إسلامية أثارت آنذاك إعجابه الشديد بها وذلك بفعل ما انطوت عليه من وجهات نظر قريبة الصلة بمشاعره وطرائق تفكميره الشخصية. وتبدأ مدونات غموته بسورة البمقرة، التي ظلت سورتمه المفضلة حتى بلوغه سن الشيخوخة: فقد كان قد دون في البداية الآية رقم ١١٢ دَات المغــزى الرائــع القــاثلة': ﴿بَلِّسَى مَنْ اَسَلَّمَ وَجُهُهُ لَلهُ وَهُو مُحْسِنٌ قَلَهُ اَجْرُهُ عَنْدَرَبُهُ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمَّمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وتلى هذه الآية الآية رقم ١١٥ اَلْفَائِلة: ﴿وَلَلَّهُ الْمُشْرِقُ وَالْمُغْرِّبُ فَأَيْنِمَا تُوَلُّوا فَثَمُّ وَجُهُ الله إِنَّ اللهَ وَاصَعٌ عَلَيمٌ . ﴾ من ثم ينتقل غوته إلى الآية رقم ١٦٤ التي تَقُـول: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماوات والأرضُ وَاخْتلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِيَ البَحْرِ بَمَا يَنْفَتُمُ الناسَ وَمَا أَنْزَلَ ٱللهُ مِنَ ٱلسَّمَاء مِنْ مِاء فَيَأْحِينَا بِهِ الأَرْضِ بَعِدَ مَوْتِها وِيَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّةً وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآياتٌ لقَوْم يَعْقَلُونَ .

وتمبر ألاية أصاده من وحدانية الله. وفي الواقع لم يستق فوته ترجمة معنى هذه الآية من القرآن اعتباطاً. ففوته دأب على تئسين دصوة النبي محمد المشابرة إلى الإيمان بوحدانية الله. والشحملت التباسات غوته، من ثم، على تأكيد الفرآن هلى ضموروة تائية أصمال البر والإحسان، ولربحا بينت ثنا المساحة الواسعة التي احتلتها، بعد ذلك، المندوة إلى أعمال المبر والرحمة والإحسان في المديان من اعتماء الكبير بهذا بالجانب من المقيلة الإسادية.

وتؤكد الآيات الاخترى التي دونها غوته في العامن ۱۷۷۱ وتؤكد الآيات الاخترى التي دونها غوته في العامن ۱۷۷۱ المرب ۱۷۷۱ على أن مشيئة الله انتضت أن لا تبلغ وسالته إلى البشرية عن طريق رسول واحد فقط، بل انقضت أن ينهض عمران الآية وفي 123 فورة أصحَّمَّ إلا رُسُولُ قَدْ حَكَتْ عمل أَن الله الرُسُولُ قَدْ حَكَتْ الله مَنْ الله مَنْ الله مَنْ أَن الله الرُسُولُ قَدْ حَكَتْ الله مَنْ الله مَنْ وَسَيْعَ وَسَالِهِ وَمَنْ يَتَكُلْتُ الآية وهم ۱۹۷۱ : ﴿ وَمَا عَلَى الله مَنْ الله

وكما هو معروف نقسة جرت نقاشات مسهية بين الشاب غوته وبين لافاتر Lavater "حول ما إذا كان الله قد اجتيى المسيح فيقطه أم أنه اجتيى وسال أتحرين لتبلغ رسالته، وأسفرت علم التقاشات عن خصومة آلت إلى نقط العلاقة بلافاتو، وكما يحيين من الملاحقات اليوسية التي دونه لافاتو، كان القرآن أيضاً، موضوعاً للفضائات التي كانت تمنور بينه وبين غوته آنذاك. وفي إشارة منه إلى التي محمد سمى غوته جامداً لأن يرشد لافاتر إلى أن تاريخ الإنسائية قد عرف أتباء عظاماً خارج محيط النصرائية.

وتنوه اقتبــاسات غوته القرآنية على أنه اهتم اهتمــاماً شديداً بالدور الذي نهض به نبى الإسلام وبالمكانة التي حظى بها لدى أمته. فقد دون من سورة العنكبوت الآية رقم ٥٠ التي يرد فيها: ﴿ . . . قُلُ إِمَّا الآياتُ عِنْدَ الله وَإِنَّمُا أَنَا نَذْيِرٌ مُبِينٌ . ﴾ واستقى أيضاً : ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرواً لُولًا أَنْزِلُ عَلَيْهُ آيَةً منْ رَبِهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذرٌ وَلَكُل قَوْمٍ هَاد . ﴾ (سورة الرعدَ، الآية: ٧). وانبهر وشُّغفَّ غوَّته طيُّلة حَّياته بالمغزى الذي انطوت عليه الآية الأنفة الذكر، وهو مغزى تضمنته الآية رقم ؛ من سورة إبراهيم أيضاً". ولعل في الرسالة التي بعدثها عنام ١٨١٩ إلى عالم شناب، خيسر دليل على انبهاره وشغفه بسهذه الآية، فقد كستب مضمناً صا جاء في الآيتين المذكورتين آنفاً: "لقهد صدق قول الله في القرآن"، "وما أرسلنا من رسول إلا بلسمان قوممه". وكرر غموته مضمون الآية القرآنية ذاتها في رسالة بعشها إلى الأديب الإنجليزي توماس كارلايل Thomas Carlylc عام ١٨٢٧، يقول القرآن: ﴿لقد أرسل الله لكل أمة نبياً بلسانها .﴾

وركت العراضة والمستوانية يتسابها و وركت الاشتباسات من مصاني القرآن السكريم المترجمة انطباعاً طويسل للذي في وجلان فوقه. فقد فصص بالبيون السالين من الشعر، الللين نظمهما إيان مرحلة تأليفه الديوان الغربي ـ الشعرقي، أي بعد مضي عدقود من الزمن على استخراجه للأبين من القرآن، ما جاء في الأبين

المذكورتين أعلاه من معنى: لست قادراً على تحقيق المعجزات

هكذا قال النبي؛ إن أعظم معجزة هي أني موجود

إلى بعضر معجزة عمي ايم بوخود. والهسمت الدراسات القرآنية في العسامين ۱۷۷۱ و ۱۷۷۲ عزته كتابة عمل تراجيدي من حياة النبي محمد لم تصلنا منه، للأسف، إلا بعض أسلوات من نواته. ومع هذا، وبالرغم من قسمرها، تضمح هذا الشارات عن للناحي الأساسية التي يوكونه وسولاً لم يكنف بالكلفة في نشر شخصية التي يوكونه وسولاً لم يكنف بالكلفة في نشر دعمرته، مستخدماً وسائل دنيوية بحدة ارتضا، بل جعاد وناطعة

الإعجاب المذي كان غوته يكنه لشخصية النبي محمد من

خلال قصيسلة المديح الشهيرة المسماة انشيمه محمدا، التي

في الوهان فخوراً بعبابه السلسال الفضي ... وأنهار الوهاد وجداول النجاد علل جبيعاً من الفرح متصابحة، خذبنا معك! خذبنا معك! خذبنا معك إلى البحر الهيط الأزلى الذي ينتظرناه

> باسطاً ذراعيه ... ويمضى، من ثم، ويعد تغيير طفيف، قائلًا:

خذمعك أنهار الوهاب وجداول النجاب خذنا معك خذنا معك

إلى البحر المحيط الأزلى وينهى غوته نشيد محمد قائلاً:

على نبى الإسلام.

ويمضى إلى الأمامر بأخوته بكنه زء، بأبناته،

إلى أبيهر، إلى خالقهر الذي ينتظرهر، ليضمهم إلى صدرته

وهويهلل ويكبر زاخراً بالفرح العظيمر. وقد تضمنت هذا الأبيات ثناءً ومديحاً عظيمين لم يسبق لأي شاعر أوربي في أي عصر من العصمور أن اسبغهما

وكما تبين لنا عند الحديث عن الآيات القسرآنية التي اقتبس غوته معانيها من القرآن الكريم، تبين شذرات تراجيدية محمد ،أيضاً، بجلاء أن غوته كان قد أولى اهتماماً خاصاً لعقيدة التوحميد الإسلامية. وقد علق غوته في كتابه شعر وحقيقة، فكتب ما نصه: "تبدأ المسرحية بترنيمة يترنم بها محمد وحده وقد أحاطت به سماء الليل الصافية. فهو في

بادئ الأمر، يتعبد الأفلاك " التي لا تحصي على أنها آلهته.

جاءت صيغتها الأولى على شكل حوار يدور بين الإمام على وفاطمة ابنة النبي. وكان غوته قد دبج قصيدة المديح هذه في ربيع عام ١٧٧٣ ، أي بعد أن درس كل ما في متناول يده من مؤلفات عن الرسول. ويصور (غوته) النبي، بصفته هادياً للبشر، في صورة نهر يبدأ بالتدفق رفيقاً هادئاً، ثم لا يلبث ان يجيش بشكل مطرد ويتحول في عنفوانه إلى سيل عارم. من ثم تصور القصيدة اتساع هذا النهر وتعاظم قوته الروحية في زحمه الظافر ليصب أخيراً في البحر المحيط، رمز الألوهبة. وتقوم هذه الصورة على فكرة مضادها أن العبقرى الرباني يرى في الآخرين أخوة له يـأخذ بأيديهم ويشــدهم معه، منطلقاً بهم كالسيل العارم الذي يجرف كل ما يصادفه في طريقه من جداول وأنهار إلى البحر المحيط: ... وهذبا هو يجري

كل هذه الكاثنات المحدودة الرائمة ، وكنت قد نظمت هذه المناجاة بحب شديد، غير أنها ضاعت مني. " وبما يدعو للدهشة أنه استـرجع ذكرياته عن هذا المشروع بكل دقة وعمق بالرغم من بلوغه سن الشيخوخة وضياع المسودة منه قبيل ذلك بزمن طويل. ولم يُعشر على نشيد "ليس في مقدوري أن أفضى إليكم بهذا الشعور . . . " إلا بعد موته؛ وكان غوته قد اختتم تشيده هذا بأبيات راثعة نسبها إلى النبي محمد يقول فيها:

ثم يظهر المشتري الجميل، فلا يلبث أن يصبح ملك الأفلاك

الذي يحظى بمفرده بالضراعة والابتهال. غير أن هذا الأمر

لا يدوم طويلاً، فسعد برهة يتوسط القمر كبد السماء،

فيستحوذ على بصر المتعسبد وقلبه، ولكنه سرعان ما ينتعش

ويتقموى بروعة الشممس المشرقمة فيستجمه نحوها بالحمد

والتسبيح. وعلى الرغم من كل ما يمكن أن ينطوي عليه

هذا التحول من فرح ويهجمة، إلا أنه يظل مبعثاً للقلق،

فالفسؤاد لا يزال يشعر بأن عليه أن يتجاوز كل ما شاهد.

ويعلو بذاته ليسدرك الله، الواحد الأحسد، السرمـــد الأزلى

الذي لا يحيطه حد وله وحده الحمد والشكر على خلق

ارتفع أيها القلب العامر بالحب إلى خالقك كن أنت مولاي، كن إلهي، أنت يامن تحب الخلق أجمعين يامن خلقتني وخلقت الشمس والقمر والنجومروالأرض والسماء

ويتضح من هذه الأبيسات أن إيمان غوته بالطبيعــة ينسجم مع التصورات الإسلامية. فاعتقاده بأن الواحد الأحد يتجلى في الطبيعة، فكرة مستقماة من الصور التي وقع عليها في ترجمة معانى القرآن.

وكانت عقيدة وحدانية الله من الأهمية بالنسبة إلى غوته، بحيث أنه جعلهما محوراً لحموار تخيل أنه دار بين المغتى محمد ومرضعته حليمة السعدية، حينما رأته واقفاً ليلاً في العراء، الأمر الذي أثار قلقها عليه فراحت تسأله: "أهكذًا وحيداً في هذه البطحاء التي يمرح فيها اللصوص فلا تنعم بالسلم والأمان ولا ليلة واحدة. " فأجابها قائلاً: "لم أكن وحيداً. لقد كان الله أقرب إلى من حبل الوريد. " حليمة السمدية: وهل رأيته؟

محمد: ألا تريته؟ إنه يتجلس عند كل عين جارية؛ وتحت كل شجيرة مزهرة . . وفي حرارة عطفه ودفء حسبه. له، سبحانه، الشكر والحمد . فقد شق صدري وأزال ما يحيط بفؤادي من فلاف سميك، لينفخ فيه اسمه جل شأنه. حليمة السعلية: أنت في حلم أأيشَقُ صدرُك، وتبقى على

قيد الحياة؟ محمد: إنى أتوجه إليه، صبحانه جلُّ وعملا، طالباً منه أن

يغفر لك وأن يمنحك القدرة لتفقهي ما أعنيه.

حليمة السحدية: من هو ربك؟ اهو هبل أما القطاس؟ محمد: أيها القوم، ما أشكام حيث تضرعون إلى الصنم معريين لم عن تبحيلكم إلى وتسجدون للحسير الأصم طالين عند أن يحسيكم ويرعاكم أشمع مولاء تضرعكم؟ أوجوا دعادكم؟ أقدموا لكم بد المساعدة؟

حليمة السعدية: إن الروح الساكنة في الصنم والمرفرفة فوق الحجر الأصم تمي ما أقول، إن جبروتها خطير عظيم.

محمد: كم هو خطره؟ كم هي عظمته؟ إنه ند لذلائمائة آخرين يقدفون بجواره، ولكل واحد منهم هيكل يقدم قديم التيضرعون القرابين. لو دها أحداثم إلهه لمساعدته على جاره، ولو دها هذا الجال صنعه أيضاً للوقوف إلى جانبه ضد جاره ذاك، أما ستبدر آلهتكم هذر وكانها مجموعة من أمراء صغار يسود بينهم تنافع وصراع دائمان، أما سيفسد كل واحد سنهم الأمر على الأخر.

حليمة السعدية: أليس لربك أنداد؟

محمد: لو كان له كفواً أحد، أكان يمكن أن يكون هو الله الاحد؟

> حليمة السعدية: وأين تكون سكناه؟ محمد: في كل مكان.

حليمة المسعدية: هذا يعني أنه ليس له مكان معين. ألديك سواعد بمقدورك أن تمدها لتحيط به؟

محمد: أشد قوة وأكثر تحسرقاً من هذه السواعد التي امدها نحوك شاكراً لك حبك لي وطفك علي". قند أطبيت، منذ عهد ليس بعيد، القوة على أن استخدم ساعدي، آه يا أماه لقد كت أشعر كأتي طفل رضيح مقيد بالقساط، إلا ألف القد أحس مساعداي وقسدماي بسجين القساط، إلا ألف خروجي من ظلمة السبحن لم يكن أمراً خاضماً لمشيشي. إني أدعوك، اللهم، أن تتقد البشرية من قسودها، فأعمال أعادياً إلى .

ريدل هذا الحوار، من ناحية، على عمق اهتمام غوته بطفولة النبي كما نقلتها كتب السيرة النبوية، ومن ناحية أخرى، على إيمانه بأن هذه الافكار تنسجم مع تصوراته.

من خواته قد لس، وفي وقت مبكر، ما في البيان القرآئي من جمال وبلاغة. وهكذا كان قد شيد لنفسه في طور الشباب الاسس المشيئة التيء مكتبه، حينما تقدم به المعر، من معرفة المالم الإسلامي مصرفة أكثر همشا، وذلك حينما محدث المناسبة من احداث تتسم بالفراية على الاهتمام مجدداً بالقرآن الكريم وعمل التعرف على عالم الشعراء المسلمين في الفتما الأحداث التي لا تتعلق من المنراية، وذلك حينما ملمه محاويون، كانوا قد عادوا إلى مسقط راسهم فاعار، صحيفة مستاد من معطوطة تشتمل على سورة الفقاء. وتلا مصرالات الشاعر لمحاكاة الحقد العلى المن تكتيب به المخطوطة محدالولات المشاعر لمحاكاة الحقد اللي تكتيب به المخطوطة

على الاهتمام العميق الذي حباه لهذه المخطوطة المكتوبة باللغتين العربية والفارسية. من ثم وصلت إلى فايمار، بصحبة جنود التحالف الذين حاربوا ضد نابليون، جماعة مسلمة من البشكير، وكان غوته قند شاهدهم وهم يؤدون الصلاة في المدرسة الثانوية البروتستانتية؛ وفي الوقع لم تكن هذه المعايشة أول معايشة في حياته كلها يرى فيها رجل دين مسلماً فحسب، بل كانت أول مرة، أيضاً، يسمع فيها ترتيل سور من القرآن. بعد ذلك بفترة قسمبرة، توجه إليه تاجر تحف فنية من لايسزغ كان يعاني ضائقة مالية، فاقتنى منه غوته مخطوطات للمكتبة الأميرية في فايمار، وذلك بعد دراسة وافية أخذت من وقته عدة شهور. ولا ريب في أن هذه المخطوطات الشرقية ومنا ضمت من دواوين لشعراء فرس وعرب كبار، أيضاً، قد حفزت غوته للسير قدماً نحو لقائه التاريخي بكامل ديوان حافظ وذلك حينما أهداه الناشر «كوتا» في أيار/ مايو من عسام ١٨١٤ نسخة من الترجسمة التي قام بها يوسف فون قامر لهذا الديوان. لقد كانت هذه الأحداث جميعا مقدمات حفزت غوته لأن يؤلف الديوان الغربي _ الشرقي الخاص به وذلك كمعارضة منه لديوان حافظ. فهو يسير هنا على خطى قصائده التي كان قد دبجها قبل أربعة عقود مشيداً فيها بالنبي محمد وبالدين الإسلامي ومتطلعاً لأن تدفع هذه القصائد قومه لأن يتخذوا موقفاً أكثر إيجابية حيال الإسلام. وفي الواقم فإن كثيراً من قيصائد الديوان مستلهم من كتاب الإسلام المقدس، أو ويتعبير غوته نفسه مستقى من «التسرات القرآني المعظم». وهناك أبيات شعرية كان أحد نصفيها مستقى من آيات القرآن ونصفها الآخر من تمدييج فوته، من هنا فمقد أمست همله الأبيات غربية _ شرقية الطابع حقاً وحقيقاً. ولعل خير دليل على ما نحن في صدى الحديث عنه الرباعية التالية ذات النفسمة التعبيدية التي يقول فيها غبوته: "لله المشرق/ لله المغرب/ والأرض شمالاً والأرض جنوباً/ تسكن آمنة ما بين يديه. " وجاء في رباعية أخرى اشتملت عملي معان مستلمه من ترجمات القرآن ومعان من صياغات غوته:

بريد الضلال أن يربكني، لكنك تعرف كيف تهديني. فإن أقدمت على عمل أو أنشدت شعراً. فأر أنت لي جمادة الطريق.

وباستخداسه عبارة "جادة الطريق" ينوه غوته هنا بما يسسميه للؤمنون السلمسون «الشريسة»، أي الطريق الحق الموصلة إلى المورد. إن هذا هو المعنى الأصلي للصطلح «الشسريمة»، الذي حُرف كلية من قبل الإسلام السياسي.

ويدُلنا ديوان غوته، أيضاً، علمى عمق الميل الذي كان يكته الشاعر لمقيدة «الإسلام» الحق، أعني عقيدة الخضوع لإرادة الله ومشيئته. فكما هو الحال بالنسبة إلى المسلمين، يؤمن

غوته إيضاً أن الله قد حدد قدره سلفاً وأن ائتدين الحق يفرض على الإنسان التسليم بمشيئة الله والإذهان لإرادته. وينسجم سيداً القدرية هلا مع ما جاء بكساب الاختلاق وينسجم سيداً القدرية هلا مع ما جاء بكساب الاختلاق الخلافة المنسلوف المفياً المنسلوف الذي كان ضوته تلبياً صخاصاً له منذ الزم الذي تصود إليه، إيضاء المشارات المشية من صرحية محمد.

ومن الأمور التي لها دلالتسها على شخصية غوته أنه ظل مؤمنأ بهذه العقيدة حتى عندما أصابته أقسى ضربات القدر وعضته نواثب الدهر. فعندما توفى راعيه وصديقه أمير البسلاد الدوق كارل أغسطس، لسم يكن منه إلا أن قال لمحمدته أكرمان وهو يتنهمد حمسرة ويرفض أي عمزاء أو مواساة: "إنها مشيشة الله التي اختارها بحكمته، أما نحن البشر الفانين فلا تملك إلا التحلى بالصبر. " لقد كان غوته يؤمن في كل الأحــوال، وفي حــالات الوفــاة على وجــه الخصوص، "بالعناية الإلهية". وهكذا راح يقول عام ١٨٢٧ في سياق حديث له مع المستشمار فون مولر: "إن حياتنا وأصمارنا رهن بمشيئة الله. " وكثيراً مــا كور غوته تسليمه بالقضاء والقدر من منظور إسلامي. فقد تحدث في كتابه الموسوم «الحسملة الفرنسية Campagne in Frankreich عن مشاعره وهو يواجمه، حالة اتسمت بمخاطر عظيمة عاشها عندما رافق القوات الغازية لفرنسا عام ١٧٩٢ قائلاً: "لقد تمثلت لي، عندما كانت المخاطر أصغلم ما تكون، جبرية عمياء، كسما أني لاحظت أن أولئك الذين يمارسمون مهنأ تتمهدهم فميهما أعظم الأخطار، يشعمرون باشستناد أزرهم وتعاظم قنوتهم، عندما يؤمنون بهله

العقيدة. إن الدين الإسلامي خير شاهد على هذا. " وفي عام ١٨٢٠، عندما كانت زوجة ابنه تعانى من مرض عضال، كتب غوته بنبرة مشبعة بالإيمان بالقضاء والقدر إلى أحد أصدقاته قسائلاً: "لا يسعنسي أن أقول أكثسر من أني أحاول أن ألوذ بالإسلام. " وعلى نحو مشابه كتب غوثه عام ١٨٣١ بشأن وباء الكوليرا السذي انتشر في طول البلاد وعرضها يقمول: ليس بوسع امرئ أن يقدم النصح لامرئ آخر في هذا الشأن، فليتخذ كل إنسان القرار الذي يناسبه. إننا جميعاً نعيا في الإسلام مهما اختلفت الصور التي نقوي بها عزائمنا. " وحينما كان في الشانية والثمانين من عمسره، وقبل ونساته بأربعة أسسابيع فقط، كتسب، عندما أرحبت السكوليسرا الناس ثــانيــة: "هناء لمي لملــدينة وفي الريف، أظهر الناس رباطة جأش ملحوظة عندما أدركوا أن دفعها (أي الكوليرا) أمر مستحيل. فقد أُلغيت المستشفيات وما شابهها من مؤسسات. ولو أمعن المرء النظر للاحظ أن الناس، رغبة منهم في التحرير من الحتوف الضطيم، قد ألقوا بأنفسهم في الإسلام وفي الاطمئنان لحكمة الله الخفية . ا

ويتبين لنا هنا أن غوته كان يهتــدي، وبوعى كامل، بعقيدة إسلامية أساسية وأنه كان يرشد أصدقاءه، صراحة، إلى هذه العقبيدة. وكمان بعض الناس يؤاخذ غبوته ويرى أن بعضاً من عقائله المستمدة من الإسلام انطوت على استفزار وقعمه غريب جمداً على الأذن الغربية، ممن ذلك قوله في الجزء المسمى اكتساب الحكم، من مؤلفه الديوان الغربي _ الشرقي: "من حماقة الإنسان في دنياه / أن يتعصب كل منا لما يراه / وإذا كان الإسلام معناه أن لله التسليم / فعلى الإسلام، نحيـًا ونموت نحن أجمعين. " وفي الواقع، وإذا ما أمعنا النظر في هذه الأبيات، فإننا لن نعـشر فيها على ما هو استقزازي، وذلـك أولاً لأن «الإسلام» معنــاء أصلاً "الانقسياد لأمـر الله ونهيــه بلا اعتــراض"، وثانياً، لأن بمقدور كل إنسان، لا بل ينسخى ويجب على كل إنسان أن يسلم أمره لمشيئة الله، رب الخلق أجمعين، فقط. بهذا فإن ما يقسوله غوته هنا لا ينطوي على أي استفرال، فهو ينطبق على الخلق أجمعين ويغض النظر عن الدين الذي أمسى عليه هذا الإنسان أو ذاك بالولادة أو أضحى عليه بفعل عوامل أخرى.

ترجمة: عدتان عباس على

ا - رود في الأصل الآية ١٠٠١ والمصحيح هو الآية رقم ١٢٠٢ ويصوه الاعتلاف إلى أن الباحثة انطافت في ترقيم هذه الآية والآيات اللاحقة من الترجمة الألفائية للقرآن الكريم، من هنا فإننا سنطرج بشأن الآيات اللاحقة، أيضاً، الترقيم الأصلى طبعاً. (الشرج)

القصود هر الشاعر واللانوتي السويسري، Idana Kasper Lavater الشديد
 المؤود عام 1971 والشوقي عام 1971 وقيرت شخصيت بمسئاته الشديد
 لاتكار فلسفة الشوير وذلك بسبب وقض همله القلمفة للتسجرير الليزية
 والصوفية . (الترجم)

 "ا الآية الكرية: ﴿وَمِمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولَ إِلاّ بِلْسَانَ قَوْمَهُ لِيسِينَ لَهُم يُلْمِنُ الله مِن يشاهُ ويهدي من يشاهُ وهو العزيزُ الحكيمُ. ﴾

إشارة إلى تعبد النبي ابراهيم وقصته المذكبورة في الفرآن الكريم، إذ ربما
 حصل التباس لدى غوته.

نظرة جديدة إلى الاستشراق أنّا ماري شمل والتواصل الثقافي بين ألمانيا والعالم الإسلامي

تجدد وفاة أثنا طري شعرا في السادس والعثرين من شهر شباط / براير للاشمي، بالنسبة إلى الحوار بين ألمانيا والعالم طبعاً ، أن الحوار الثقافي نفست قد بلغ نهاية ال انقطح لحين طبعاً ، أن الحوار الثقافي نفست قد بلغ نهاية ال انقطح لحين من الزمن ، بل يعني أنسه سياضة صيخاً جديدة كسانت علاقة وثيقة بما درجا على الاتحد به خد الأن وأن لحتراها علاقة وثيقة بما درجا على الاتحد به خد الأن وأن وأن المنتقلة ، يجدل بنا أن نحوال تحديد خصوصية مضهوم وقبل النوائد ، يجدل بنا أن نحوال تحديد خصوصية مضهوم أخوا الثقافي في ذلك العسم الذي كانت أنا ماري شمل تحر كبار رموزه ، أعني المصمر الذي كانت أنا ماري شمل صبخته للميزة له في مطلع القرن النامي عشر. وكان يومان في في المناسخ المناسخة المنا

إلى يومنا هذا أشهر بيان يعلن اندلاع فنجر هذا العصر. وأنَّا ماري شمل في نهايته، في حركة التنوير الأوربية عامة والألمانية منها على وجه الخصوص. وكانت دراسة اللغات الشرقية، وخمصوصاً العربية والعبسرية، وسيلة يتوخى المرء منها العمون على فهم أفضل للكتماب المقدس. فالمرء كان يُنَّى نفسه أن تقدم له العون على تعرف أكثر عمقاً لنصوص التوراة والأناجيل المكتوبة باللغة العبرية، كالتعرف على كنه الكلمات المجهولة المعنى؛ إضافة إلى هذا كان المرء مهستماً بالتعرف على المحيط الجغرافي لمسرح الحوادث التي تتحدث عنها الستوراة والأناجيل، أعنى أنه كان يسعى إلى تحديد مواقع المدن التي جوت على أرضها الوقائع الممذكورة في الكتاب المقسدس، وإلى إقامة الدليل على أن هذه الوقائم حقائق تاريخية. وهكذا كمن هدف تلك الرحلة، التي كانت واحدة من أكثر الرحـــلات العلمية إلى الشرق الأدنى كلفة في القرن الشامن عشر، أعنى الرحلة التي نالت شهرتها الواسعة من خلال الوصف الذي قدمه عنها كارستن نيبور، في دراسة المواقع التي تحدثت عنها كتب التوراة والأناجيل في المقام الأول، وليس في التعرف على واقع الحياة التي يعيشها العرب. بهذا، فحسى الدراسات

الترتبة ذاتها كمان الهدف الأول منها هدو الإحاطة، على نحو أفضل، عا ورد في الكتاب القداس. من عا فبان يقدورنا، فساحً، القرول بأن هذا الامتمام بالشرق كاد ألا يكون محاولة للتحرف على ذلك العالم الغريب؛ بل كان محاولة للتحرف على اللغت؛ بهذا المغنى فإن كمان اقترابا غير مباشر من الشرق، أي أن الاقراب من الشرق لم يكن مدفأ بعدد ذاته، بل كان حصيلة جسانية ألمرتها المساعي الراسبة إلى التحرف على اللغات، فعدد صحدود من الشخصيات الملمية تخطى هداء العلاقة الحدودة بالشرق، وراح يمكف على دواسة الشرق اهتماماً باللشرق ذاته. وراح يمكف على دواسة الشرق اهتماماً باللشرق ذاته. وراجيده على دوجه الخصوص، فهو كان، ويغضل ما بذلل من جهود قيمة في متصف القراد الشامن عشر، المؤسس الحقيقي للاستشراق الألماني.

إلا أن الأثر الأعظم على غوته، وبالتالي على أنّا ماري شمل أيضاً، لم يتأت من أولئك المستشرقين اللين تركزت مادة دراساتهم على الكتاب المقدس أو الدين بالمقام الأول، بل تأتى من أولئك المستشرقين الذين عكف وا على دراسة الدولة العثمانية تاريخاً وأدباً. ونشأت هذه الدراسات في سياق النزاصات الحسربية مع العشمانيين؛ ومن هنا فمإن جذورها كانت تمستد إلى فبينا على وجمه الخصوص. وكان هامر .. بورجــــتال (۱۷۷٤ ـ ۱۸۵٦) من أكشر رموز هذه الدراسات شهرة. حقاً تمحورت غالبية هذه الدراسات حول التاريخ العثماني، إلا أنها، مع همذا، توجهت باهتماماتها إلى الأدب أيضاً، وإلى الأدب الـفـــارسي على وجـــه الخصوص. فترجمة هامس ـ بورجستال لـ «ديوان حافظ»، المنشورة عام ١٨١٢ كانت إلهاماً دفع غوته لتدبيج القصائد التي حسواها مؤلفه الموسسوم «الديوان الغربي ـ السشرقي»، المنشور صام ١٨١٤. وفي الواقع فإن كــلا الحدثين، أعني ترجمة هامر _ بورجستال الشعرية لقصائد حافظ والمعارضة الشعرية التي قدمها غوته نفسه لهذه القصائد المسرجمة، يستحمقان منا أن نتحدث عنسهما حديثاً صوجزاً على أدثى تقدير. فكلا الحدثين كانا بمثابة النموذج الذي حلما حذوه الحدوار الثقافي الألماني مع الشرق إبان بداياته الأولى في ألمانيا. وأثبتت الدراسات المتخصصة بغوته أن أسلوب هامر

ـ بورجستال في ترجمة ديوان حافظ كان أحد الأسياب التي تُفسر افستنان غوته بحافظ. حقاً لم يكن هامسو ـ بورجستال شاعراً كبيراً، إلا أنه، مع هذا، استطاع أن يقدم ترجمة لحافظ تتسم بأسلوب أدبيي سبق لغوته أن تأثر به في شبابه؛ من هنا، فقند شعمر غموته بدافع قموي يدفعه للمعارضة الشعرية حـينما التقيء وهو في الستين عاماً من عمره، عند حافظ، الشاعر الذي ينتمى إلى عالم آخر بعيد عته كل البعد، بهذا الأسلوب ثانية. وفي الواقع، فإن حافظاً كان قد أمسى، وبالمعنى للجازي لهذه العبارة، المانياً، حينما التقى به غوته - الشاعر الذي لم يتكلم أية لفة من لغات الشرق. ومع هذا، فليس ثمة شك أن إعجاب غوته الشديد بحافظ وإقباله الحماسي عليه يدعوان للدهشة والانبهار؛ وينطبق الأمر نفسه، طبعاً، على حواره الشعرى مع حافظ، الشاعر الفارسي الذي رأى فيه غوته شقيقه التوأم. ومع كل سعادتنا بالإعجاب الذي كان غوته يكنه لحافظ، لا يجمور أن يغيب عنا أن هذا الإعجماب قد ترعرع في داخل حدود المعرف الضيقة التي اكتسبها غوته بشأن حافظ وبشأن معلموماته العامة عن الشرق. من هناء فإن الأمر الذي ينبغي علينا أن نقتم به اليوم، لا يكمن في الجمزئيات التي دفعت غوته لأن يكن إعـجاباً شــديداً لحمافظ، وإنما يكمن في موقفه المنفتح على العمالم وفي ترجهه للحبوار مع هذا العالم. كما أن المهم هاهنا هو أن غوته كان، دائماً وأبداً، على وعي تام بمناحي التباين التي تميزه لا عن حافظ فحسب، بل وعن باقى الشعراء الذين عارضهم شعراً وتناولهم دراسة، فهو لم يحاول أبداً إلغاء مناحى التباين هذه؛ من هنا فقد اتخذ غوته موقفاً ميزه عن كثير من اللاحقين به، أولئك الذين شغفهم الشرق فهاموا به، نعم اتخذ موقفاً ميزه في بعض الأحايين عن أنّا ماري شمل أيضاً. ولا مراء في أن هذا لا يقلل من أهمية إعمجاب غموته بالشمرق، فمالأمر الواضح هو أن الوعي بالتباين والاختلاف هو الذي يعطى الفرصة للحوار (فلولا وجود التبساين والاختلاف لكان الأمر حسديثاً مع النفس لا

ركان قبد بدأ بهردر وضوته انتماح اصيل على التضافات الأخرى وصلى إنتاجها الأحيى، انتقاع يكاد أن لا يكون له مثل في العسهر اللاحقة؛ وكانت المدرسة الروسانية قد واصلت هذا النحى، فاهتمت بأناب اللغات والتشافات الاخرى اهتماما عصيفاً لم تضاهها فيه أية مدرسة أدبية أخرى، ملاوة على هذا، فقد كانت المدرسة الرومانيية، أشي منتصف القرن الساسم على نصر تقريبي إلى منتصف القرن الساسم على نصر تقريبي إلى منتصف القرن الساسم على نصر تقلير، التي نصر فيها على الأعام الكتاب على اتخاد و تقدير، التي نصر فيها على الخاد و تجدد

غير).

الإشارة هاهنا إلى أن غـوته نفسه لم يكن مستشـرقاً، بل كان هاوياً يجاري المستشرقين. فهو لم يأخذ بناصية أية لغة شرقية، كما أنه لم يترجم، أبدأ، بنفسه، وعلى نحو مباشر، قصيمة شرقية واحمدة نقلاً من لغتهما الأصلية. وكان الحال بالنسبة إلى هامر _ بورجستال على النقيض من ذلك، فهو كان عالماً ذا شمأن، إلا أنه، وبالتأكيد، لم يكن شاعراً كبيراً يدبج الشعر من خاطره. من هنا، وبقدر تعلق الأمر بالاستمشراق، فإننا نعشر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، فقط، على تلك الحال الشبيسهة بالحال التي اتسم بها العصران الإغريقي واللاتيني على نحس واسع. ويجدر بنا هنا أن نخص بالذكر شاعرين تميزا بإتقان اللغات الشرقية، أعنى فريدرش روكرت وأغومست فون بلاتن، الذي ظل وللأسف مغموراً وإن كاد أن يكون الشاعر الأكثر من حيث الشاعرية والذي كان عطاؤه فاتحة ذلك التمقليد الأدبي الذي سارت على نهجه أنّا ماري شمل لاحقاً. فروكرت كان عظيم التــأثير في أنّا ماري شمل منذ سنوات طفولتها، كما تــؤكد هي ذاتها في سيـرتها الذائية، فــقد كـتبت هناك قـاثلة: "ومن حـيث الأهميـة والتـأثير فــاق فريدرش روكـرت كل الشـعـراء الأخـرين الذين مـلأت أصواتهم صدري بالغبطة والسرور أيام طفولتي وصباي. * وليس ثمــة شك في أن روكرت كان ولا يزال حــتى يومنا هذا أهم شاعر في تملك ناصية ترجمة القصائد الشرقية، لا من حبيث غنزارة المادة فحسب، بل ومن حبيث الجودة اللغوية أيضاً. وكان روكرت قد استلهم الشرق وتأثر به في القصائد التي دبجها من بنات ألحكاره وبوحي من خاطره. وبوسعنا أن نقول أن روكــرت كان القسدوة العظيمــة التي حذت حمدوها أنَّا ماري شممل. إلا أننا نكتمفي الآن بهذه التنويهات، وذلك لأننا مستنظرق، في هذه الورقة، إلى روكرت وأنّا ماري شمل في سياق آخر .

بهذا فيوان الاهتصام الشامل والمصرفة العظيمة والطاقات المتصورة الفاقة هي الملاصح التي صدوت بنهاية ذلك العصم الذي تحدث نهايته بوضاة اثاني تحدث نهايته بوضاة اثاني من القرمة عليه، لم ساري شسط، وفي الواقع، وهذا أصر يؤسف عليه، لم الم المنطقة عليه، لم المرافقة المانية، فلو قادن عشر وحتى نهاية الحوب العالمية الثانية، لادرك، في الحال، عصق وفزارة الحواد الشقائي الذي تميز به النصف الأول من عمق وفزارة الحواد الشقائي الذي تميز به النصف الأول من قالماً بعد ذاته، عطوات كبيرة في المخال، عالم المنطقة عام عده، إلا أنه قالما بعد ذاته، بعدفة خاصة، في الحام طالبة عام عده، إلا أنه وعلى الأمب بعدفة خاصة، في الحام وعلى الأمب بعدفة خاصة، في هذه الحقيقة لم يبد شاعر وعلى الأمب بعدفة خاصة، في هذه الحقيقة لم يبد شاعر وعلى الأمب بعدفة خاصة، في هذه الحقيقة لم يبد شاعر وعلى الأمب بعدفة خاصة، بي الأنه المقرقة. كما لم يكن



أنا ماري شمل في كراتشي سنة ١٩٦١

المستمشرقون الكبار يتوافرون على الإلهام الملغوي الذي أعنى هذا الضعف، لدى المهتمين بالثقافة الاعتقاد بأن بمكنهم من ترجمة الشعر الشرقي، أو لربما لم يشعروا الشرق الإسلامي لم يعد مُعَدثاً ذا شأن وأهمية في الشؤون برغبة داخلية، ملحة تدفعهم لمواصلة ترجمة الشعراء الثقافية. الشرقيين. من ناحية أخرى كاد النسيان أن يطوي الترجمات الشعرية وأن يمحو من الذاكرة الاقتراب والتعارف في المجال الأدبي. ولعل مؤكف غبوته المومسوم «الديوان الضربي .. الشرقي، خيسر مثال على ما نحن في صدد الحديث عنه. ففي وقت متأخر، في القرن العــشرين على وجه التحديد، اكتسب هذا المؤلّف الشهرة التي يستحقها، باعتباره أحد أهم مؤلفات غوته الشعرية؛ ويمكن للمرء أن يشرح التحول الذي طرأ على العلاقة بالشرق على أنه كان تحولاً من سُحَدُّت بحاوره المرء ويستلهم منه _ حتى وإن كان هذا المُحَدِّث هو ذلك الشرق القديم الذي لم يبق منه أثر - إلى مادة يتحدث المرء عنها، أي أن المرء أمسى يتحدث عن الشرق ولكن من دون أن يكون لهذا الشرق تأثير يذكر على طرائق تفكير المتحدث. وتعددت أسباب هذا التحول، بحيث صار بصعب على المرء إيجازها بجملة واحدة.

ولكن، ومهما كمان الحال، فإن الأمر البين هو أنه لم يكن

من محض الصدفة أن يتـزامن تحـول الموقف الالماتي من

الشرق مع استعمار القوى الأوربية الأخرى للبلدان

الشرقية. ولربما كمنت الأسباب الحقيـقية لهذا التحول في

الضعف الذي عصف بالدولة العشمانية؛ فهلذا الضعف

سهل، بلا ريب، استعمار شمال أفريقيا، من قبل فرنساء

لقد كان هذا هو الموقف السائد حينما بدأت أنّا ماري شمل تدرس الاستشراق في جامعة برلين أواخر المثلاثينيات من القرن العشرين. وفي الواقع، لا يوجد سبب خارجي بين يفسر الدافع اللذي حدا بأنًا ماري شمل لأن تتعلم العربية وهي في الخامسة عشرة من عسمرها؛ فلا أبويها ولا معارف أسرتها كانوا على اتصال يذكر بالشرق، هذا إذا ما استثنينا أنها كانت، من ناحية الأم، سليلة أسرة كان أفرادها يجوبون البحمار بدافع المتاجرة. وكانت أنَّا مماري شمل قد ذكرت في سيرتها الدَّاتية، المنشـورة قبل وفاتها بعام واحد، بأنها كانت شغوفة باللغات وأنها كانت قد انكبت، آنذاك، على قراءة بضعة حكايات شرقية. وآثر في نفسها تأثيراً متميزاً الحديث النبوي (الشريف) الذي وقعت عليه في العام السابع من عمرها في سياق قراءتهما لإحدى الحكايات؛ ونص هذا الحديث النبوي المصروف في كل أرجاء العمالم الإسلامي هو أن (الناس نيام، فإذا ما توا استيقظوا). وتصف أنّا ماري شمل في سيسرتها الذاتية البهارها بهذا الحديث النبوي فتقول: "فسي هذه اللحظة عرفت أن دربي

يداً من هنا: لقد أصبح الشرق هـ والهدف، الشرق موطن

الحكمة الخفيـة الغامضة. " وعلى ما أعتقد، فإننا لا نسي.

واستعمار الشرق الأدني، من قبل فرنسا وبريطانيا. وعزز،

إلى ذكرى أنّا ماري شمل، حيدما نقول بأن الشرق كان بالنسبة إليها، دائماً وأبدأ، هو ذلك الشرق الذي دأبت على أن ترى فيمه الموطن الحكمة الخمفية الغامضة. ونحن لا نشك بأن الحكمة الخفية الغامضة تنتشر في الشرق أكثر من انتشارها في الغرب؛ ومع هذا فيان الأمر الواضح هو أن المنظور الذي لا يرى في الشرق غيير موطن الحكمة الخفية الغامضة لن يركز اهتمامه علسى الشرق السائد على أرض الواقع بكل مشاكله وتعقيداته. وحسب اعتقادي يجسد هذا الترابط القائم بين الانبهار بالشرق، من ناحية، والحاجة إلى الهروب من العالم السائد حقاً إلى عالم مُتَخَيل، من ناحية أخرى، سمجية عيزة اتسم بها العصر الذي أنا في سماق الحديث عنه هاهنا، أعني العصر الذي حظى فيه الشرق بالإعجاب. وكان غوته قد عبر عن هذا على نحو نموذجي حينما قال بشأن الدافع الذي يدفعه للاهتمام بحافظ: "إن كل ما صنته وأحطت بالرعاية والاهتمام من مادة ومغزى مشابه (للمــادة والمغزى عند حافظ) نطق به لساني وانبعث من داخلي بقوة فاقت المقوة العظيمة التي كانت تدفعني إلى الهروب من العالم الملموس، الذي أمسى يهدد نفسه بنفسه بكل وضوح، والهجرة إلى عمالم روحي، أحظى فيمه، حسب ما أشاء وبمقدار ما تسمح به عزيمتي وإرادتي، بقسط من الغبطة التي يمنحها. " وإذا ما أخذنا مأخذ الجد ما يذكره غوته وأتّا ماري شمل بشأن الدوافع التي دفعتمما إلى الاهتمام بالشرق، فسيكون بميسورنا عندثذ تحديد خاصية أساسمية من خصمائص العصر الذي يقف غموته في بدايته وتجسد أنّا ماري شمل نهايته. فإذا تأتى الإعجاب بالشرق إبان عصر الباروك من أزمة دامية النتائج ـ حرب الثلاثين عامــا ــ أزمة دفعت علماء عــصر الباروك إلى التفــتيش في الأدب الشرقي عن شيء ينفعهم ويعينهم، كقاعدة وأسلوب لحياة أفضل، على سبيل الشال، آخلين بمؤلف مسعدي الموسوم (روضة الورد) (جالستان)، أو ما سوى ذلك من حكايات تسرقية، فإن الأمر الواضع هو أن الأرسات والأحداث التي تسببت في الإعجاب بالشرق ثانية (بالنسبة إلى ضوته تمثلت هذه الأزمات والأحــداث في التحــولات ألتي أفسرزها العصسر النابليسوني والعسصر اللاحق بهء آسا بالنسبة إلى أنّا ماري شمل ضقد تمثلت هذه الارمات والأحداث، في البـداية، بالأزمة الاقــتصادية الــكبرى في نهاية العشرينات، ومن ثم باستبلام النازيين زمام السلطة، أي أولئك الذين كمان والداها بأخذان منهم مموقفًا حذراً ربريان فيهم همــ عظيماً)، نعم فإن الأمر الواضح هو أن هذه الأزمــات والحوادث مــا كــانت تشكل، في الحــالات العامة، دافعاً إلى التعلم من الآخر، بل شكلت دافعاً إلى الهجرة إلى هذا الآخر بهذا المعنى، وخلافاً للماضي، لم بعد ينظر إلى الشرق على أنه إضافة تغنى العصر المعاش

وتثريه، بل صار ينظر إليه على أنه النقسيض الذي يلوذ به المرء حباً بالأمن ورغبة في النجاة.

وتكمن جوانب القوة والضعف لدى أنّا ماري شمل في أنها لم تنظر إلى الشرق بعين فاحسصة بموضوعية ومدقسقة بتأن وتجرد، بل كسانت قمد دأبت على السنظر إلى الشمرق مررًّ منظور متحمس متحيئ بمين المحب الهاثم بشرق مُتَخَيل، شسرق لا وجمود له على أرض الواقع. على هذا النحمو، أمسى بمستطاعها، من ناحية، أن تهيم بالشرق هياماً شديداً؛ ومن ناحية أخرى، أن تعجز عجزاً بيناً عن رؤيته بكامل جوانبه، ومن يعلم، لربما كان بمستطاعها فعلاً رؤيته رؤية كاملة، إلا أنها ما كانت تريد ذلك، أو أنها ما كانت تريد، أصلاً، تصبويره على النحو الذي تراه. وبمعنى يرفع من مكانتـها ويشهــد على كريم خــصالها ظــلت أنّا ماري شمل متمسكة بذلك التقليد الذي كان يرسم للشرق صورة مُتَّخَيلَة، صورة كانت، في كشير من النواحي، تقليدية (إيجابية). وأود التأكيد على أنى لا أريد طبعاً، حينما أبرر هذه الحقيقة، الانتقاص من شخصية وعطاء أنَّا ماري شمل العلمي. إن كل منا في الأصر هو أنه لا مندوحة لنا من الإقرار بأنه استحال، عسملياً، على جيل أنّا مساري شمل النظر إلى الشــرق من منظور آخر ـ تمامـــاً كمــا كان الحـــال بالنسبة إلى الأجيال الستى سبقتها أيضاً. وتجعل هذه الاستحالة العملية، التي حالت دون معايشة الشرق معايشة مختلفة والنظر إليه من منظور آخس، نعم تجعل هذه الاستحالة، بالذات، أنَّا ماري شمل ابنة لذلك العصر الذي قلت عنه، في مطلع حديثي، بأن فجره بزغ بغوته. ويمكن للمرء أن يسوق تفسيراً مهماً لهذا الموقف، أي أن يسوق تفسيراً للسبب الذي جعل، عملياً، من المستحيل النظر إلى الشرق من منظور آخر غيسر مُتَخَيّل. ومع اعترافنا بأن هناك أكثر من سبب، إلا أننا نرى أن السبب المهم جداً كان يكمن، وبكل بساطة، في أنبه ما كان بمستطاع المرء السفر إلى الشمرق ورؤيت عملي أرض الواقع. ويوسعي، أن أردف، كتكملة لهذه الحقيقة، زاعماً أن هذا العصر، الذي انتـمت إليه أنّا مـاري شمل، قـد بلغ نهايتـه منذ حين من الزمن. فكما هو محروف، فإن السفر إلى الشــرق لم يعد يشكل مشكلة. ولربا أدركنا أهمية هذا السبب، حيثما نقارن الحال السائدة حالياً بالحال المختلفة تماماً التي واجهتها أنَّا ماري شمل. لقد تزامن صباها مع أكثر الحقب ظلاماً في التماريخ الألماني. ولكن، وحستى وإن تجماهلنا السلطة النازية، فقد كان السفر إلى الشرق أمراً غير محتمل كلية بالنسبة إلى ابنة موظف في مرتبة متواضعة، كما وكان تعلم العربية، في مشوات عمرها الباكرة، موضموعاً يدعو للتعمجب والاستخراب. لقد كان بمقدور أغني الأغلياء ورجال الأعمال، فقط، السفر إلى الشرق. أضف إلى هذا

إن المره العمادي، وخلاف لما عليه الحمال في يونا هذا، حيث أحسى يستحيل على العروض الإخبارية والوارمج السياسية أن تتجاط الإخبار التحقاقة بالشرق، وما كان يسمع من أخبار الشرق إلا ما ندر ألناك. في تلك الحقية من الزمن، ومن وجره عليلة، ما كان الشرق عالماً قائماً حقاً وضعلاً، بل كمان عمالاً بعيماً بمدد اليونان القمدية والإمبراطورية المرومانية، عالماً من اختصاص علمه اللغات القديمة لا غير. وإذا ما صاحف وأن كمان الشرق مادة إخبارية، فما كمان ذلك إلا في سياق نزاع بين القموى العظمى وليس كماله لم وجود سياسي خاص به.

وكمانت أنّا ماري شمل في الشلاثين من العممر حينما سافرت، لأول مرة، إلى الشرق. وكان الهدف من سفرها إلى هناك هو التدريس في اسطنبول لمدة صتـة أعوام .ولا مراء في أن أنّا ماري شمل، وإن كانت لم تعد شابة مبستدئة، قد سبسقت برحلتها هسذه، وبما انطوت عليه هذه الرحلة من معايشة مباشرة عميقة للشرق، عصرها وياقي جيل المششرقين السابقين عليها. فغالبية المتشرقين من أبناء الجيل السابق على الحرب، وأبناء أجسيال القرن التاسع عشر، على وجه الخصوص، ما كانوا قد أقاموا في الشرق لحين من الزمن؛ لا بل أنهم ما كانوا قسد سافروا إلى هناك أصلاً. وواصلت أنّا ماري شمل رحلاتها حتى بعد انقضاء فترة تدريسها في أنقرة؛ بهذا فلا شك في أنها فاقت غالبية زملاتهما من حيث الاطلاع على عمالم الإسلام ومشاهدة معالمه. وبناءاً على هذه المعايشة العملية للعبالم الإسلامي (وهي معايشة لم تفلح، طبعاً، في حفرها على التحول من الصورة المثالية التي رسمتها للشرق)، يمكننا اعتبار أنّا ماري شمل رمزاً لمتعطف مهم، أي يمكننا اعتبارها الشخصية التي أمست علماً على نهاية عصر وبداية عصر جديد. ولإقامة البـرهان على هذا يمكننا الاستشـهاد بالمهام الأخرى التي نهضت بها، مهام كانت، في منظورنا، نيرة وغاية في التقدمية في العديد من المناحي. فخلافاً لغالبية رمالاتها من المستشرقين، لم تكتف أنّا ماري شمل بالتدريس والبحث فحسب، بل كانت قد وظفت طاقاتها في تعريف أبناء جلدتها بعالم الإسلام، تماماً كما فعل الرومانسيون ذلك فيما مضمى من الزمن. ففي الفترة الواقعة بين الخمسينات والسبعينات كادت أنّا ماري شمل أن تكون المترجمة الوحيدة للشعر الـشرقي في المانيا. فلولاها لظل هذا الأدب مسجهسولاً عند القــارئ الألماني. والأمر الذي يجلب الانتباء هو أن أنّا ماري شمل لم تكن مطلعة على الشعر الشرقى الحديث فقط، بل أنها قامت بترجمة قصائد منه أيضاً؛ وكان هذا الحــدث، أيضاً، وبلا ريب، سمة لا مثيل لها في تاريخ الاستشراق، ويرهاناً اكيـداً يشهد على المدى الذي سبقت به أنّا ماري شمل عمرها. ففي حين

كانت تطأ بإحدى قدميها أرض المستقبل، أي أرض حاضرنا السائد حالياً، كانت لا تزال تـقف بقدمهـا الاخرى على أرض القرن التاسع عشر بثبات وفي عمقه. فجذور مجمل ثقافتها الروحية كانت تمتد إلى هناك. حقاً كان هوقمانستال وريلكه أحمدث الشعمراء الذين قرأت لهم، إلا أنهما ظلت تخص، بتبجيلها العظيم وتقديرها الرفيع، روكرت، كما سبق لنا أن نوهنا. ويلمس المرء هذه الحقيــقة من خلال ما قامت به من ترجمات. فالغريب هو أن أنّا ماري شمل قد ترجمت الشعر الشرقي الحديث وفق السجية التي تميز بها روكرت، أي بسجية القرن التاسع عشر. فغالبية هذه الترجمات ترن في الأذن الألمانية، حقاً، كما لو كانت، من حيث الجودة ومن حيث الضعف، من ترجمات روكرت؟ فلغة روكرت تنطوي، في كمثير من الحالات، على رئين يكاد أن يذكرنا، في يومنا هذا، بأساليب أكل الدهر عليها وشرب. وفي حين راحت أنّا ماري شمل، سمعياً منها إلى تعريف القارئ الألمائسي، تترجم بحسماس قصائد بعض الشعراء الشرقيين من أبناء جيلها، كعبد الوهاب البياتي، الشاعر العراقي المصرف والذي كان يصغرها بأربع سنواتء إلا أنها لم تعثر، أبداً، عملي أي جسر يسريطها بالشمراء الألمان الكبار من أبناه جيلها. من هنا، لا عجب ألا تساير لغتها لغة العصر الذي تحيى قسى كنفه وألا ينسجم مفهومها للشعر مع طابع هذا العصر أبداً في الواقع الملموس.

والمؤسف هو أثنا نعجز، في هذه العسجالة وفي هذه المساحة الضيقة المتاحة لناء أن تستعرض مجمل الجهود العظيمة التي بذلتها أنَّــا ماري شمل. ولكن، ومهــما كان الحــال، فهي كانت قد قدمت، في سياق هذه الجهود، التي أثمرت على ما يربو على ماثة كتاب منشور، خدمة جليلة الشموف الإسلامي، على وجه الخصوص. فباهتمامهـــا المركز هذا كانت قــد عُرَّفَت الكــثيرَ من النــاس بموضوع من مــواضيع الثقافة الإسلامية غاية في الأهمية، موضوع كان الاستشراق في ألمانيا قد تجاهله علمي مدى فترة طويلة من الزمن. وكان تركيزها على الجوانب الروحية في الإسلام قد منحها الحرية لأن تتنصل، على نحو خفى ولكن أكيد، من التيارات التنقليدية في الإسلام. من هذا المنظور وفي سياق هذا التنصل لا مسراء أن في أن بوسعنا أن نرى في عطاء السميدة شمل موشراً على تطورات مستقبلية . كما كان اهتمام السيدة شمل بالإسلام في الهند وباكستان أمراً ليس معتاداً بالنسبة إلى الاستشراق الألماني الشقليدي. فيهلذا الاهتمام كانت السيادة شمل قد تبهت إلى أن منظور السلمين للإصلام يتباين تبايناً ما كان بمقدور البحث العلمي التقليدي الإحاطة به؛ فمهذا البحث كان يركز جهوده علمي أقاليم الإسلام التقلسيدية، أعنى مصر والهسلال الخصيب وإيران. ويجدر بنا، أخيراً ولسيس آخراً، الإشارة إلى أن أنّا ماري

شمل نادراً ما كانت تتوجه بكتاباتها إلى ذوي الاختصاص فشعاء فناليبة مؤلفاتها كمانت موجهة إلى الجمهور العريض إيضاً. فيسالنسبة إلى كثير من الناس كانت كتب أنّا ماري شمل شماية مناخل يجهد فهم التعرف على الإسلام. وفي الواقع ما كان هناك مستشرق للانهي يضاهيها من حيث عدد القراء والقارئات. من هناء بركل إيجبار، ليس هناك أحد الدى ما ادتبه أنّا ماري شمعل في المانيا بالنسبة إلى شسر لارسلام الإنباء قرمها وتعزيز معرفتهم به. وهكما فقد كُومَت عن حق واستحقاق حيدما منعد عام 1940 جائزة تصير من أشهر الجوائز التي يكرم بها الكتاب والملقفون في المانيا، أعنى جائزة السلام التي يتسها ناشرو الكتب الآلان.

ولكن، لم قلتُ في مطلع حديثي أن عصراً معيناً من عصور العملاقة بين الشرق والغرب قد أشمرف على نهايته بوفاة أنَّا مباري شمل؟ وحينمنا يأخذ المرء جهنود أنَّا ماري شمل كافة في الحسبان، ألا يتعين علينا أن نَخلص إلى نتيجة مفادها أنه ينبغى علينا أن نواصل جهودها وعملها وأن نسير على نهجها معلنين ذلك صراحة ومعترفين به على رؤوس الأشهاد؟ لا مراء في أن بوسعنا أن نفعل هذا كله. إلا أنْ ثمة مخاوف تساورني، مخاوف من أننا، بمسعانا هذا، سنفقد المنظور الشمولي الذي نستطيع من خلاله وضم يدنا على الإشكاليات الجـــديدة الحاصة بعصــرنا، والتعرف على الإمكانيات الجديدة الشعلقة بالحوار بين الثقافات. فبالرغم من إشادتنا بمطاء السيدة شمل، لا يجوز لنا تجاهل الحمدود التي أحماطت بهما العطاء. ولا ريب في أن هذه الحدود كانت من إفرازات العصر الذي أنسب أنّا ماري شمل إليه وأنا واثق من أنها لن تشعر بغضاضة حينما أنسبها إلى ذلك العصر الذي أود أن أرسم ملامحه هاهنا ثانية .لقد بزغ فجمر هذا العصر في تلك اللمطات التي انتهى فيسها تهديد الدولة العثمانية لأوروبا. فبعدما دُرىء الخطر أمست أوروبا على علاقمة مختلفة بالشرق واكتسب اهتمامها به صيغــة جديدة. فانطلاقــاً من مشاعــر التفــوق التي عمت الغرب بدأ المرء يهتم بثقافة الشرق وصار يحيط علما بأن الشرق، بنحو ما، جزء من تاريخ الغرب ـ وذلك حينما أدرك، على سبيل المثال، بأن الشرق جزء من تاريخ الكتاب المقدس. وسرعان ما راح الغرب يسمى جاهداً لالتهام هذا الشرق، التهامه حقاً وحقيقاً من خلال الاستعمار، والتهامه بالمعنى المجازي لهمذه الكلمة من خملال ترجمة واستلهام نصوصه المشعرية. وهكذا كان الشمرق، من خلال التمهام آدابه ترجمة واستملهامأ ومن خلال التهام بلدانه استعماراً، قد غـدا، ومن دون الخوض في التفـاصيل، فرصة تعكس الذات، صورة للهيئة التي تريد أن تكون عليها النفس، تجسيــداً للرؤى والتصورات الذاتية (وطبــعاً لا ينفي هذا أن المرء قد أضفى على هذه الـفرصة سجايا غـريبة جدأ ونظر

إنها من خسالال متظور شديد التطرف)؛ أضف إلى هذا أن الشرق كمان قد أسمى مرتماً خصباً للتَسخيل. من هنا لا الشرق كمان قد أسمى مرتماً خصباً للتَسخيل. من هنا لا يلعب غوته، في مرحلة من مراحل إنتاجه، دوراً يقهوه كما أو غوته قد كان شوقياً. ولا مراه في أن غوته قد كان على وعي تام بأنه يلعب دوراً لا غير، ولذا فيانه سرعان ما على وعي تام بأنه يلعب دوراً لا غير، ولذا فيانه سرعان ما الكثير من المسلمين ياخلون لعب غوته لهذا للدور مساخل الكتير من المسلمين ياخلون لعب غوته لهذا للدور مساخل الجذ، فتراهم يزعمون وهم والقون بأنه كان مسلما).

وأثا ماري شسيل ، أيضاً ، تقصمت الشرق بالطريقة التي
تناسبها . فقيد دابت على مناصبة لعب دور المسلمة . وفي
الواقع ليس هناك مستشرق (الو مستشرقة) غربي تشبع
بالكار المادة التي يوسيها بالقشاد اللتي تشبحت به أثا ماري
بالكار المادة التي يوسيها بالقشاد اللتي تشبعت به أثا ماري
نصرائية الدين بروتستانتية الملهب، إلا أن شرحها للتقاف
الإسلاسية انظوى على الحرارة والقسوة اللتين لا يتوقعهما
للماء عادة ، إلا من مسلمة قرية الإيجان . ولم تتأت القيود
للفسروضة على أثا ماري شسمل من عجز في الإدراك أو
عيب في البعيرة ، بل تألت من نقص في وضوح الانتقاء
عيب في البعيرة ، بل تألت من نقص في وضوح الانتقاء
ماري شمل ، للما أسبى دورها كملة وصل محصورة داخل
حدد معنة .

وتنطقق أنّ صاري شعل من منظور مشالي يفترض إمكانية التصايش السلمي بين الحسفارات. بهذا يُمسي النزاع مع الأخرين حالة شاذة، يُمسي خورجاً على الفاحدة وحدثاً عارضاً. وفي الراقع، القدد ألبت الاستقطاب بين الشرق المرحب أن تبرير تقارب الحضفارات بأفكار تدهوا إلى الانسجام والوثام لا فيسر، كان، دائم أوبلداً، أصنية ليس الانسجام والوثام لا فيسر، كان، دائم أوبلداً، أصنية ليس عشر من أيلول/ سبتمبر وما تيم هذه الحوادث الحادي أمست غالبية الناس تمي أنه لا جدوى من التفاهم المبادل من دون إصعان الفكر بالأصور المهددة للتعايش بانسجام ووثام ومن دون مناه المساقلة عناسي الحسطر هاد. من هناه فيلماننا أن تؤكد بشأن الصفة المهزة للحوار والتبادل يلي.

الأسر المطلوب الآن هو الحسف الظ على الوعي بمناحي الاختلاف، الوحي بما يفصل بين التفاقات. كما يتمين تقبل المختلاف، المن علما يتمين تقبل المامية عليه أما بشأن المامية عليه أما بشأن يقرد كل ملمة علمه المناقبة أمامية عليه المامية بين الواقع، فإن هذا أمر يجب أن يقرد كل طرف بنضمه وأن يترك تحديد له بكل حرية. وفي الواقع، فإن هذا هو مكمن الإشكال: ففي حصر العمولة لم تعد الحدود الفاصلة بين السقافات بينة واضحة المسالم، بل أصحت عناصر النشافات تساخل وتضاعل على نحو



فهانحن نستمع في ألمانيها إلى الموسيقي الإيرانية، وهاهم الإيرانيون في طهران يقودون السيارات الألمانية. وتفرز هذه التطورات حالة تتسم بالتناقض. ففي تلك اللحظة التي لا تكفى فيسها مواظبة كلا الطرفين على تأكيد حُسن النوايا وتجاهل وجود العناصر الحالقة للتباين، نعم في تلك اللحظة ستسأخذ عناصر التباين في الانتقال من ثقافة إلى أخرى والدبيب فسي داخلها دبيبا يؤدي إلى تلاشي مناحي التباين القائسمة منذ قرون وقرون. فالإسلام، الذي يسعى الغرب جاهداً لأن يتخـذ حياله موقفاً واضـحاً، غدا جزءاً من الغرب ذاته بفعل الحشد الغفير من المهاجرين القادمين من البلدان الإسلامية. فلقد أمسى لهؤلاء الماجرين صوت يشارك في تحديد هوية الغرب؛ بهذا المعنى فهم جزء من عالم الغرب ومن عالم الإسلام في آن واحد. وأمست الحال في العالم الإسلامي على شبه من هذا، ولكن على نحو معكوس طبعاً. حقاً لا وجود هاهنا لـ المهاجرين من الغرب، إلا أنَّ السلم والأفكار الغربية، على وجمه الخموص، هي التي تهاجر؛ وكما هو بين تلعب هذه السلع والأفكار دورًا، مسواء بالمعنى الإيجبابي أو السلبي،

مهمـاً في حياة الناس هناك. وهكذا، وسواء رضينا بذلك

أم أبيناه، لم يعد هناك وجود اللنقاء الثقافي. بهذا، فنحن حينما نمعن النظر في ثقافة أخـرى فإن جهدنا هذا لن يسفر

عن نتائج مهمة إذا ما تناولنا، شرحاً وتقبيماً، مجملها،

أنَّا ماري شمل في السند مع مجموعة من النساء

أي إذا ما تناولناها كما أو كانت نشاقة خالية من عناصر التشافات الأخرى، انطلاناً من ها المنظور لا يكننا إيداء الرأي يجمعن البناور كان يجدل المنافاة، بل بجانب من جوانبها لا غير فعلى سبيل المثال، ليس لمنة شيء أغيى واكثر خطورة من اعتبار الأصولية الإسلامية هي الإسلام بعينه. ولا يقل عن منا فياء وخطورة غني أن هناك أصولية تسمى إلى تحسقين أمالها مستخدمة للمنف. وعلى نحو معكوس يسري هذا، أهدانها مستخدمة للمنف. وعلى نحو معكوس يسري هذا، ينطوي لمن السولية على صنف وغياء. فالمطلوب منا هو أن

وفي سياق سمينا لتحقيق الهمدف المشود، أهني الوصول إلى تمايش سلمي بين الحضارات وخلق علاقة تطوي على الهام متبادل، لا مراه في أن يوسعنا، في سياق ملا كله، ويرغم نقدنا لاثا صاري شمل، أن نستمد الصون منها في المتابم الأول. من هنا يحسب بنا، فعلاً، أن تخلله ذكراها ونلكر محاسئها القيمة دوراً.

ترجمة: علنان عباس على

نص محاضرة القيت في معرض الكتباب بطهران بمتاسبة ذكرى وفناة إنّا مارى شمل. كلاوس كريس Claus Kreß

أمريكا والمحكمة الجنائية الدولية خلفيات وأبعاد قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٤٢٧

لم يحط تبني مجلس الأمن الدولي للقرار ٢٤٦١، بعد قيام الإدارة الأمريكية جمارسة ضغط شديد على الدول الأعضاء، بالاهتمام الكافي من قبل الرأي العام العالمي، وهم أن أبعاده وتداحياته المستبلية عمل جوهر قضائية القانون الدولي. كالاوس كريس، الأستاذ في جامسة كولونيا والشخصص في القسانون الدولي. والجنائي والعضور للشارك في الوفد الألمائي، الذي ساهم في صياغة معاهدتها التأسيسة، يحالم الصراح الحاد حول صلاحيات هذه للحكمة الحنيدة الإنشاء

في الأول من شهير تحور/ يوليو عام ٢٠٠٠ اصبح النظام الاساسي الكون من للمحكمة هي الأولى من المحكمة الجنائية المداينة نافد المعرف هم الأولى من أوجها المحكمة الجنائية المداينة المحامة أو الواسعة النظاق، إذا يترام ضد الإنسانية، جراتم الإبادة الجماعية وجراتم الحوب الواسعة النظاق، إذا محكن المنابئة على المحتصمة في دولهم طير قادرة أو مستملة للقيام بالملك. الاداري من وشعا لكونها تطمع إلى شمولية ودعوه عملها الامريكية الحالية، ويشكل مناقض للغاية مع مرقف أطلبية الامريكيين، ترفض عملها المحكمة المنابئة من روعها لكونها تطمع إلى شمولية ودعوه عملها الجنائية الدولية مسرح الاحداث العالمية، عن قامت الإدارة الأمريكية بممارسة بأمنا المحكمة عناصة فيما يتعلق برعايا الدول غير الموقمة على الاتفاقية التأسيسية ملم المحكمة عناصة فيما يتعلق برعايا الدول غير الموقمة على الاتفاقية التأسيسية ملم الدول الثالث وقد مسجلت اتتابح هذا الفيضلة أي في تبني مجلس الامن الدول المراد الثالث وقد مسجلت اتتابح هذا الفيضلة أي في تبني مجلس الامن الدول المراد الثالث وقد مسجلت اتتابح هذا الفيضلة بأي في تبني مجلس الامن الدول المراد الثالث وقد مسجلت الاصفة المحادة المالية المدولة بالجراء والمائي المدولة المنابع بأجراء والمائية الدولة القيام بإجراء مقيلة مقادلة للاصفة المواد المنالة المدولة وقدلك المدحدة وذلك المناحة وذلك المناحة وذلك المناحة وقدل للدول المواد المنابع المناحة المنابع المناحة المنابع المناحة المنابع المناحة المؤدلة المناحة المنابع المناحة المنابع المدولة الناطة وذلك المناحة وذلك المناحة وذلك المناحة وذلك المناحة المنابع المناحة المنابع المناحة المنابع المناحة المناطقة المناطقة المناطقة المناحة المنابع المناحة المناطقة المناطقة المناطقة المناطقة المناحة المناحة المناطقة المن

الجذال المحاد حول قرار مجلس الأمن ۱۶۲۳ يكي اعتباره يماية السلورة العليا للتزاع بين الحكومة الأمريكية والأغلية العظمى للمجتمع الدولي حول ترسيخ هامد المحكمة، هذا التصميد الحاد في أسلوب المواجهة يمكس أهمية هامه للمحكمة، وجسامة للتغيرات المسوقعة، ولللك سنقرم بعرض تضميلي للمحجج القانونية الخاصة بصملية إرسائها والتعليق عليها لتسليط الفسوء على أبعادها وعواقبها المستقلبة.

القانون الدولي وقضائية الحكمة الجنائية الدولية

الماهدة التأسيسية للمحكمة الجنائية الدولية تخولها - يصورة عامة - صلاحيات الشيام بإجراء تُعقيقات للاجفة جرائم ارتكبها صواطنو دول موقعة على هذه الشاهدة أو جرائم ارتكبها أصواطنية فيف الذا يعني أن المناهدة أو جرائم الدول غير الموقعة على مصاهدتها التأسيسيسية في حالاً ويتمام المناهدة المناسبية في حالاً والدائم جرائم ضدا الإنسانية جرائم إلذات شعوب وجرائم حرب الخرى على الأراضانية المناسبة الشائمة اللذكرة أنقاً، هذا المنظمة الشائماتية الذكروة أنقاً، هذا المنظمة الشائماتية

تم التوصل إليمها بعد مفاوضات صعبة وطويلة مع الوفد الأمريكي، الذي استغل مسوقع الأرجحية المطلق الذي باتت الولايات المتحدة تتمتع به، للحيلولة دون الوصول إلى هذه النتيجة. الصراع الشائك للوصول إلى صيغة مشتركة لنص المعاهدة التأسيسية وصل إلى طور دراساتيكي في الأسبوع الأخير لمؤتمر روما في صيف ١٩٩٨، حيث قام الوف الأمريكي برفيض اقتراح كسوري، أبده أكثر من ثمانين في الثة من الوقود المشاركة، يخوُّل المحكمة صلاحيات واسعة لملاحقة رعايا الدول غيسر الموقعة على نظامها التأسيسي الدول الثالثة؛، خاصة إذا كسان ضحايا الجريمة من رعايا الدول الأطراف في المساهسدة. والأهم من ذلك إذا قبامت هذه بتقديم الحماية للمشتبه بهم. الوفد الأمريكي قام برفض الاقتراح الكوري، لأنه لم يف بمطلبه الرئيسي، وهو إرساء حق كل دولة في رفض مسلاحقة رصاياها في كل حمالة انفرادية. الليلة الختامية لمؤتمر روما شهدت جولة دراماتيكية نهائية؛ لأن الوقد الأسريكي قام بتركسيز كل جسهد، على ضمان حق الدول التي لم تصدق على النظام السأسيسي للمحكمة، في رفض الملاحقة المقانونية لمواطنيمها، ولكن بدون نجاح . وأخيراً تم قبول االصسفقة النهائية، في روما من قبل الأغلبية الساحسقة لدول العالم ضد أصوات ست دول، من ضمنها الصين، إسرائيل والولايات المتحدة.

لم تمر فترة وجيزة بعد انتهاء مؤتمر روما حتى قامت الحكومة الأمريكية بنشر ادهاء مضمونه أن صلاحيات المحكمة الجنائية الدولية تُشكل انتهاكاً لأبجديات ومُسلمات القانون الدولي، وبررت هذا الادهاء بالإشارة إلى المُسلمة القانونية الأساسية التي تنص على أن الواجبات القانونية الناتجة عن أية معاهدة المحكمة الجنائية الدولية تمتلك صلاحيات لماقية مواطني الدول التي تصدق على معاهدتها فقط. هذا أود القول، بكل احترام وتقدير: إن وجهة النظر الأمريكية تتعارض مع وجهات نظر أكثر من ١٣٩ دولة قامت بالتوقيع على المعاهدة التأسيسية لهذه المحكمة. علاوة على ذلك فإن مشروعية المحكمة لا تشكل اختمالة الواجبات جمديدة من نوعها على حسباب الدول التي لم تصدق على مصاهدتها، وإنما تُشكل تجميعاً للحضوق التي تتمتع بها كل دولة بصورة منفردة. ما يجب الوفاء به لطرح إمكانية الشك العقلاني المقنع في شرعية صلاحيات هذه المحكمة، هو وجود حظر واضح لمنع التطبيق الجماعي لهذه الحقوق غير القابلة للنكران. من ناحية مبدئية فإن هيكلة النظام القضائي للمحكمة الجنائية الدولية تقوم على مبدأين معترف بهمما في نطاق القانون الدولي، وهما: مبدأ الاختصاص الإقليمي Territorialität ومبدأ الاختصاص الشمولي «العالمي» Universalität ويمكن قراءة ملامحهما في الآتي:

ـ مبدأ الاختسساص الإقليمي ينعطي كل دولة الحق في ملاحقة ومعاقبة كل أجنبي قام بانتهاك قوانينها على أراضيها الإقليمية.

الإقليمية. - مبدأ الاختماص الشمولي (قانون الصلاحيات الدولية) يخول كل دولة الحق في مسلاحقة مرتكبي جراثم ضد الإنسانية وجراثم الحسرب الواسعة النطاق، وذلك بمعزل تام عن مكان ارتكاب الجريمة وجنسية المجرم أو ضحيت. جوهر هذا المبدأ، حسب المفهوم العمام لآليات القمانون الدولي، يكمن في طبيعة هذه الجرائم التي تمس صميم شرعية القانون الدولي و «ماهية؛ التعايش البشري ككل. بالإضافة إلى ذلك فإن المحاكم الأصريكية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية أسهمت إسهاماً كسبيراً في بلورة وإرساء هذا المبدأ كأحدى قواعد القانون الدولي. والجدير بالذكر في هذا السيماق هو أن القاضي الأمريكي الوامسع الحبوة والعامل في محكمة المعدل الدولية بورفنتال Buergenthal أكد بمشاركة زميليه القاضيين هيغنس Higgins وكومويانس Kommaijmans شرعية سريان مضعول مبدأ الاختصاص الشامل في تقرير عام أصدروه بخصوص نزاع بين الكونغو وبلجيكا. استناداً إلى هذه الآراء فإن وجمهة النظر الأمريكية تعتــرف، وإن كانت على مضض وبكثــير من الشك، بحق كل دولة في تطبسيق القنانون الدولي بمقنضي منفسهومنه الشمسولي. وعلى ضسوء ذلك، فإنه لا توجيد أية ضرورة قانونية لتبرير التطبيق الجماعي لمعايير قانونية ممعترف بهاء كما أن الموقف الأمريكي لم يستطع الاستشهاد بواقع القانون الدولي وشفافية إجماع القانونيين في هذا الصدد. ومن هذا المنطلق فإن أي تسقييم آخس يجب أن يكون مثيسراً للتناقض الشديدة لأن مملحة المجتمع الدولي تكمن في الملاحقة الفعالة لهذه الجرائم البشعة، وتنطبيق ذلك سيكون أكشر ضماناً إذا تم القيام به من قبل منظمة دولية تتمتع بالشرعية والشمولية كأداة مثالية لتحقيق هذا الهدف. الملفت للنظر هنا هو رد قمعل الإدارة الأمريكية التي لم تضابل هلمه الحسجج بالاستهجان المتوقع، رغم مواقفها السياسية معروفة تجاه هذه للحكمة. من المعروف حق المعرفة، كـأحد أبجديات جوهر القانون، أن الإدراك البرهاني التنفريقي لموضوع ما هو الطريق للوصول إلى مغزاه، ضعلى أرض الواقع لا يمكن تجاهل الحقيقة السياسية التي تؤكد على أن عسمل المحكمة الجنائية الدولية لن يكون مـلاحقة لأفراد فقط، وإثما تقسيماً لسلوكيات دول. ولهـذا يتم المطالبـة من قبل المعـارضين للمحكمة بتغيير آلبات عملها، وتبنى مبدأ الحل الوسط المتبع في التعامل مع النزاعات الحدودية. الإجابة على هذا المطلب بسيطة ومقنعة في أن واحد، لأن تطور مبدأ الاختصاص الشامل لا يشمهد بتجماهل الواقع السياسي الملكور أعلاه، وإنما يُجَّسُد نضوج الوعي البشورط؛ دول في ارتكاب هذه

الجواتم البشعة. ولان أغلبية الجرائم هي جرائم مرتكبة بشكل مباشر من قبل دول معينة، فإنه ليس بديهياً ومنطقياً للمن تقوم هملم الدول فالمشتبية، بها بالملاحقة الشائونية اللزيهة للمشتبه متهم من رعاياها. وبإيجاز شديد فإنه يمكن القول إن الاستسراح الأمريكي، الذي يعطي كل دولة لحق أفى في رفض ملاحقة رعاياها في كمل حالة فردية، مسيودي إلى فقصان للحكمة الجنائية الدولية لفحاليتها كاداة مناصبة لمحاكمة مرتكي أموا الجرائم وحشية في العالم.

رختـاماً للجزء الاول من هذا التحليل يمكن استخلاص التي: حسلاحيات للحكمة الجنائية الدولية، المحلودة للأسف، ما يسعلق بالدول التي لم تصدق على محاهدتها التأسيسية، مسايرة للقانون الدولي، وقائسة على عقلاتية مقتمة واوراك سليم لقواهد السياسة الدولية.

قرار مجلس الأمن الدولي ١٤٢٤ والقانون الدولي في الواحد والشانون الدولي ليسمبر عام الواحد والشانون بالرولي على الماحدة التأسيسية للمحكمة البنائية الدولية، عا أعطى بصيمة من الأمل في إمكانية إيجاد صيغة للتمايش السلمي بين هله للمحكمة والولايات التحدة.

لكن معارضة الإدارة الأمريكية لعمل للحكمة ازدادت بشكل واضح تحست إدارة الرئيس بوش الابن، الستى الغست، في خطوة غيسر اعتبادية، توقيع الرئيس كلينتمون على المعاهدة التأسيسية للمحكمة، وهددت بعرقلة بعيثات الأمم الدولية الواحدة تلو الأخرى، إذا لم يتم إعفاء الجنود الأمريكيين من المثول أمام المحكمة الجنائيسة الدولية. الإدارة الأمريكية قامت لاحقماً بأخذ زمام المبادرة، وهددت باستخدام حق النقض الفيستوا لمنع تمديد التفويض الدولي لقوات حفظ السلام المتعددة الجنسيات في البوسنة . الوفد الأمريكي قام بالاستناد إلى المادة ١٦ للنظام التأسيسي للمحكمة الجنائية الدولية والتي تنص على الآتي: "في حال قيام مجلس الأمن بتوجيه طلب إلى المحكمة الجنائية الدولية، استناداً إلى الفصل السابع لميثاق الأمم المتحدة، فإنه لا يجوز القسيام بإجراء تحقيقات أو ملاحقة قانونية وفسقأ لمعاهدة المحكمة الجنائية الدولية لمدة ١٢ شمهراً، وهناك إمكانية لتحبديد هذا المطلب تحت نفس الشروط. " هذه المبادرة الأمريكية شكَّلت استفراراً صارحًا لأغلبية الدول التي صدقت على المعاهدة الإنشائية للمحكمة، وأدت إلى نوية غضب عارمة عبر عنها السكرتير العام للأمم المتحدة كوفي عنان في رسالة فريدة من نوعها، وجهها إلى وزير الخارجية الأمريكي كولن باول، قائلاً فيها: "إن المنهجية المقترحة تتناقض بصورة صارخة مع نص العقد الموقع عليه من قبل الدول الأطراف في المعاهدة الإنشائية، لآنه سيجبر هذه الدول على قبول قرار يغير هذا العقد. كلى

أمل أن تتفهم وجهة نظري لأن مصلحتنا المشتركة تحتم علينا الحيلولة دون فقدان محلس الأمن لمصداقيت وسلطته الشرعية. " وفي مناقشة جدلية تمتعت بقدر كبير من الشفافية عقدت في مجلس الأمن في الماشر من يوليو/ تموز عام ٢٠٠٢ قامت دول كمثيرة بالتمشديد على رفضها للاقتراح الأمريكي. السفير الأردني لدى الأمم المتحدة عبر عن استبائه بطرحه السؤال التالى: "كيف يمكن لمجلس الأمن تبنى هذا القرار، بناءاً على الفصل السابع لميئاق الأمم المتحدة، إذا لم يكن هناك أي تهديد للأمن والسلام في العالم؟ " السفير الكندي أعرب عن تَخوف بلاده من إشكالية قانونية جديدة، لأن بلاده " ستواجه وضعية قانونية لم يسبق لهما مثيل تحتم عليها اختبار شرعية قرار المجلس. " لكن الإدارة الأمريكية أصرت على جوهر مطالبها، وكررت التهديد باستخدام حق الفيتــو في محاولة ابتزاز واضحة للمــجتمع الدولي. الموقف المتعنت للإدارة الأمريكية، والتأييد المطلق له من قبل المملكة المتحمدة أدى إلى الرضوخ؛ الدول الرافسضة له وتبني القمرار ١٤٢٢. وكانت ردود الفعل الرسميسة على تبني هذا القرار متباينة ومسدهشة للغاية. السكرتير العام للأمم المتحدة كوفي عنان أعرب عن "ارتياحه العميق" للوصول إلى هذا الحل الوسط، رغم أن هذا الارتساح يتناقض نصاً وروحاً مع محتسوى خطابه المرصل إلى وزير الخارجيمة الأمريكي خلال مرحلة التبصويت. الرئاسة الدورية لسلاتحاد الأوروبي والتي كسانت تحت رحاية الداغارك وصفست تبنى القسرار بأنه "إيجابي"، مما يمثل لغرزاً يصعب فهمه ا وفي تناقض حاد ومثير للانتباء لردود الفعل المذكورة أعلاه، طلبت نيوزيلندة، البرازيل، جنوب إفريقيا وكندا من دول العالم رفض مسودة القرار متسائلة عن ممدي ممشروصيتم وذلك قبل طرحم للتصويت. التحالف الدولي المؤيد لعمل المحكمة الجناثية الدولية، والمكون من شبكة عمل لأكشر من ١٠٠٠ منظمة غيسر حكومية استخدم لغمة واضحة لملتعبير عن استسياله الشديد، قائلاً: "لقد تم إلحاق الضرر بهيبة مجلس الأمن الدولي، لأنه تجاوز الصلاحيات المخولة له. لقد كمان من العار على الدول المصدقة على المعاهدة التأسيسية للمحكمة الجنائية الدولية، السماح بتجاهل ميثاق الأمم المتحدة وانتهاك القانون الدولي. "

وفي نفس الاتجاء صب النقد اللاذع الذي وجهه وصعاء البرنامج البرلماني للدفاع عن صقوق الإنسان والفانون الدولي، وهي منظمة ناشطة نفسم أكثر صن ١٣٠٠ برلمانيا من ١٠٣ دوله، حيث كتمبوا معبرين صن سخطهم: "لقد قمام صحياس الأمن الدولي بإلحاق الفصرو، لي بالم بلمحكمة الجنائية الدولية والفانون الدولي ولكن أيضاً بهيئه وشرعيته، وذلك لأنه قام بتجاوز صلاحياته وتغيير معاهدة دولية متعددة الأطراف."

ولكن بقول القرار 1871 من قبل المجتمع الدولي، نجحت الولايات المتحدة الأسريكية في فرض إرانتها بعسورة جوهرية، لأن هذا القرار وما ينضحه من تأجيل واستثناء ساري المفعول على كل بعشات الامم المتحدة لحفظ السلام. وتنصوصاً إذا قام مجلس الأمن بتنفيل نيته المعادن عنها، وقبلا بعني أن الإدادة الأمسيكيكية نجحت في الوصول إلى هدانها "مقرياً" وإعادة صيخة صلاحيات المداهلة المحكمة الجائبة الملوية.

ثمن هذا "النصر" سيكون بـاهظاً، لأنه يعني إلحاق الضرر بصداقية مجلس الأمن بـشكل جاد وذلك لعدة أسباب: السبب الأول، هو الجلل الحامي الوطيس حول مدى شرعية القرار ١٤٢٢، لأن هذا المقرار يجب أن يستند إلى الفصل السايم من مسئاق الأمم المتحدة. كما أن المادة ١٦ للنظام التأسيسمي للمحكمة الجنائية الدولية تشيسر إلى ضرورة توفر شروط معينة، قبل اتخاذ قرار بتأجيل ملاحقة المشتبه بهم. وانطلاقاً من هذا المفهوم فإن المغزى العام للمادة ١٦ يستلزم وجود وضع سياسي معين يتطلب هذا التأجيل خدمة للأمن والسلام. ويمكن تصور السيناريو البراغماني لهذا الوضع السياسي المعين من خملال التحاطي البناء مع حملية المفاوضات للوصسول إلى هدنة بين أطراف متنازعة، وذلك بتأجيل ملاحقة المشتبه بهم لعمدم عرقلة التوصل إلى هذه الهدئة السلمية. ومقارنة مع هذا السيناريو فإن القرار ١٤٢٢ ليس قائماً على وضع سياسي معين، وليس له أية علاقة بذلك على أرض الواقع. كما أن الادعاء القائل بأن "التأجيل العام لملاحقة المشتبه فيه يعتبر أداة لحفظ السلام والأمن العساليين فسمسن نطاق المادة ٣٩ لميشاق الأمم المتحدة"، بمثل ادعاءاً مثير للربية والشك. ومن البديهي في هذا السياق عدم اعتبار إمكانية التحقيق المجردة من قبل مجلس الأمن تهديداً للأمن والسمالام العالمين، وإنما تعزيزاً لهما، لأنه تم التأكد من نجاعة وفاعلية عمل مجلس الأمن من خلال صمل مهمات حفظ السلام الدولية، ما يهدد السلام المعالى بصورة حمقيمقية، هو التهديد الأمريكي بالانسحاب من المشاركة في عمليات حفظ السلام. ولكن مجلس الأمن لم يقم بتقييم جمذري للوضع لإدراك الأمر على حقيقته. فلو قمنا بافتراض مفاده أن الاتحاد الأوروبي كان مستعداً لتحمل مسؤولية حفظ السلام في البوسنة، فإنه من الصمعب تصور الإنسحاب الأمريكي من المشاركة في هذه القوات كستهديد حقيقي للسلام العالمي. النقطة الجوهرية هنا لا تكمن في المتهديد الأمريكي بالانسحاب من قوات حفظ السلام، ولكنها تكمن في التهديد باستخدام حق الفيتو لمنع تفويضها، وذلك بغض النظر عن المشاركة الأمريكية فيها. وبالرغم من ذلك فإن قوأت حفظ

السلام الأوروبية تبقى دون تفسويض من قبل مجلس الأمن الدولي، لذلك فهي معتمدة على صوافقة الحكومة البوسنية كخيار قابل للتطبيق.

وانطلاقاً من التهديد الأمريكي باستمخدام حق الفيتو، فإننا نعود تحليلياً إلى المادة ٣٩ لميثاق الأمم المتحدة؛ كما أنه لا يمكن تجنب طرح السؤال الآتي: هل يجوز لعضو دائم في مجلس الأمنن الدولي استعمال حق الفنيتو لخلس تهديد مصطنع للأمن والسلام العالمين؟ وعلى ضوء ذلك فإنه من الصعب تجنب الاستنتاج بأن المتهديد الأسريكي المعلن باستخدام حق الفيتو يمثل إساءة استعمال لصلاحيات أعطيت للولايات المتحدة ليشاق الأمم المتحدة. السؤال المفتسوح الذي يبقى حاضراً في الأذهان يتطرق إلى إمكانية حظر إساءة هذا الاستعمال من قبل ميشاق الأمم المتحدة، لأنه لم تسنح الفرصة لمحكمة العدل الدولية للقيام بفحص جلري وتقييمي لهذه الإشكالية. إجمالاً يمكن القول: إن التمهديمة المدحى للأمن والسملام العالميين يمكسن أن يُفسسر كتتبجة من نتائج الاستخدام التهديدي الخاطىء لحق الفيثو، التهديد الحقيقي يكمن في التشكيك في هيبة مجلس الأمن وشرعية القرار ١٤٢٢.

القرار ٢٤٢٢ وتوازنات القوة والضعف

تبنى الفرار ١٤٢٢ وتداعياته لا يطرح أسئلة نقدية ذات زخم جدلمي حسول شرعيسته فقط، وأكنه يجلب حسقائق توازنات القوة والمشعف إلى ضوء السواقع، وذلك بصورة نموذجمية جداً. ففيما يختص بدور الولايات المتحدة الأمريكية في العالم الحالي الذي تتربع على عرشه "كقوة عظمى وحيدة"، فإنه أصبح جلياً أنها نجحت في فرض إرادتها ضد الأغلبية الساحقة لدول العالم، الرافضة مبدئياً وأخلاقياً للموقف الأمريكي. وعلى الرغم من ذلك فإنه لمن المشكوك به أن تنجح الإدارة الأمريكية في تحويل مسجلس الأمن إلى أداة لخدمة أولويات السيامسة الأمريكية. وفي تطور جديد، أظهر الجدل الحماد حول مدى شرعمية استخدام القوة ضد العراق أن سلطة مجلس الأمن الدولي، القائمة على بنود الفصل السابع لميثاق الأمم المتحدة، "كنز لا يسقدر بثمن"، ليس فقط للدول الضعيفة، ولكن للولايات المتحدة أيضاً. هذه الأرمة تظهر بشكل دراصاتيكي أن شرعبية الموقف الأمريكي تعستمسد كل الاعتمساد على هيبسة وسلطة قرارات مجلس الأمن. وفي هذا الصدد فإنه يتبغي الإصرار مبدئياً على احترام القرارات الملزمة التي يتبناها مجلس الأمن والهادفة إلى الحضاظ على السلام العالمي، والقيام بتطبيقها حتى في غسياب هذا الاحشرام. السؤال المطروح والذي لم يلق إجابة بعد هو: هل ينجح مجلـس الأمن بدحر الشك عن صميم نطاق صلاحياته؟ أم يستسلم للتهديدات المسيئة له

من قبل عمضو دائم فميه؟ وبالنسبة إلى الولايات المتمحدة الأمريكية فإنها ستفقد قدراً كبيراً من مصداقيتها إذا لم تقم بإعادة صياغة القرار ١٤٢٢ في تموز/ يوليو ٢٠٠٣. علاوة على ذلك فـإن تبنى هذا القرار لا يتــرك مجــالاً للشك في موقع الأرجحية المطلق الذي باتت الولايات المتحمدة تتمتع به، في غياب سياسة خارجية مشتركة للاتحاد الأوروبي. من الصحب تصور هذه االهميمنة الأمريكية؛ إذا قمام الاتحاد الأوروبي بتنسيق سياسة مشتركة مع كندا، نيـوزيلندة، جنوب إفريقيا والبرازيل، لبلورة موقف موحد للحفاظ على سلامة النظام التأسيسي للمحكمة الجنائية الدولية، وإذا قنامت بالإصبرار على العنمل بنص وروح منيشاق الأمم المتحدة. ولكن التأييم البريطاني للموقف الأمريكي حال دون الوصــول إلى مــوقف أوروبي مــشتــوك. وبالنظر إلى المحدودية؛ السياسة الأوروبية الخارجية القائمة على مبدأ الإجماع، فمإنه لا يمكن فهم عمدم قدرة الرئامسة الدورية الدانماركيــة للإتحاد الأوروبي عن الامتناع عن مسليح القرار ١٤٢٢ ووصف "بحل الوسط الإيجبابي". تبني القسرار ١٤٢٢ أظهر بصورة جليــة ضعف الاتحاد الأوروبي كلاعب دولي على مسرح السياسة الدولية.

السياسة الخارجية الالماتية بلدلت جهوداً مثالية في الآيام التي سهت التصويت على مشروع القرار (۱۶۲۲) لمحاولة الحفاظ سيم سلامة للحكسة الجنائية الدولية ، لألها الدنت بكل وضوح على صدم وجود أرضية شرعية لهذا القرار القائم على الاقراح الامريكي، وحلوت من "عطر فقائدان مجلس الامن لهسيته ومصداقيت". ومع ذلك لم تقيم الحكومة الامن لهسيته ومصداقيت". ومع ذلك لم تقيم الحكومة رئاسة الاتحاد الاوروبي الدوية، وترك انطباع يشير إلى عدم الرقاق وقف الوروبا مع موقف نيوزيائذة، البرازيل، جنوب إفريقا وكناد!

واتطلافاً من الموقف البريطاني المؤيد مسبدتياً للولايات المتحداء فإذه من الهجمب فهم محاولة الأخاد الأوروبي خلق انظياع وجود موقف سياسي أوروبي مشترك تجاه هذا المصرام . اللافت للنظر في هذا السياق هو تناقض موقف المستدار الألماني غيرصارد شرودر الرافض بعنوم لاستخدام القوة ضد العراق تحت كل الفاروف، مع "تراجع" السياسة الألمانية الخارجية عن موقفها المبدئي المؤيد لعمل للحكمة المبانية الحارجية . السياسة الألمانية الخارجية لم تلتزم بالموقف المربوبي المطالب "بالحفاظ على سلامة ومصداقية النظام التأسيسي الممكمنة الجندائية الدولية"، وقامت بالتصاحات السلبي مع الرئاسة الدولية "موقع مساحت بالتصاحات المساحات

بعد وقت قصير من دخول النظام التأسيسي للمحكمة الجنائية الدولية حيز التنفيذ، دخلت هذه الهيئة الدولية حلبة

صراعات السياسة العالمية الماصوة. القرار ١٤٢٧ لم ينجع في تقديم أرضية للتماون التكسيلي بين مسجلس الأمن للنولي ومحكمة المتاتبات الدولية لدعم الشرعية الدولية. لكن المالة المركبية الدولية. لكن المالة الأمريكية أسسونة إجراءات المسافية وخدمة الأسريكيين Protection المستوية المتاتبات المسلومة المتاتبية الدولية، عما يمكن أن يجسمل هولتذا، السيلا المتاتبية الدولية، عما يمكن أن يجسمل هولتذا، السيلا يوما ما بالإضافة إلى ذلك يدات الإدارة الأمريكية في يوما ما! بالإضافة إلى ذلك يدات الإدارة الأمريكية في يوما ما بالأضافة إلى ذلك يدات الإدارة الأمريكية في يوما ما الماساسنة على الماساسنة على الماساسنة على الظام التأسيس للمحكمة لضمان صدم مقاضاة المالية المؤلفة المناسات على الظام التأسيسية للمحكمة لضمان صدم مقاضاة المؤلفة الأن الأمريكية لمن الدول المسدقة على القالم التأسيسية للمحكمة لضمان صدم مقاضاة المؤلفة الأمريكية لمن الدول المسدقة المؤلفة الأمريكية في المؤلفة الم

وينط خطورة وأبعاد هذا القرار دليداً قاطعاً على تصعيد الترافع بين الولايات المتحدة وحافظاتها الاورويين، ما يدهو شعروة وجود مثل هذه للحكسة بين أوروبا وأمريكا. وما ضورة وجود مثل هذه للحكسة بين أوروبا وأمريكا. وما يدل على ظلك هو قيام أوروبا بساعدة الولايات المتحدة في إنشاء المحكسة اللولية الماحسة جرائم الحرب المرتكية في يوضلانها وروائدا، ويحسن احترام النظام الفضائي الجليد المتاتم على الشمولية! والديومة، على حكومات الاتحاد الاورويي، وبالتساول مع دول أخرى، المتصدي للموقف السياسية نقط، ولا يتم تعهد شها وتحويلها إلى محكمة لحل السياسية نقط، ولا يتم تهميشها وتحويلها إلى محكمة حل نزاعات حدودية جانبية.

كل ما يمكن الأمل به هو أن تساهم الإجراءات الأمريكية في اردائ سليم تفهوم القانون اللدولي منذ بداية عمل المحكمة، لائه من غيسر الممكن السسماح لمجلس الأمن بتحديد لأنه من غيسر الممكن السسماح لمجلس الأمن بتحديد تام مع الشرصية الدولية. كما أنه ينسغي على الانحاد الأوروبي التحرك ككيان سياسي موحد ذي تقل كبيره بدون انتخاب التحرام بين "قلوري ويولير " · " ، كلي تجان المحكمة الجنائية المدولة لمه الاعتداءات على نعاليتها ومحمداتيتها، ولكي يتى القرار (۱۹۷۳ مالاً مغيرة)، بدون أي قورا يولير " · " ، لكي تجان المحكمة الجنائية يبنى القرار (۱۹۷۳ مالاً مغيرة)، بدون أية قيمة قيانونية، يتين للحكمة المؤلفة المنافرة مع الشرعية الدولية.

ترجمة : لؤي المنشون

للصدر: مجلة «أوراق للسياسة الألمانية والدولية»، مسجلة علمية تخصصية تعنى بأبحاث العلوم السياسية للعاصرة.

تعني بابحاث العلوم السياسية الماصرة . Blätter f, deutsche u. internationale Politik, 1078, 2002

موضوعات حول الأخلاق

ولد الفيلسوف الألماني تبودور أدورنو في الحادي حشر من أيلوك/ سبتمبر من مام ١٩٠٣ لعائلة يهمودية أثانية في فرانككورت التي درس فيها أيضاً الموسيقي والفلسفة. وقد تردد كثيراً بين الفلسفة والموسيقي إلا أنه حسم خياره اخبراً لصالح الفلسفة وذاك فيها إجمازة الدكتوراة، إلا أنّ هذا لم يمنه من مواصلة اعتمامه بالمؤسيقي.

يصد سيطرة النازين على مقاليد الحكم في البلاد ترك ادورنو المانيا في صام ۱۹۳۷ و سافر في البلدانة إلى إنكلز ومن هناك إلى الولايات المصداة الأمريكية حيث عصم على "١٩ وسافر في البلدانة إلى أيتكلز أو من همان الاجتماعية" الذي كان قد أسسه الفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني ماكس هر كهاء في يوبورك بدالاً من المهاد نصابة الذي أن المهاد المهاد دراسات نقدية عميقة للرأسمالية والاشتراكية. الميزت في هذا المهاد دراسات نقدية عميقة للرأسمالية والاشتراكية. أصدر أدور رو ربالاشتراك معهد التنويري كي) المحمد نظري له بعنوان أجدائية التنوير"، وعناما صاد "مسهد البحوث الاجتماعة" في عام ١٩٥١ إلى فرانكفورت أصبح أدورتو رئيسه كما درس الفلسفة في جاماهة فرانكفورت أهياً، وحتى وفئاته عام ١٩١٩ كان أدورتو إلى الفلسفة في جاماهة فرانكفورت أهياً، وحتى وفئاته عام ١٩١٩ كان أدورتو إلى الفلسفة عليه المعادل القلياً

تأثر أدورتن بديالك بلك ميغل كشيراً ورضم أنه اصتبر فيلسوفا يسمارياً إلا أنه لم يؤمن بإمكانية تطبيق الإشتراكية على أرض الواقع. فمجهمة الفيلسوف عنده تكتفت في التقد، ليس نقيد المجتمع فحسب، بل المدارس والاتجاهات الفيلسفية، خصوصاً فلسفة هايدفر، واشكال مختلفة للفن الحديث والمرسيقي.

وإلى جانب مؤلفاته الفلسفية للمقدلة، نال آدورنو شهرته إيضاً من مقالاته النقدية حرى الفن والأدب و المؤضوصات «Aphorismen» التي جمعها عام (۱۹۹ في كتساب بعنوان "الأخلاق المسفرى Minima Moralia"، ويتناسبة الساكرى المثوية لميلادة تقسدم «فكر وفن»، وللمسرة الأولى باللغة المسريسة، بصغيساً من هذه المؤضومات.

تاريخ . مجتمع

في المجتمع الفسرديُّ، لا تتحقّق فقط تلك العسموميةَ من خلال فساعلية كل فرد واحد، بل إنّ المجتمع هو بشكل خاص، جوهرُ الفردانية.

إنَّ المجتمع يبقى لكل إنسان بجميع فاعلياته، ذلك الشخص الحقي المتظر، الذي يبقى من جمهة دائماً في حالة طارئة، كي يقسدَم المساعدة، غير أنه من جمهة أخرى، وينظر الإنسان، يبقى حجرة عثرة أسام إمكانية التسوظيف أو العمل، وكانه بلعب دور ضابط الموت المرشح أبداً.

إنَّ المصطلح الاجتماعي للأشياء ليس أكثر من ذلك العذاب الماضي.

إنَّ حملية التعتيم وما يمكن تسميسته بالكشف عن الغيب، ليس سوى ميثافيزيق الناس الأغبياء.

إنَّ اللغة هي ذلك العنصــ الجوهريّ للــوضوعيّ، حــــب مصطلح المجتمع له، غير أنه يبقى نفس العنصر أيضاً، حتى عندما يُستعمل بنشار فرديِّ خالص، بنظر المجتمع إياه.

إنَّ استحالة تقديم تضير للفائسية أن صرضٍ واضع لها، يكمنُ ، من حيث أنها لا تفسح في المجدال سوى للأقلَّ الفلاية أنه المألقاً الفلاية أنهي تقدّمها للفرية التي تقدّمها للفرد، سفايا ما يقدّمه مذا لها؛ - إن الحسرية اللامتكاملة يمكن التعرف عليها، بضموضٍ والتباسي، لا تقديم ايضاحات أن شروع عن جوهرها.

إنَّ الجُمعيات المنحوقة الفيالة، لاتنسو بتفس الإيقاع الذي تنمو على أساسه المؤمسات الكبرى. إنّه نفس ذلك الإيقاع الممرِّر.

إنَّ الحبُّ الأعمى المتحمَّس للسيارات، يتأرجع معه دائماً شعور فيزيائي بالتشرد المكانيّ.

إنَّه لاتوجد هناك حرية، طالمًا بقيَّ لكلِّ شيء ثمنه الحاص.

لوكان الناس ليسوا بشيم يُمتلك، لكانوا أيضاً غير قابلين للتبادل مرة آخرى.

لايمكن أن يكون تحرّر ومساواة، في مجتمع ليس فيه أساساً عدالة وحرية.

الضردية

عند الكثير من الناس، اصتقاد مُسبق، بأنه شيء لا أخلاقي، عندما يبدأ الإنسان حديثه، بضمير المتكلم (أنا).

ليس هناك شيءٌ حقيقيٌ في التحليل النفسي سوى المبالغة.

الحقيقة الفلسفة

إنَّ التفكير الدباليكتيكي ليس مسوى محاولة، لكسر المنطق بنفس وسائل تقاليده وأساليبه المتعالية التعسّفية.

في النهاية ببـقى هناك الامل، الذي لايمكن الحصــول عليه سوى من الواقع، الطريقــة الذي يتُدى ويُستلب بها، هــبر شكل وحيد، يتمُّ ظهوره من خلال الحقيقة فحسب.

إنَّ الشيء الحقيقي، هو فـقط تلك الأفكار التي لاتفـهم ماهيّة نفسها.

إنَّ المتعــارف عليه، هو أنه في أيِّ نصٌّ فلســـفيَّ، يجب أن تكون الجمل كلها متساوية، من دون نقطة ارتكار محورية.

فقط الاغتراب هو السمُّ المقابل لمفهوم الاستلاب في الماركسية.

إنَّ الكلُّ المطلق هو اللاحقيقة.

إنَّ عود الحشب الذي في عينك هو أفضل عدسة تكبير.

الفلسفة هي تلك التي يُنظر إليها على أنها الوحيدة المسوولة أبدأ عن اليساس؛ فإذا كان من المسكن، بالتالي، محداولة النظر إليها، إلى كل الأشياء على هذا النسحو، يصبح من الممكن استعراض نفسها، وتضديها من نفس نظة تحررها باللات.

أخلاق

إنَّه لمن المُستبعد وجود حياة طبيعية في أخرى فاسدة وخاطئة.

إنَّ واجب الوظيفة التي من اللايمكن حلّها، لاتشوقف فقط على قوة الآخــرين، أو على احساســها اللماتي بالمسجز بأن مشكلة تُعلَّ، بل إنها تجعل من نفسها شيئًا تافهاً لا قيمة له.

إنَّ النقد الذاتي للعقل، هو أخلاقه نفسها.

إنَّ الذكاء ليس من صنف الاخلاق.

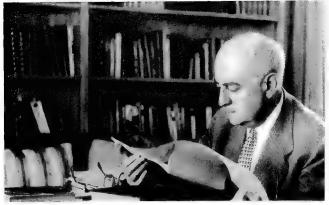
لم يعد هناك أي شيء يمكن أن يكون بلا معني.

إذا كان بإمكانك أن تصبح محبـوباً، باللـٰـات، فإنَّه يمكنك حينها أن تُظهر ضعفكَ بدون أن تثير حساسية القوة.

إذا استطاعت الحدياة الزوجية أن تحمي آخر الإمكانيات، بحيث تتمكن من بناء خميمات إنسانية خصوصية في خيمات عصومية لا إنسانية، وقشها يصميح بمقدور تلك العمومية من أن تتأر من انهيارها.

إذَّ الحياة تحولت إلى سلسلة لانهاية لها من الرهب، بحيث غلت بين شقوقسها، أماكنُ فارغة في المنتصف، مستصدَّعة منهارة.

قسكسر وفسن ٧٠ Fikrun wa Fann



أدورنو في سنة ١٩٦٣ . Photo: Bildarchiv Preußischer Kulturbesitz

عندما يصبح الإنسان مشهوراً في آخير منواته، أي عندما يصل إلى مرحلة إنسان حكيم ناضح، بشكل خاص، فإنه يكن الاعتبقاد، حيشاء، بأنَّ حياته إنما كمانت سلسلة من أهمال سيئة السمعة.

جمال. هن

لا جمال، أو شقاء، باستثناء ما يوجد في أفق النظر، الذي يحاول من داخل الفزع أن يستده، ويُسلك به، وذلك بنفس رهونة رخشونة الوعي السلبيُّ، يحدث هلما ، كله من أجل إمكانية التحسين أو التجميل.

إنَّ الحداثة كانت قد أصبيحت في الواقع، لا حداثة أبدًا، لأن الحداثة تتبع الكيفيّة، وليس التسلسل الزمني.

الفنِّ هو السحـر ذاته؛ بمكن أن يتحوّل إلى حــقيقــة عندما يتحرّر من الكذب.

يوتوبيا ـ سمادة

إنَّ البحث عن السعمادة، هو نفسه كالبحث عن الحقميقة، فهي لبست فيمما إذا كان المرء يحور عليسها؛ بلِّ فيسما إذا كانت هي فيه مكنونة.

على الرء ألا يكون كالجيران مستلقياً أو طائفاً على الماه، وناظراً بسسلام وطمائينة إلى السماء؛ لأنه لايمكن بدون القسوانين التنظيمسية، المستمرة في تطورها، التحقق في موقف ماء من إحدى القضايا أو المسائل لـ لذلك لابدً من

وضع هذا التحقق موضع التنفيذ، كما أنه لابدّ من أن يقي المنطق الدياليكتيكي بوعده، ويصبّ في منعه، أو منشئه الأوليّ الأصل؛ فنفي الحقيقة، لايوجد هاكان من يهن جميع المعطلحات المجردة، مصطلح واحد قريب من «اليوتوبيا» ... الوهم الخيال سوى ذلك المتكوّن من السلام الابدى.

إنَّ الموقف الجيد، لايحشاج سنوى للشفكير، وليس للانشراض، كما لو أنَّ المره يمكن أن يكون بدون محوف، شيئاً آخر غيره.

إنَّ الألماني إنسانٌ لايستطيع أن ينطق كذبًا، دون أن يعتسقد هو نفسه به ويصدّله.

إنَّ الإنسان لايحتاج سوى أن يكون مستاءٌ أو غير راضٍ هما هو عليه، ليكون بالسّالي، مهيّــاً للشبهــة بتغييــر أو تحسين العالم...

ترجمة: رياض العبيد

استشهادات من: «حقائق أدولة بسيطة حول الأخمالاتية. روده فعلي ناتجة عن حياة محطّمة، (١٩٤٤ - ١٩٤٢)، مأخوذة من فترودور ف .أدورتوات أعماله الكاملة، الجارة الرابع، فراتكفورت على الماين

🛇 Suhrkamp Verlag, Frankfurt a. M. 1951 : المبلر:

۲۵ عاماً على «غاليري فكر وفن» شهادات وانطباعات

الشنان شروت البحر في عام ١٩٧٦ كلفني مدير معهد غوته الاسكندرية د. فولقفانغ أوله بعمل تشاط ثقبافي مكثف وشامل. وكان من الضروري عمل اطار لذلك، فتم استغلال الدور الأرضى من المعهد بمدخل خاص وأقيم اغاليري فكر وفن؛ بقاعة عرض وصالة استقبال. وقد سمى كذلك نظراً إلى ما تحظى به مجلة الفكر وفن؛ من جدية واحتسرام كبير لذي قراه السعربية، حيث تعتسبر هي ومجلة السونسكو ضمن المراجع التي يعتمد بها فسي الأبحاث الاكاديمية. وقمد حظى الفاليري فكر وفن؛ بشعبية عريضة في الاسكندرية ومصر كلها، حيث أقيم به ما يزيد على ثلاثمائة معرض لفنانين ألمان ومصريين خيلال فترة إشرافي التي امتدت حوالي عـشرين عاماً. وبهـذا شكل معهد ضوته بالاسكندرية علامة فـارقة في الحركة الثقافية بالاسكندرية التي كانت تمر بفترة ركود ثقافي حيث أم يكن هناك منافس حقيقي لمعهد غوته في دعمه للفنانين خاصة الشباب. وكان النشاط يشمل محاضرات عن الآثار والموسمية والأدب والشمر وبالتمالي الفن في ألمانها والموسيقي والأدب. اضافة إلى لقاء أسبوعي يوم الجمعة في حلقة نقاش مفتوحة بلا قيود تناقش كل شيء بما جعل المكان متنفساً للتعرف على الذات وعلى الآخر في مناخ من الحرية كان الجميع بحاجة لسها وهذا ما لم يكن مناحاً في مكان آخر في ذلك الوقت.

لقد تم الاحتفال صام ۲۰۰۱ برور ربع قرن على تأسيس " غاليري فكر وفن". وكالمادة السنوية أقيم معرض العمالون السنوي لرواد المرسم اللين كانوا شباباً في ذلك الوقت مع الشباب الجلدد. كنت قد انتفات إلى الفاهرة صديراً لمتحف الغن المسمري الحديث وصعلت إيضاً بدعوتهم لي للمشاركة معهم في المعرض السنوي، لقد المتحف، وصعلت إيضاً بدعوتهم في المعرفة معهم في المعرض السنوي، لقد بكل حب وتقسفير، ومن الفهروري أن اذكر أنه لو لا تأسيد ودهم المدراء الألمان المعهد أولاً فواضعاته وأيضاً في "فاليري فكر وفن" الإسكندرية هو شيء نلكره شميليت ما كان ليتحقق شيء عا ذكرة، واليوم يقوم توماس ليس بالتعاون مع شميدت ما كان ليتحقق شيء عا ذكرة، واليوم يقوم توماس ليس بالتعاون مع ضورواد المفاليري الأوائل بالعسمل على استمرار النشاط بنص الحميدة، إن مسمهد ضورة تعال يومطال بين الاسكندرية والمانيات

الفتان ايراهيم الطنيولي يبر عن رويته له 'غاليري فكر وفن' ، فيتره و احدة دكاناً خاصاً بلتيقي مبدلوه عن الفتاني بتوجمهم حب الفن ، تثري الفتانين القادامهم حوارات فيسة ومناقشات فكرية ، اثر في الفاليسري أحمال هؤلاء الفتانين بأسلوب التصبير الخاص لكل منهم، وتأكيدهم على أهدية حدية التمبير، على يقمعهم في مكانة خاصة في الحركة الفتية الشكيلية.



أوحة اللبتان: مجدى موسى

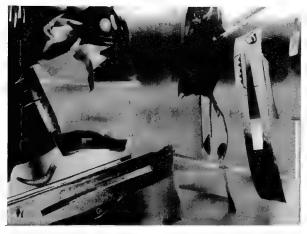
المقشان مجدي موسعى ثم تأسيس الغاليري في معهد غرته بالاسكندرية على يد الفنان السكندري ثروت البحر ومشاركة مستمرة من فنانين أصبحوا اليوم أسماء مؤثرة بعطائها الفني في الحركة التشكيلية. ربطت بين فناني الجاليري عوامل شكلت الوعي، والعلريق، الانفتاح، الإيمان بالفن ودوره، والتمسك بقيم حرية الإبداع، خسوض غمار مناطق جديدة في التعمير الفني، واحترام ونمارسة قيم المشاركة والتواجد.

على مدى ٢٥ عاصاً، انعقد، والفرط عقد جماعات فنية عــدينة، ويقي "غاليري فكر وفن"، وسيمبقى ممارساً لدوره من خلال عارسة ومشاركة فنية، في إثراء الحركة الفنية التشكيلية. منذ البدايـة، جذبنى الغاليــري، ليكون مكاني الخاص كــما هو لكل الفنانين وصاؤال، وعلى رغم اختلاف وتــنوع أساليب

وأشكال إبداعاتناء نقف دائماً متفقين على احترامنا وحبانا للفن وإيماننا بضرورة استمرارنا. ٢٤ معالونا سنوباء ورش عمار مختلف مع مشاركين فاتان المان، وأخوس. معارض خاصة وجمعاعة لفنانين عديدين من

 ٢٤ صافوناً سنوياً، ورش عمل مختلفة مع مشاركين فناتين ألمان، وآخرين. معارض محاصة وجـماعية لفنانين عديدين من المانيا ومصر.

الأهقان مدحت الكريوفي لايكن إغفال دور "غالبري فكر وفن" في الحركة التشكيلية السكندية/ المصرية فقد وسع من رقسة الإبداع التشكيلي، كمان بمثابة النافذة، التي من خسلالها دخل ضوء جمديد ورؤية تشكيلية محاصرة، مخابرة. "غالبري فكر وفن" هو للكان الذي ولدت فيه تشكيلياً.



لوحة الفنان: سلامة قؤاد

الثققان سيلامة قؤاه يحرص على إبراز منا قدمه الغالسيري على مدى تاريخه من فكمر وفن ومناخ ووعي فني وثقافي خلال رحلة اثرت في الحياة الثقافية الفنية، مؤكداً على خصوصيته كونه أنشىء داخل معهد فوته الذي احتضنه (الغالبري) طيلة هذه السين.

الفتان والناقد التشكيلي عصمت داوستاشي بلخص تاريخ الغالبري في أنه "نشاط متاني" ويقول: "أنجز غالبري لكر وفن تنشيطاً فعالاً في سيسرة الفن الشكيلي بالاستندية طوال ربع قرن، منذ أن أنساء الفنان ثروت البحر. تجارز فكر وفن مفهوم ومحدودية قاعة العرض، ليصبح ملتنى ابداعياً وثقافياً ومدسة غير مباشر لاجيال جديدة من المدعن مم الآنة يتولون أمر الاشراف عليه، كما التحمت فكرة الممايشة بين الحضارات والافكار المتعابرة والاتحاط المختلفة واختل هذا الرواق الفني للذي احتضامه معهد فوته.

تجاوز فغاليري فكر وفز» الثقافة الألمانية إلى مزجها بالثقافة المصرية، وطالما كان هناك عشق خفي ومعلن بين الثقافتين فظهر هذا جلياً في أنشطة فخاليري فكر وفز»، وخاصة من شباب الفنانين، محور اهتمامهم الكبير والأساسي.

الغاليري والمركز والمعسهد أصبح لها مكانة بارزة بين المحافل الشقافية المتعددة الجنسية بالمدينة السمالمية. الاسكندرية، كانت، . . . وتعود من جديد مع افستتاح مكتبسها الشهيرة. ولعل في هذا الاطار الحسضاري والمتفائل الجديد يعساود 'غاليري فكر وفين' توجهه وطموحاته. *



لوحة الفتان؛ همرو هبية

المشقان عصور هيبية يلخص تجربته مع الغاليري، فيقول: "انضسمت إلى مجموعة "غاليري فكر وفن" عام ١٩٧٩، وعرضت اعمالي فيه الاول مرة. ومن خلال الغاليري كان احتكاكي بالحركة التشكيلية في مصر وألمانيا. مناخ الغالميري الفني ساهم بشكل اساسي في تكوين شخصيتي الفنية.

الشقائ الأمنحات أحمد المسطوحي يعرض رؤيته لفعاليات ونشاط الغاليري، فيقرل: "ترجع قيسمة غاليري فكر وفن جمهد غوته بالاسكندرية إلى دوره الفعال والمؤثر في للحيط الفتي الثقافي السكندري، وترتب على دور الغاليري حركة ناهضة تفاعلت مقوة مع مراكز ثقافية أخرى، أنتجت حصاداً فنياً وثقافياً رائماً عا أكسب المناخ الثقافي وضاً غسدت معالمه وتنافجه في جيل من الفنائين شاركوا في الحركة التشكيلية، ويتطلع مثقفوا الاسكندرية إلى اطار أرحب من التعاون، تحققه قاعة فكر وفن، يتلام مع معطيات المستقبل.

الثقافة العربية في معرض فرانكفورت

حوار مع رئيس معرض فرانكفورت للكتاب فولكر نويمان

اعتماد مصرض فراتخضورت الدولي للكتاب منذ حام ۱۹۷۳ (أن يقدم سنوياً منطقة أو دولة من دول العالم ضيف شرف على فصاليات. الفكرة بدأت مع أسريكا اللاتينية واستمرت مع أفريقيا وأوروبا إلخ. إدارة المعرض اختارت العالم العربي ضيفاً للشرف على المعرض في عام ٢٠٠٤. (فكر وفن؟ تنشر هذه المفايلة مع رئيس للعرض عن أسباب ودوافع هذا الاختيار:

> ■ محمرض فراتكفورت للكتناب يعد أكبير تجمع للمتخصصين في مجال النشر وفي عام ٢٠٠٤ مستقيف العالم العربي كضيف شرف وذلك في إطار مواصلة برنامج ضيوف الشرف البارزين الذي تنامي بقوة منذ عام ١٩٧٦ ماذا يعني ذلك بالنسبة للعالم العربي؟

فولكر نوعان: يحتنا أن نسقيه مصرض الكتاب الدولي في في فراكت الدول وي في في هذا المحاص الأوليدية للفكر والروح. في هم الخام كان لدينا أكثر من ٢٠٠٠ شركة من آكثر من مائة دولة وقامت بعرض أكستر من ٢٠٠٠ من ١٩٠٣ من بوطن يعني أن معرض فرانكفورت للكتاب قد صار يلا منافس. ويعني ذلك أيضا أن العالم العربي سيعيد فوضة متسميزة وفريذ لتقديم الفيمة الحقيقية لاديه وثقافته وكتابه.

P. A.S 1000

فولكر نوعان: يوفر معرض فراتكفورت للكتاب أكبر ساحة إعلامية في العالم حيث يوجد به ١٧ ألف صحفي من ٩٠ درلة تثريبا يكتبون تفارسرهم الصحفية عن المعرض، بل إن حسجم المشاركة الإعلامية في المعرض يضوق المشاركة الإعلامية في الألعاب الأولمبية ونهائيات كاس العالم لكرة المشارع، وهذا يعني أنه لا توجد مساحة إصدارهية مشابهة يكنها أن تتبح للعالم العربي تقذيم فنونه وثقافته المعاصرة.

الذا قرر معرض فرانكفورت للكتاب دهوة العالم العربي ليصبح ضيف شرف في عام ٢٠٠٤

فولكر نويمان يمد معرض فراتكفورت في المقام الأول وفي الافاض من المخاف المتصيد للحوار الافاض حدثا تجاريا ، لكنت يسعى جاهدا للتصويف شوف بين التضافات , وهذا ما جمعانا نبلة برنامج ضيوف شوف المعرض في عام 19۷۱ باستضافة أسريكا اللاتية . وهذا للعرض على الخاف قضيرة من كل الدوما فل قضافية متصيرة من كل الدوما فل الشافية على إبراز أسوات جليدة على إبراز أسوات جليدة على إبراز أسوات جليدة

من هذه المناطق. وفي يبومنا وعصرنا هذا تعد المبادرة بالحدواد بين العدالم العرب وباقي العدالم أمرا فسروريا. ولفتهم النقاط على الحدوث ونقول بصراحة إنه لا العالم العربي ولا الغرب قد اجتها بالقدر الكافي لتعزيز التبادل المعرفي. فأصمال الكتاب والمثقفين العرب نادرا ما تترجم إلى الإنجليزية از الفرنسية أو الألمانية ، كما أنّ هناك القليل جدا من الكتابات الغزية المعاصرة المترجمة إلى العربية. لا بد للملك أن يتدنير ونحن نود أن تعطي دفعة قوية لمها التغيير.

ماذا سيحدث في مصرض فرانكفورت للكتاب عام

فولكر نويمان: الإجابة على هذا السووال مرتبطة بالمنظمين. والسوولية تقع على عاتق المنظمة العربية للتربية والشقافة والعلوم (السيكو) ومقرضا في تونس. لقد ثام الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى يتكليف السيد للنجي يوسنية المدير العام لمنظمة السيكو بالإشراف شخصيا على تنظيم المدير العمين في للعرض. حصوما تسفيد المدول من حضورها كضيف شرف للمحرض من خلال عرض فنونها وثقافها التقليدية والمعاصرة على نطاق واسم.

ويضاعف ناشرو هذه الدول جهودهم لتقديم برامحهم وللتوصل إلى شركاء مستقبلين لعمل عقود الترجمة.

■ ما هي العوامل الضرورية لنجماح الحضور العربي في المرض في العام القادم؟

فولكر نويان: إن الحضور القوي للكتباب العرب في فإلى كلورت سيكون حيويا لنجاح التواجد العربي في المعرض، لقد جليت روسيا التي كانت ضيف الشرف لهذا العام أكثر من ماثاة كاتب وكانته، قدرأوا من أعصالهم وناقشوها على أرض المعرض في فراتكشورت وفي كل

إنجاء المائيا. وقد ثبت أن هذه اللقاءات كانت معيارا لنجاح الحسور الروسي في المحرض: اقمد استقبل الإصلام وإخمهور هذا الاحتفال الادبي بتلهيف، ومن المؤكد أن الادب الروسي المعاصر سيستصر في تعفيد حيضوره في عالم الادب.

ما الذي يجب همله للحفاظ على هذا التأثير؟ فولـكر نويان: من الضروري أن يكون هناك برنامـج قوي للحم الترجـمة، فالناشرون في أوروبا والولايات المتـحدة الأمريكية ليسوا على استعداد للمخاطرة باستثمارات ضخمة

لتمويل التسرجمة، وخصوصا بالنسبة النحرية غير المعروفة كشيرا في الفحرية المنسكات، وسيسواجه الكتاب العرب في من يورد الشر الكييرة شكلة المصرون اللين لا يستطيعون قرادة والنصور عائج من الترجمات مرفقة بتوضيح عام عن الكتاب، تعد من الانجاء الأساسية لجلب انتباء صائحي المشر، قداد ينت التجرية منذ عام 1971 أنه طلا كانت التجرية منذ عام 1971 أنه طلا كانت التجرية منذ عام 1971 أنه طلا كانت منتاك على طدا البرامج لعدم السرجرة بمن في فرانكلورت فسيكون للحفسور بمرض فرانكلورت

تأثير إيجمايي مستصر على وضعية أدب البلد الفيف في أمعوالى النشر الرئيسية التي تنشر الترجمات عاداة ، وهي لمكانيا وفرنسا ومولندا وأسهانيا والدول الاسكندنافية. وسينما لا توجد برامح لفحم الترجمسة لمان تأثير مصرض فرانكفورت يميل إلى أن يكون لفترة قصيرة الأمد.

 كيف يمكن ألمحضور في محرض فرانكفورت أن يؤدي إلى انتشار واسع للثقافة العربية؟

يؤدي إلى النشار واسع للطفالة الموبية؟

منولكر نوبان: يجب أن يسجاور الحضور المدري نطأة

المصرض، الحفسور الشقافي للعالم المدري في معرض

المصرض المخسور الشقافي للعالم المدري في معرض

حيث مستركز الأضواء على ضيف للموض وياقي ألمانيا،

وهناك عادة تصاون ما يين الصليد من المؤسسات المثقافية

مواك كان ذلك بالتحاون مع للنظيين أم يلدوفهم، في عام

" " " لا تم تفظيم أكثر من " 20 حدثاً ثقافياً في كل أنتحاء

" " لا تم تفظيم أكثر من " 20 حدثاً ثقافياً في كل أنتحاء

لمانيا حول مصرضوع " روميا" بما في ذلك المصارض الفنية

هو مسؤول عن التنظيم لحضور ودؤة ضيف بحمرض الكتاب

هو مسؤول عن التنظيم لحضور دوثة ضيف بحمرض الكتاب

يجب أن يسعد بالاستفادة من هذا الحماس الذي جعل لهذا البرنامج نجاحا فائقا عبر السنين.

الإطار الزمني للحدد للمنظمون بيدو ضبيقا جدا. فإذا سلمنا بأن هناك آتل من أحد صشر شهرا باقية للتحضيرات، فهل هناك جدوى من القول بأن هناك أمل في أن استضافة العالم العربي ستحقق نجاحا؟

فـولكـر نويمان: بالتـاكيـدا يجـعل الإطار الزمني الفــين المنظمين أكـشر تركيـزا على عملهم ويقــبلون عليه بحــيوية ويعملون بفعالية في الاتجـاء الصحيح. من الفـروري تجنب



صادق جلال العظم، منجي بوسنية، فولكر تويمان في المؤتمر الصحافي المشترك، فوالكفورت ٢٠٠٣. تصوير: Stelan Weldner

أي تدخل خدارجي، فسأي خطأ يمكن أن يلحق بالستظيم ضررا جسيما. في الشهير رئافسية انضح لنا الهيكل التنظيمي الذي ستيمه والعمل المرهق قد تم إثباره بالفعل. لذا فإننا مقاتلون بأن حضور السالم العربي سيحقق نجاحا تجبيرا في عام 2 · · ٢ .

> أجرى الحوار هولغر إيلتغ ترجمه أحمد فاروق

فولكر تويالا (11 هاما) هو رئيس معرض فرالكفورت (الدولي للكتاب مثل صاح ٢٠٠١ المنترة يوسسة للعرض بعد تخلف للصفيد من المناصب الكبيرة في مستاحة النشر (الألبة لملة ٣٠ هاما تقريباً، أمر مصب ولا كان رائمة المسيون (الاستراتيجي للمار نشر وقام هاوس في وسط أوروبا وأمريكا المالايية و تولى كالملك متعب للعبر الاداري لمجسوعة برتاسمان يوك في القابل.

الشعر العربي في الأكاديمية الألمانية

العرب ومعرض الكتاب ٢٠٠٤

حين يخرج هذا العدد من المطبعة ويصبح بين يدى القارىء يكون عام ٢٠٠٣ قد لفظ أنفاسه الأخميرة. هذا العام شهد في تهابته حدثين مهمين للثقافة العربية في المانيا. الحدث الأول هو تبني معسرض فرانكفورت الدولي للكتساب للعالم العربي كضيف شرف على المعرض لدورة ٢٠٠٤، (مقابلة مع رئيس المصرض في الصفحية ٧٦) هذه هي التسميمة الرمسمية التي درج المعرض عليمهما منذ عمام ١٩٧٦ في استنضافة أدب شعب من الشعوب؛ مايعني هو أنّ أدب وثقافة المنطقة (ضيف الشرف) يحتل الصدارة في نشاطات المعرض، بمعنى دعوة كستاب وإقامة أمسيسات أدبية في أروقة المعرض وخارجها أيضاً. وحين سألت الروائي العربي الكبير عبد الرحسمن منيف هل هذه الدعوة اعتراف مستأخر بالأدب العربي، أجاب: "أن يأتي (الاعتراف) مستأخراً شير من ألا يأتي إطلاقـــاً". وإذا علمنا أنّ الأدب الروسي العظيم، الذي أنجب تولستوي ودوستونسكي وتشميخوف وباسترناك، كان ضيف الشرف لعمام ٢٠٠٣ يزول استمغمرابنا. فنحن لسنا متأخرين والاعتراف، إذا كانت استضافة معرض فرانكفورت للكتاب تعني أصلاً اعترافاً، لم يأت متأخراً بالمقاييس الألمانية وحتى بأية مقايس أخرى. المهم في الأمر أن يساهم الحضور العربي في معرض فوالكفورت إلى تنشيط حركة الترجمة بين اللغتين وخصوصاً من العربية إلى الألمانية وتقديم صورة حية للأدب العربي في هذا المحفل الدولي. ويلغة السياسة فإنّ الكرة الآن في مرمى الجامعة العربية، عثلة العالم العربي الرسمية وفرعها الشقافي «المنظمة العربية للتربية والشقافة والعلوم ـ أليسكو، لتقديم عرض يليق بالأدب العربي ويزيل سوء الفهم الذي رافق اخستيار بعض الترجسمات إلى الألمانية مثلاً، بدعوى تكريس ثقافة ألف ليلة وليلة أو الأعمال التي يجد فيها الغرب ضائته وتعزز الصورة التي كونها هو نفسه عن العالم العربي، ليأتي ويقبول: ها قد شهمد شاهد من أهله. ورغم مشروعية بعض التساؤلات حول أسباب اختيار هذا العمل أو ذاك، إلا أنَّ تدقيقاً بسيطاً في قائمة الترجمات يكشف أنَّ معظم الأعمال المتسرجمة إلى الألمانية تعكس إلى حد كبير واقع الأدب العـربي (في الرواية: نجيب محفوظ، الطيب صالح، حنا مينة، عبد الرحمن منيف، إبراهيم

الكوني، صحر خليفة . . . وفي الشعر: بدر شاكر السياب، البياتي، محمود درويش، آدرنيس، . .).

رعا تُكون المشكلة في الجانب الآخر إن ظهرت! بمعنى كيف ستعامل المؤسسات الثقافية العربية مع معرض فراتكفورت للكتاب؟ فاليد الواحدة لاتصفق، والألمان قدسوا فضاءهم الثقافي (معرض الكتاب) للعرب والآن جاه دورهم. ثم إن مور النشر الألمانية أن تنشر الكتاب العربي من أجل "سواد عورن العرب"، فالكتاب إلا مساف في عين الناشر قبل أن يكون قافحة، وهو بالنسبة إليه مشروع تجاري، إنه يخستار الكتاب الذي يتوسم فيه الانتشار والقبول لدى القارئ.

اليوم تـفصلنا عن المصرض عشرة أنسهر، فـماذا مستبجز الجامعـة العربية واتحاد الناشرين العرب خــلال هذه الفترة؟ سؤال نطرحه بقلق وكلنا أمل أن تكون وساسنا بلا أساس. فلنتظر ونر.

نزول الشعر العربي عن عرشه

الحدث الشاني، هو احتفاء الأكماديمية الألمانية للغة والشمر بالشعر العربي. فقد افتنحت هذه الأكاديمية العربقة، التي اتخذت من الذكري المثنين لميلاد الشاعر الألماني العظيم غوته تاريخاً لتأسيسها ((٢٨/٨/٢٨))، احتفالاتها لتوزيع أرفع جوائزها الأدبسية بتكريم الشعسر العربي (إقمامة أمسمية شعرية عربيسة في مدينة دارمشتات الألمانيسة، حيث مقرها، عطفاً علمي حلقة نقاش بين الشعراء العمرب والألمان حول الشعر). وإذا كــان ملهم الأكاديمية (غوته) سباقــاً إلى إقامة جسور مع الشعر العربسي والإسلامي فإنَّ الاكاديمية لم تحلو حذو مـلهمـها بهـذا المعني. وإذا نظرنا إلى قائــمة أعــضاء الأكاديمية وأعضماء الشرف فممتجد اسمم الشاعر المسوري اللبناني قؤاد رفقة فقط من الجانب العربي مع شعراء وكتاب عالميين كثيرين. إلا أنَّ احتفالات هذه السنة سدت نقصاً لدى هذه المؤسسة وربما لدى القارىء الألماني. بالطبع لن يكون لأمسية شعرية واحدة أثر السحر، لكنها جاءت في سياق طويل راكم حضــوراً قوياً للشعر العــربي في ألمانيا. بدأ هذا السياق بحركة الترجمة (ترجمة الشعر العربي إلى اللغة الألمانية) التي أطلقها خالد المعالى وشستيفان فايدنر وسليمان

توقيق وغيرهم، والتي وفرت للقارئ الألماني صورة عن الشعر الذي كان يجهله، وخصوصا الانطولوجيات الشعرية الشعرية المالي وفايدتر لولل آخرها الطواوجيا الشعر الفلسليني إلجديد للمعالي (بصد السماء الأخيرة). وجاءت خلالة أدونيس في الماليا قبل مستن والشاطات الشي قام بها حملات على الماليات للخاليات المخاليات المحاليات المخاليات المحاليات المحاليات المخاليات المحاليات المحاليات

في دارستنات كان للجمهور الألماني لقاء مع الشعر العربي من نوع آخر، خصوصاً الماقت. التي تلت الأسبة الشعرية التي شارك فيها معصرو درويش وفواد رفقة وشاسم حناد وصاف قدمي، وكمادته كان الشاصر الفلطيني الكبير سبع المؤقف، وصفاء فتحي على حق حن ميزت بين حضور محدود درويش كظاهرة، كشاعر هو نسيج وحده، وبين بقية الشعراء الصرب، ربما تكون هناك لغمة مسحرية تجمع بين درويش والمناقي مهما كانت فت. فإذا قرا رويش في السرويون، اكتنفت القاعة بالزوار وإذا حضر إلى قصر نه في مدينة صغيرة بالمانيا كدار هشات كرد الأمر نضه، إذ عضر كتر من خصيحة بالمانيا كدار هشاته المربورة المربورة.

وإذا كان درويش الفلسطيني أنشد محدداً مفهومه للسلام:

"السلام كلام المسافس في نفسه/ للمسافر في الجسهة الثانية "
فإن مساخلته في المناقشية العربية ـ الألمانية حول الشمر،
فيرت مسار الجلسة للتسحول إلى نظائل عربي عربي حول
فيرت مسار الجلسة للتسحول إلى نظائل عربي عربي حول
الشمر العربي وهويته، حسركت النقائل نعد الملات وكان
الشمر العربي وهويته، حسركت النقائل نعد الملات وكان
الشمراء العرب كانوا في توق إلى مكان بعد يعدل
إنتاج مقولاتهم هن الحدالة وقسيسة الشر والوزو والقافية.

وقد ساهمت استلة رئيس الجلسة الشاهم الألماني هارالد. هارتونغ اتتعب الزيت على النار وتحول الناقشة إلى نسخة من المعارك الناقبية المسربية حول الشعر لكن بلغة المل المكان هذه المرة. هارتونغ طرح أسئلة كشيرة من نوع: "أين تكمن خصوصية اللغة في القصيدة العربية؟ ما هي أرجه التشابه والاختلاف بين الشعرين العربي والآلماني؟ هل بمقدور الشعر الألماني التعلم من الشعر العربي؟

هذه المناقشة الشرية أنزلت الشعر العربي من علياته ووضعته في مكانه الصحيح في لوحة الشعر العالمي، "فسؤال الشعر العربي، أسم يعد سؤالاً عسربياً، بقسدر ما هو سؤال إنسائي عام، والشعر العربي يعيش في عزلة وفي هامش كما يعيش الشعــر الأوروبي والأمريكي"، هذا ما انتــهـت إليه المداخلة الدرويشية. لكن الشاعر الكبير لم يكن أنانياً، فهو رأى أنَّ هذه الظاهرة صحية وأنَّ من حسن حظ الشقافة العمربية أن يخسر الشعر تلك "المكانة" التي احتكرها لنفسه زمناً طويلاً لتأتى الأجناس الأدبية الأخرى، كالقصة والرواية والمسرح، كي تنافسه، بل تشفوق عليه أحياناً. ربما التسيجة الأهم التي انتهت إليهما مناقشات العرب عند ضيوفهم الألمان ومعهم، هي أنَّ الحالة الشرية أضحت السائدة في مشهد الثقافة العربية، وكل شماعر يكتب بالوزن أو بالإيقاع يعتبــر شاعراً السلفياً، وقد وحدت قصيدة الشر الثقافة العالمية، فلم تعد تعثر في أي قصيدة حديثة على خمصوصية وطنية أو ثقافية، سوى اللغة، اللغة التي كتبت بها القصيدة.

وإذا كان الشمراء الآلان يطبعون إلى الاستقواء بزملائهم العرب والتعلم منهم حول كيفية إعادة القصيلة إلى عرشها، فقد الاستقوام في دواستثنات أن ألشعر العربي لل الفصل -حالاً من شمرهم، وأن ألشحراء العرب لم يعودوا ملوكاً في أوطاقهم كما اعتقد رئيس الأكادية الألاثية للغة والشعر حين قدم ضيولة للجمهور الألائية.





أليغيرو بويتي Alighiero Boetti

الفنان الايطالي وأفغانستان

ساقر السغيرو بويتي Alighiero Boetti إلى الفضائستان للمسرة الأولى في آذار/ مارس عام 1941 ويقى فيها لمدة شهر. وواظب على السفر إلى هناك سنريا حتى عام ١٩٧٩ وينما غزت القوات الروسية البلاد، وكان يحكث لفترات طويلة. في عام ١٩٧١ عهد إلى الشاء الاقتصائل المنتقبة أولى صوره المزركشة هناك. وكانت تلك بداية لإنتاج الصديد من الصور المزاركشة عدى مدى سنوات طويلة، وذلك حتى موته عام ١٩٩٤. قام بويتي بدراسة النرات العربي رالهم لملبادي اللغزية والمزرك ويهمنا في موته عام ١٩٩٤. قام بويتي بدراسة النرات العربي رالهم لملبادي الموتي المنافرة السياق بالملت أن نركز على النصوص المزركشة والتي نعرض لواحد منها هنا، حيث أنبها ترمز المهدف الرئيسي للفنان، ألا وهو أمنية امتزاج سلوكيات ومثل ومعتقدات الشرق والمغرب منها المنافرة تفكير المتصوفة وقد قضى ساعات بهدف المنافرة المنافرة المنافرة عليها الفنية المعالمة المنافرة المخالف المغاربة بها المدلوحة بويتي منقرشة عليها القعيدتان أدناء الإعمال الفنية لتعلمياه. الاكتاب المخالة المنافرة عليها الفنية المعالمة المنافرة المخارجي لها المدلوحة بويتى منقرشة عليها القعيدتان أدناء

٥٧٤ي ٥٧

خسة وعشرون في خصية وحشرين ستمانة وخسة وحشرين مستمانة وخسة وحشرون حرفا في المائة لون هي الوان المائلة المؤتمة للمائلة المؤتمة المؤتمة

الفنان اليغيرو بويتي مع موديل شاحة أفغانية، ١٩٨٥ . تصوير : Glorgio Colombo

قلبي المتحدور عطشان للون، مرة اخرى،

خارق في الدماء هل لا يزال طاشقا للعرب؟

لا تزاك خطاك تزركش كل صخرة تطأها

سرختك هي العمال وسرخي الله الحييد

لا تزال تقنفي آثار العدو الذي لم يعد سوى تعلب أعرج

بعرض بلادنار كلها وطيورها وبخاديها

بعرض بلادنار كلها وطيورها وبخاديها

تقهقر روسيا المهورية له وجه العار

لا تتجاهل هزيمة الجيش الأحمر، لان عين التعلب

لا تزال مصوية وسط المغرض تحر الحدود.

لا تزال مصوية وسط المغرض تحر الحدود.

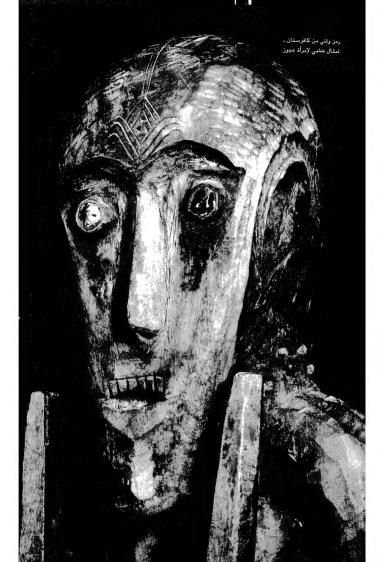
البائس يرغب في العردة إلى السلطة، رغم أنه

قصص كرمال وشاهمال ودافرمال

قصص كرمال وشاهمال ودافرمال

من طرقي إلى نحيب، كلهم خانوا الله وخانوا أخوتهم ويلدوا الحزي في كل بيت من بيوت بلادنا لا يعرف الملوك سر حريتنا، لأن رجال ساحة القتال ليسوا سوى مفكرين ورهين.

مورة الغلاف الخارجي من الخلف: Alightero Boatti: "Venticique per venticinque... Embroidery, 1989, 103 × 170 cm. From the catalog: "Alightero e Boetti" Exhibition from 8th April to May 1999 Galerie Guy Bärtischi, Geneva



FIKRUN WA FANN

ART&THOUGHT

78



